غير مخصص للبيع

منبر الإسلام

دار الإفتاء ترد على أكاذيب مكسيم رودنسون

السنة (٥٧) العدد (٢)

حلقة نقاشية

ماذا يريد الإعلاميون من الدعاة ؟
وماذا يريد الدعاة من الإعلاميين ؟

لا لقانون الاضطهاد الدينى

بعد الكتاب الموقوف : ضرورة مراجعة مايجرى فى المدارس الأجنبية

من محتويات العدد

* تفسير سورة الفتح
فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى
*الإمام القرطبى
د. محمود حمدى زقزوق
* الجامع الصحيح للإمام مسلم
د. أحمد عمر هاشم
* النموذج الإسلامى لتفاعل الحضارات
د. أحمد فؤاد باشا
* دار الافتاء ترد على أكاذيب مكسيم رودنسون
* المؤسسات الدينية فى مصر
رؤية للحاضر والمستقبل الانبا يوحنا قلته

* حوار صريح بين الإعلاميين والدعاة

غلاف الشهر

صورتان فى أثناء الحلقة النقاشية التى عقدت بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية حول قضايا الدعوة والإعلام والتى شارك فيها نخبة من قيادات الدعوة الإسلامية ورجال الإعلام

تصوير : سيد الزفزاف

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الاعلى للشئون الإسلامية ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٠.٥٠ عشرة جنيهات ونصف بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٧ سبعة عشر دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الافريقى «بريد جوى».
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٠ ثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٦٠ ستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٣٥٤١٦٢٧ - ٣٥٥٨٦٦٤
تلغرافيا - منبر الإسلام - القاهرة

الأستاذ/ علا حمدي عبد الله ٧٢٥٨٧٧ ت

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: **محمود حمدى زقزوق**

وزيـر الأوقـاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: **صوفى أبو طالـب**

الدكتور: **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور: **أحمـد هيـكل**

كلمـة التحـريـر

بين يديك عـزيزى القـارئ عـدد جـديد من مجلة «منبر الإسلام» وهو حافل بموضوعات وقضايا الساعة إلى جانب موضوعات علوم القرآن والحضارة الإسلامية والفقه والاجتماع والشخصيات الإسلامية.

نقدم لك عزيزى القارئ الحوار الصريح الذى دار فى قاعة الندوات بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بين رجال الإعلام ورجال الدعوة الإسلامية الذى شهده الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وقد كان حوارا بناء من أجل خدمة الجماهير العريضة من أبناء مصر الذى أكد على العلاقة الوثيقة بين الإعلام والدعاة وخلص إلى أنه لا غنى لأحدهما عن الآخر وأن القضية لا تتعلق بالدعوة وحدها وإنما تتعلق بثقافة الأمة التى يجب أن تقوم على تخطيط مدروس. كما يقتضى من كل الجهات التى أنيط بها تقديم الخدمة الثقافية لجماهير الأمة أن تعمل وفق تنسيق متكامل وتوحيد للرؤى، وبالتالى لا يحدث تناقض بين الدعوة والإعلام لأنهما يقدمان خدمة ثقافية دينية.

كما نقدم لك عزيزى القارئ بيان دار الإفتاء حول الافتراءات والأكاذيب التى وردت فى أحد الكتب التى تدرس بالجامعات الأجنبية.

هذا إلى جانب الأبواب التى تشترك معنا عـزيزى القارئ فى تحريرها.

حديث الشهر

رئيس التحرير

بعد الكتاب الموقوف عن رسول الإسلام

الحرب ضد القرآن ورسوله حرب شرسة لا أتجاوز الحقيقة إذا وصفتها بأنها من أقذر أنواع الحروب «الباردة» التى تعرض لها الإسلام عبر تاريخه فيما قبل وما بعد «الحروب الصليبية» الساخنة.

فمع أن الواقع الإسلامى بما هو عليه اليوم من ضعف وتمزق وتخلف لا يثير ولا ينبغى أن يثير مخاوف أحد. لكن القوم فى الغرب لا ينسون أبدا.. ولا تنام أحقادهم على الإسلام..»

ضرورة مراجعة ما يتعلمه أبناؤنا فى المدارس الأجنبية

الأمر أكبر من كتاب ولكنه تيار معاد يجب ردعه

ومنذ أخذ ابن السوداء عبدالله بن سبأ الذى كان يهوديا وأسلم - منذ أخذ فى نهاية عهد الراشدين - وبالذات فى عهد على رضي الله عنه وبعد فتنة «الخوارج» يكيد للإسلام وينشر الأضاليل التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم «الإسرائيليات فى التفسير والحديث».. أقول.. ومنذ التاريخ البعيد وإلى اليوم فالحرب «الفكرية» وغزو الأكاذيب لا تنقطع.

وتعجب إذ ترى الأقوياء يخافون المستضعفين، وتعجب أكثر إذ ترى الغرب الصليبى المسيطر والمتمكن من رقاب العالم كله

لا يهدأ لحظة عن مهاجمة الإسلام.

لكن العجب يزول إذا عرف السبب. والسبب أن القوم يدركون جيدا حيوية الإسلام كعقيدة إيجابية قادرة على صنع المعجزات فى استنهاض الهمم وبناء النماذج الشامخة من الرجال الذين يستطيعون القيام بما يشبه المعجزات وتحويل مجريات الأحداث والتواريخ، وتحويل الهزائم إلى انتصارات.

وهذا ما عبر عنه أحد الاستعماريين الكبار وهو الانجليزى جلادستون فى مقولته الشهيرة «ما بقى هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوروبا أن تسيطر على المشرق، بل ولن تستطيع هى أن تعيش فى مأمن».

وبهذا يمكن تفسير ذلك التسابق المحموم فى الهجوم على الإسلام الذى يتوالى عقد اللقاءات والمؤتمرات للتخطيط له، والتى كان أكبرها مؤتمر «كولورادو سنة ١٩٧٨» الذى أعلن فيه البابا أنه عندما تحل الألفية الثالثة - يعنى بداية القرن الحادى والعشرين فسيكون هذا القرن قرن سيادة «المسيحية» للعالم وقرن اندثار الإسلام.

والهدف نفسه اعلنه صراحة المفكر والفيلسوف الأمريكى «صموئيل هانتجتون» فى كتابه الشهير «الإسلام والغرب» آفاق الصدام. وقرر فيه ان ختام القرن الحالى ومطلع القرن الحادى والعشرين هما عصر صراع الحضارات الذى تكون نتيجته كما ذكر هى لسيادة وانتصار الحضارة الغربية واندثار الإسلام وحضارته.

والمعنى نفسه ما قرره الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون» فى كتابه «الفرصة السانحة»، والذى أعلن فيه ما يشبه توجيه «استراتيجية». العداء الأمريكى إلى العدو الأخضر الذى هو الإسلام بعد انهيار العدو الأحمر الذى هو «الاتحاد السوفيتى».

هى إذن حرب ضروس. كما ذكرت.. وهى إذن استراتيجية عداء دائم لا ينام ولا يهدأ تتحرك فى كل اتجاه وتسلك كل سبيل وأى سبيل.

من هنا فإن الكتاب «الوقح» الذى ألفه الصليبى «رودنسون» وقرره أحد أساتذة الجامعة الأمريكية على الطلاب المصريين مسلمين ومسيحيين يهاجم فيه الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -.

أقول هذا الكتاب ليس إلا إحدى الحلقات فى مسلسل الكراهية والحقد على الإسلام ورسوله. وإحدى الحلقات أيضا فى مراحل وموجات تيار العداء الصليبى الذى لن يهدأ إلا إذا فتحوا أعينهم على الكون فلم يروا فيه مئذنة يشهد مؤذنها أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فساعتها تنام الأحقاد.

مصر المؤمنة بخير

ولقد كشفت حادثة هذا الكتاب عن معنى نبيل وجليل هو

أن مصر المؤمنة مهما شغب فيها العلمانيون، وخُيل لمن يرصد شغبهم أنهم أحرزوا الكسب فى بعض المواقع فإن أى اختبار وأى استثارة للوجدان الدينى المستقر فى ضمير مصر يعبر عن وجوده وتمكنه بما يذهل المشاغبين العلمانيين.

فما أن أذيع خبر هذا الكتاب حتى تلاقت على النكير عليه والمطالبة بوقف تدريسه رموز يمثل كل منها جانبا من وجدان الأمة ويعبر عمن بعده.

وفى البداية كانت كلمة الإعلامى الكبير الأستاذ صلاح منتصر فى «الأهرام» ثم كانت وقفة فضيلة المفتى د. نصر فريد واصل.ثم الاستجابة الفورية والحازمة من وزير التعليم العالى د. مفيد شهاب.. كانت جميعها تعبيرا تلقائيا عما هو مستقر فى وجدان أبناء مصر المؤمنة من ولاء عظيم ودائم لدين الله.

وماذا فى المدارس الأجنبية؟

بيد أن الأمر ليس خاصا بالجامعة الأمريكية التى ضبط فيها الكتاب الموقوف ولكنها قضية التعليم الأجنبى فى المدارس المصرية، وقد حدثتنى وهى تكاد تبكى إحدى السيدات عن كتاب يدرس لطالبات مدرسة «الفرير» فيه من الهجوم على الإسلام وكتابه ورسوله ما فيه وهى لا تقوى على البوح بمخاوفها وقلقها كى لا تضار ابنتها الطالبة بالمدرسة.

وأرجو من الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم بحث الأمر فى مختلف المعاهد والمدارس بكل عناية فالأمر لا يحتمل أى تهاون.

لا.. لقانون الاضطهاد الدينى:

بتاريخ الخميس الموافق ٢٥ محرم ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨/٥/٢١م نشرت احدى الجرائد تحت عنوان «الولايات المتحدة تمنح نفسها حق الوصاية على الأقليات» فرض عقوبات قاسية على الدول التى يدينها مكتب الرصد الأمريكى، وعلى الصفحة الثالثة نشرت نصوص قانون «التحرر من الاضطهاد الدينى» مع دراسة بقلم د. سعد الدين إبراهيم الأستاذ بالجامعة الأمريكية ومدير مركز ابن خلدون وفى كلمة «العدد» التى كتبها الكاتب الكبير الأستاذ جمال بدوى رئيس تحرير الوفد أنه فى يوم السبت الماضى ٢٠ محرم ١٤١٩هـ الموافق ٩٨/٥/١٦) وافق مجلس النواب الأمريكى وبأغلبية ٣٧٥ صوتا ضد ٤١ صوتا على مشروع قانون يلزم الحكومة الأمريكية بفرض عقوبات صارمة على الدول التى تمارس الاضطهاد الدينى.

وأضاف ـ وللإضافة دلالاتها البالغة بالنسبة لمصر ـ أنه:

تمت الموافقة وسط مظاهرة حاشدة فى ردهات الكونجرس نظمتها القلة من أقباط المهجر (يعنى المصريين) والكثرة من قوى

الضغط الصهيونى.

ثم قال: هذا القانون يجب أن يقرأه كل مصرى بإمعان ليكون على بينة مما يدبر لنا فى الولايات المتحدة، فالعقوبات التى يتضمنها تبدأ بالمقاطعة والحصار وتتصاعد إلى مستوى حالة إعلان الحرب، وهو يعطى لأمريكا حق التدخل فى أخص شئون المجتمع المصرى والمساس بحقوق السيادة، والسماح للرعايا الأجانب باتهام مصر بممارسة الاضطهاد الدينى، وكذا لأى جماعة مصرية «عادية أو متشددة» الخ.

وقرأت القانون بعناية كمصرى ومن قبل قرأت عنه يوم كان «خبرا» تتناقله وكالات الأنباء، ويتناوله المحللون والمتخصصون فى قراءة المستقبل والتنبؤ باتجاهات الرياح السياسية وتأكدت من الدراسة التى كتبها د. سعد الدين إبراهيم وتأكدت مخاوفى القديمة من عمليات «الاختراق» التى تقوم بها أجهزة الاستخبارات والغزو الفكرى والثقافى وعمليات «التمهيد» لسياسات واستراتيجيات يجرى الإعداد لتنفيذها قبل مواعيدها بأزمان وأزمان واستيقنت عمق العلاقة بين حادثة الكتاب الوقح فى الجامعة الأمريكية ومن موافقة الكونجرس على هذا القانون وسط مظاهرة تشارك فيها جماعة قبطية وإن كانت قليلة إلى جانب الكثرة الكاثرة من اللوبى (قوة الضغط الصهيونى) هناك.

نحن إذن أمام مؤامرة واضحة الخطوط والخيوط للإساءة إلى مصر،، ولتركيعها وتأديبها، لأنها اتخذت مواقف وطنية وعربية ومستقلة من عملية السلام ومضت ملتزمة بالمصلحة العليا لمصر ولقضايا العرب.

نحن أمام «مؤامرة» لن تتضح مخاطرها للجميع إلا حين يأتى اليوم الذى يتحول فيه مكتب «الرصد» الأمريكى الذى يرفع إلى جهة الاختصاص بالولايات المتحدة تقريرا دوريا عن وجود «اضطهاد دينى » فى مصر يستوجب المساءلة والعقاب سواء كانت التهمة موجهة إلى الحكومة بممارسة هذا الاضطهاد أو على الأقل بعدم التصدى له، أو قامت به جماعات أو حتى قام به أفراد.

إن مجرد تصور وجود هذه «الوصاية» يعتبر إهانة كبرى لكل مصرى تستوجب التضامن والتفهم الأعظم من كل أبناء مصر على اختلاف عقيدتهم واختلاف مواقعهم وأفكارهم ليكونوا يدا واحدة ترفض وبكل القوة والعزم هذه الوصاية الأمريكية حتى ولو كان قطع المعونة هو العقوبة.

ثم.. ما أشبه الليلة بالبارحة..

فعندما أطل العنف والتطرف بقرونه فى أحداث امبابة كان للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحرك ودور..

واليوم يتجدد الدور لأن الأمر أخطر..

وإذا أغرت القوة أصحابها فإيماننا هو أن الله أكبر.

هذا هو القرآن

شعر: مصطفى عبدالعزيز هندام

فى مهرجان الروح أنت مخلّدُ ... تهفو إليك قلوبنا وتغرّد
لك فى القلوب مكانة محفوفة ... بالحب والإكبار أنت لها يد
فلأنت أسباب السماء يمدها ... ربى ويحكم نسجها ويؤكد
يأيها القرآن إنك خالد ... ولأنت نور ساطع متجدد
حفظتك أفئدة تهيم بربها ... حبًا وتزكو فى الحياة وترشد
وتلتك ألسنة تفيض ضراعة ... ولربها فى كل وقت تحمد
آياتك الغراء ظلت بلسما ... للمؤمنين وهم لربى سجّد
يا أيها القرآن إنك آية الآيـ ... ـات قد بهرت وظلت تخلد
أعجزت ألسنة الطغاة فأذعنوا ... لك بالبلاغة كلهم لك يشهد
سحروا بآيات البيان يزفها ... ويسوقها للعالمين محمد
شهدوا له بحلاوة وطلاوة ... وبأنه يعلو ولا يتبدد
هذا هو القرآن بين يمينه ... نور يضئ وفضله متعدد
هذا هو القرآن نور عقولنا ... وقلوبنا وبهديه نتزود
هذا هو القرآن ماذا يبتغى ... من حاد عنه؟ فغاب عنه المقصد
والله لو أخذ الجميع بنهجه ... ماضل سعيهمُو وطاب المورد
فالله قد حفظ الكتاب وصانه ... هيا نطبقه فيبتسم الغدُ
والله قد حفظ الكتاب فأمسكوا ... بالدين والقرآن حتى تسعدوا

القرآن الكريم وعلومه

- تفسير سورة الفتح
- التفسير البياني للقرآن الكريم

نظرات في كتاب الله تعالى

تفسير سورة الفتح

لفضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾ .سورة الفتح الآيات من ٢٢ - ٢٦

١ - ساقت الآيات السابقة على هذه الآيات جملة من البشارات لمن حضر صلح الحديبية من المسلمين، منها: بشارتهم بأن الله - تعالى - قد رضى عنهم، وبشارتهم بأنه - سبحانه - قد أنزل السكينة عليهم، وبشارتهم بأنه - سبحانه - سيمنحهم فتحا قريبا، وبشارتهم بأنه - عز وجل - سيعطيهم الغنائم الكثيرة.

ثم جاءت هذه الآيات، لتسوق بشارات أخرى، أهداها - سبحانه - إلى هؤلاء المؤمنين الصادقين، فضلا منه وكرما، وبدأها - سبحانه - بإخبارهم بأنهم هم المنصورون فقال - تعالى - : **«ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا».**

وتولية الأدبار : كناية عن الهزيمة، لأن المنهزم يعطى ظهره لمن انتصر عليه.

أى: اعلموا - أيها المؤمنون - وأبشروا، بأن الذين كفروا بالحق

لما جاءهم، لو قاتلوكم وأنتم على تلك الحالة من قوة الإيمان، ومن صدق اليقين، ومن إخلاص العبادة لخالقكم، ومن حسن النية، ومن مباشرة الأسباب، لو قاتلوكم وأنتم على تلك الحالة، لأعطوكم ظهورهم خوفا ورعبا منكم، ولما استطاعوا أن يواجهوكم لأن الحق له جنده الذين يفر أمامهم جند الباطل، ولن يجد جند الباطل من يدافع عنهم أو من ينصرهم، لأن كل من يدافع عن أعداء الله فهو مخذول مثلهم.

٢ ـ ثم بين ـ سبحانه ـ لعباده المؤمنين ـ أن ما أخبرهم به من أن أعداءهم سينهزمون أمامهم، إنما هو سنة من سننه التى لا تتخلف، وقانون من قوانينه التى لا تتبدل، فقال ـ تعالى: **«سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا»**.

أى: جعل الله ـ تعالى ـ انتصار أهل الحق على أهل الباطل، سنة من سننه التى لا تتغير، وطريقة من طرقه التى لا تقبل التحول، ولن تجد أيها العاقل لما قرره الله ـ تعالى ـ تغييرا أو تحويلا ، وفى معنى هذه الآية وردت آيات كثيرة تؤكدها، ومن ذلك قوله ـ سبحانه ـ : **«ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون»** سورة الصافات: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

وقوله ـ تعالى ـ : **«إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»** سورة غافر: الآية ٥١.

٣ ـ ثم ذكر ـ عز وجل ـ عباده المؤمنين بنعمة أخرى من نعمه التى أنعمها عليهم فى رحلتهم هذه، التى انتهت بصلح الحديبية فقال ـ تعالى ـ: **«وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم. ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم، وكان الله بما تعملون بصيرا»**.

والمقصود ببطن مكة: أرض الحديبية. وسميت بذلك لأنها قريبة من مكة المكرمة.

أى: وهو ـ سبحانه ـ بقدرته وحكمته، الذى منع المشركين من مهاجمتكم ومن الاعتداء عليكم، ومنعكم من مهاجمتهم وقتالهم فى هذا المكان القريب من مكة، وكان ذلك بعد أن نصركم عليهم، وجعلكم أعلى منهم فى القوة والحجة والثبات، وكان الله ـ تعالى ـ ومازال بما تعملون بصيرا.

وقد ذكروا فى هذا الظفر روايات منها ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم الحديبية، هبط على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه، ثمانون رجلا من أهل مكة فى السلاح، من جهة جبل التنعيم، يريدون عزة رسول الله ﷺ وأصحابه، فتتبه لهم المسلمون وأخذوهم أسرى، فعفا عنهم رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية» راجع تفسير ابن كثير جـ٢ ص٢٢٣ . وتفسير الآلوسى جـ٢٦ .١١١.

فالآية الكريمة تذكير من الله ـ تعالى ـ لعباده المؤمنين، بجانب من نعمه عليهم ورحمته بهم، وهو تذكير يتعلق بأمور شاهدوها

بأعينهم، وعاشوا أحداثها، وعندما يأتى التذكير بالأمور المشاهدة المحسوسة يكون ادعى إلى الشكر لله - عز وجل -.

٤ - ثم ذكرهم - سبحانه - فوق ما تقدم بنعمة أخرى من نعمه التى لا تحصى، وكشف لهم عن جانب من حكمته فى منع القتال بينهم وبين مشركى مكة، وفى هدايتهم إلى هذا الصلح، فقال: **«هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله..»**

والمراد بالذين كفروا هنا: مشركو قريش الذين منعوا النبى ﷺ وأصحابه من دخول مكة، ومن الطواف بالبيت الحرام، عندما جاءوا من المدينة المنورة فى السنة السادسة من الهجرة لأداء العمرة.

ولفظ الهدى مصدر بمعنى المفعول. أى: المهدى. والمقصود به ما يُهدى إلى البيت الحرام من الإبل والبقر والغنم، ليذبح تقربا إلى الله - تعالى - وكان مع المسلمين فى رحلتهم هذه التى تم فيها صلح الحديبية سبعون بدنة - على المشهور -.

ولفظ **«معكوفا»** أى: محبوسا. يقال: عكفه يعكفه عكفا، إذا حبسه. ومنه الاعتكاف فى المسجد بمعنى الاحتباس فيه.

وقوله: **«أن يبلغ محله»**: منصوب بنزع الخافض. أى: عن أن يبلغ محله. أى: مكانه الذى يذبح فيه وهو منطقة مِنى.

والتعبير بالذين كفروا: تصريح بذمهم وتوبيخهم على موقفهم المشين من المؤمنين الذين لم يأتوا إلى مكة لحرب، وإنما أتوا لأداء شعيرة من شعائر الله - تعالى -.

أى: هم فى ميزان الله واعتباره الكافرون حقا، لأنهم صدوكم ومنعوكم - أيها المؤمنون - عن دخول المسجد الحرام، وعن الطواف به، ولم يكتفوا بذلك، بل منعوا الهدى المحبوس من أجل ذبحه على سبيل التقرب به إلى الله - تعالى - من الوصول إلى محله الذى يذبح فيه فى العادة وهو جهة منى.

قال القرطبى ما ملخصه: قوله - تعالى - : **«والهدى معكوفا»** أى: محبوسا، وقوله: **«أن يبلغ محله»**: أى: منحره، وكان الهدى سبعين بدنة - أى: سبعين من الإبل -، - ومكان ذبحه منى - ولكن الله - تعالى - بفضله جعل ذلك الموضع وهو الحديبية له محلا.

وفى صحيح مسلم عن جابر ابن عبدالله قال: نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وفى صحيح البخارى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال خرجنا مع رسول الله ﷺ معتمرين، فحال كفار قريش دون البيت، فنحر رسول الله ﷺ بدنة، وحلق رأسه..» تفسير القرطبى جـ١٦ صـ٢٨٣.

٥ - وقوله - سبحانه - : **«ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم..»** بيان لحكمة الله - تعالى - فى منع الحرب بين الفريقين.

وجواب «**لولا**» محذوف لدلالة الكلام عليه. والمراد بالرجال المؤمنين وبالنساء المؤمنات: سبع رجال وامرأتان كانوا بمكة.

وجملة «**لم تعلموهم**» صفة للرجال المؤمنين وللنساء المؤمنات على سبيل تغليب المذكر على المؤنث والمراد بالوطأ فى قوله - سبحانه -: «**أن تطأوهم**»: الإهلاك والقتل.

والمعرة: المكروه والأذى. يقال: عرَّه يعره عرا، إذا أصابه بمكروه أو أذى. وأصله فى العُرِّ وهو الجرب الذى ينزل بالبدن فيؤذيه.

والمراد بالمعرة هنا: تعيير الكفار للمؤمنين بقولهم: لقد قتلتم وآذيتم من هم على دينكم.

والمعنى: ولولا كراهة أن تُهلكوا أو تقتلوا - أيها المؤمنون - أناسا على دينكم موجودين فى مكة بين كفارها، وأنتم لا تعرفون ذلك، فيصيبكم بسبب إهلاكهم مكروه، وتعيير من المشركين لكم..

لولا كل ذلك لما كف الله - تعالى - أيديكم عن كفار مكة، بل لسلطكم عليهم لكى تقتلوهم.

٦ - واللام فى قوله - سبحانه - بعد ذلك: «**ليدخل الله فى رحمته من يشاء**»: متعلقة بما يدل عليه جواب لولا المقدر.

أى: لولا ذلك لما كف أيديكم عن كفار مكة، ولكنه - سبحانه - كف أيديهم عنكم، وأيديكم عنهم، ليدخل - سبحانه - فى رحمته بسبب هذا الكف، من يشاء من عباده، وعلى رأس هؤلاء العباد، المؤمنون والمؤمنات الذين كانوا فى مكة، والذين اقتضت رحمته أن يتمم لهم أجورهم بإخراجهم من بين ظهرانى الكفار، ويفك أسرهم، ويرفع ما كان ينزل بهم من أذى واضطهاد.

كذلك شملت رحمته - سبحانه - بعض كفار مكة، الذين تركوا بعد ذلك الكفر، ودخلوا فى الإسلام، كأبى سفيان وغيره من الذين أسلموا بعد صلح الحديبية أو بعد فتح مكة.

وقوله - تعالى -: «**لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما**»: تأكيد لما دل عليه الكلام السابق، من أن حكمته - تعالى - قد اقتضت كف أيدى المؤمنين عن الكافرين، رحمة بالمؤمنين الذين يعيشون فى مكة مع هؤلاء الكافرين.

وقوله - تعالى - «**تزيلوا**» أى: تميزوا وانفصلوا وتفرقوا عن غيرهم.

أى: لو تميز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات الذين يعيشون فى مكة عن كفارها وفارقوهم وخرجوا منها، وانعزلوا عنهم، لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما، تارة عن طريق قتلهم، وتارة عن طريق أسرهم وإذلالهم.

٧ - ثم ختم - سبحانه - هذه الآيات الكريمة ببيان ما كان عليه المشركون من جهالات وحماقات، استولت على نفوسهم، فقال - تعالى -: «**إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية...**».

والحمية معناها: الأنفة والتكبر والغرور والتعالى بغير

حق. يقال: حَمى أنفُه من الشىء، - كرَضِى - إذا غضب منه وأعرض عنه.

أى: واذكر - أيها العاقل - وقت أن تمسك الكافرون بكفرهم، وقيدوا أنفسهم بالحمية الباطلة التى هى حمية الملة الجاهلية، حيث منعوا المسلمين من دخول مكة، ومن الطواف بالمسجد الحرام، وحيث منعوا الهدى من أن يبلغ محل ذبحه وهو منطقة منى، وحيث أبوا أن يكتب فى الصحيفة التى عقدت بينهم وبين المسلمين: بسم الله الرحمن الرحيم، أو محمد رسول الله.. فهذا كله من حميتهم الجاهلية، التى لا أساس لها من دين أو علم أو خلق أو مروءة.

وقوله: **«فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى..»** معطوف على ما قبله، للمقابلة بين حال الفريقين، مقابلة تتجلى فيها رعايته - سبحانه - للمؤمنين، وغضبه على الكافرين.

أى: هذا هو حال الكافرين، رسخت الجهالات فى قلوبهم حتى صرفتهم عن طريق الرشد، أما حال المؤمنين فإنهم قابلوا تصرفات هؤلاء الكافرين بالاحتقار والازدراء، وبايعوا رسولهم ﷺ على الموت من أجل إعلاء كلمة الحق.

فترتب على ذلك أن أنزل الله طمأنينته وسكينته على قلب رسوله ﷺ وعلى قلوب أصحابه، حيث لم يجعلهم يقابلون سفاهات المشركين بسفاهات مثلها، بل جعلهم ملتزمين بما تقتضيه كلمة التقوى، وهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، من أناة وسكون وثبات ووقار وخلق كريم، وإخلاص فى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الحق.

وقوله - سبحانه -: **«وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شىء عليما»** ثناء منه - تعالى - على ذاته بما هو أهله، وثناء منه - عز وجل - على عباده المؤمنين المخلصين.

أى: وكان المؤمنون أحق بكلمة التوحيد من الكافرين، وكانوا أهلا لها دون أعدائهم المشركين، لأن المؤمنين استجابوا للحق، أما المشركون فقد أعرضوا عنه غرورا وجهلا وعنادا وجحودا.

هذا، والمتأمل فى هذه الآية الكريمة، يرى ألوانا من المقابلات التى تدل على مدح الله - تعالى - للمؤمنين، وعلى ذمه للمشركين.

فقد عبر - سبحانه - فى جانب الكافرين بكلمة **«جعل»** التى تشعر بأن الكافرين كأنهم قد ألقوا هذه الحمية فى قلوبهم إلقاء دون تعقل أو تدبر. بينما عبر فى جانب المؤمنين بكلمة «أنزل» التى تشعر كأن السكينة كانت فى خزائنه - تعالى - ثم أنزلها بعد ذلك على قلب رسوله ﷺ وعلى قلوب المؤمنين، ليزدادوا إيمانا على إيمانهم.

ونرى الفاعل لجعل هم الذين كفروا، بينما الفاعل لأنزل هو الله - عز وجل -.

ونرى مدحا عظيما من الله تعالى - لعباده المؤمنين، بينما نرى ذما شديدا للكافرين.

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا جميعا من عباده المؤمنين الصادقين.

التفسير البيانى للقرآن الكريم

أ . د / عبد الغفار حامد هلال

قال تعالى :

﴿إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين﴾. سورة البقرة الآية ٢٦.

هنا يتحدث المولى سبحانه عن بعض أنواع الشكوك التى أوردها المعترضون على القرآن الكريم من الكفار والمنافقين حين رأوا ما يأتى به القرآن من الأمثال كقوله تعالى ـ فيما سبق: **﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا﴾** وقوله عز حكمه: **﴿أو كصيّب من السماء﴾**، وما سمعوه، فى مواطن أخرى، من تمثيل القرآن الكريم لآلهة المشركين فى قوله تعالى: **﴿يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾**، سورة الحج: الآية ٧٣. وقد جعل الله تعالى كيد آلهتهم كبيت العنكبوت فى قوله سبحانه: **﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾**. سورة العنكبوت: آية ٤١.

هذه الأمثال ونحوها كانت مثار عجب الكفار والمنافقين ومدخلا لهم إلى إعلان شكهم فى القرآن، وقولهم الزائف: كيف يضرب الله الأمثال بهذه المحقَّرات؟ وماذا يريد بها؟

والآية تتضمن الرد عليهم فى صحة التمثيلات السابقة ونحوها على أبلغ وجه.

وتبين إيمان المؤمنين بالأمثال، وتصديقهم بها، وفهمهم الحكمة منها لورودها عن رب العزة جل وعلا.

وتشرح الآية ـ أيضا ـ موقف الكفار والمنافقين وتبين عدم معرفتهم مغزى الأمثال مما كان سببا فى ضلالهم.

وتبين للقارئ الكريم بيان القرآن الشافى المعجز فى هذه الآية.

فقد عبر المولى سبحانه عن حكمة ضرب الأمثال بقوله:

﴿إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾.

وهذا يعنى أن ضرب المثل بهذه الأشياء ونحوها جاء لحكم بالغة مهما تكن حقيرة فى نظر الشاكين الضّالين.

وقد ورد - فى اللغة - الفعل الثلاثى المجرد: (حيى) والمزيد: (استحيا) بمعنى واحد، والمشهور: استحيا يستحيى فهو مُستحٍ ومُستحياً منه، وورد فى لهجة تميم وبكر بن وائل بياء واحدة، فيقال: استحى يستحى فهو مُستح، وبه قرأ ابن كثير وبعض القراء غيره.

والحياء: تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه، أو هو انقباض النفس عن القبائح كما قال الراغب الأصفهانى.

ويفرق بينه وبين الخجل بأن الخجل يكون عند صدور أمر إلى الشخص المتصف به وهو لا يريده، أما الحياء فقد يكون من أمر واقع أو لم يقع فيترك من أجل الحياء.

ومعنى **﴿إن الله لا يستحيى﴾** أى: لا يخشى أو لا يمتنع عن ضرب الأمثال لما فى ذلك من تأييد الحق وتثبيته.

وقوله: **﴿أن يضرب مثلا﴾**. المثل: كل شئ حاكيت به شيئا، ويطلق على القول السائر، ويأتى بمعنى القصة والصفة كما فسر فى قوله تعالى: **﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا﴾** وضرب المثل: هو ذكر شئ يظهر أثره فى غيره، والمراد بقوله تعالى: **﴿أن يضرب مثلا﴾** أى يذكره ويبين به أمرا من الأمور. والهدف من ضرب المثل: التذكير والاهتداء كما يشير إليه قوله تعالى **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾**.

وجاءت (ما) بعد قوله (مثلا) لتزيد هذه التذكرة شيوعا وايهاما فالمراد (أى مثل كان) وربما يفهم منها معنى التقليل والتحقير، أى أن الله تعالى يضرب المثل مهما كان الممثل به شيئا صغيرا أو وضيعا لما لذلك من حكمة ومناسبة للمشبه به والمقام الذى يقتضيه.

والبعوضة واحد البعوض وهو طائر معروف كالناموس واشتقاقه من البعض وهو القطع.

فما فوقها: الفاء عاطفة تفيد الترتيب أو بمعنى (إلى) و (ما) بمعنى (الذى) والمراد بالفوقية أن الله تعالى يضرب المثل بالبعوضة، وبما هو أكبر منها أو بما هو دونها فالفوقية إما بالزيادة والترقى من الصغير للكبير أو بالعكس بالتنزل من الحقير إلى الأحقر، فلله تعالى ان يضرب الأمثال بأى شئ مهما صغر حجمه أو قلت قيمته.

فقد ضرب المثل بالبعوضة، وبالذباب وبالعنكبوت ونحو ذلك، ثم عبر عن موقف المؤمنين من الأمثال بتصديقهم بها، وفهمهم لحكمها. فقال:

﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾.

(أما) حرف يستعمل لتفصيل أمر مجمل تقدمه صريحا أو دلالة أو لم يتقدم لكنه حاضر فى الذهن.

والمجمل الذى تفصله هنا هو موقف الطوائف المختلفة من المؤمنين والكفار والمنافقين من الأمثال القرآنية، وقد تقدم ذكر هذه الفرق من قبل.

فالمؤمنون مصدقون بها مهتدون إلى مضمونها والكفار مكذبون ضالون عن آثارها ومنافعها.

وهذه الأداة (أما) مضمنة معنى الشرط ويفسرها اللغويون بقولهم (مهما يكن من شئ) وهى - بهذا التفسير - تشعر بالشرطية وتدل على تحتم الوقوع وهو وجود شىء ما فى الدنيا، ولذا تفيد تأكيد ما دخلت عليه من الحكم فتصديق المؤمنين بالأمثال القرآنية واقع مدرك لا شك فيه.

ولمعنى الشرطية الموجود فيها دخلت الفاء فى جوابها إلا أنهم أخروا الفاء فى جملة الجزاء.

و (الحق)، خلاف الباطل وهو مصدر حق يحق بمعنى وجب وثبت قال الراغب: أصل الحق المطابقة والموافقة والشئ الحق هو الموجد بحسب الحكمة

وعلى وفقها، ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب. فالحق يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة.

وجاءت كلمة (الحق) معرفة بأل لتفيد القصر فالأمثال القرآنية هى الحق ولا حق غيرها مما يروج له المعاندون الضالون المشككون فى صحتها وصحة القرآن المشتمل عليها.

ولنقف وقفة تأمل أمام التعبير القرآنى الدقيق بقوله ﴿من ربهم﴾ لقد آثر التعبير بالربوبية فى جانب المؤمنين لأن هذا اللفظ يرمز للتربية والتقويم، فربهم هو خالقهم ومربيهم على الالتزام بالسلوك المستقيم، لو صدقوا بما جاء عنه سبحانه، ثم هو رب النعم التى أنعم بها عليهم، ومن التشريف لهم أن ينسبهم إلى نفسه.

ثم عبر القرآن الكريم عن موقف المكذبين من الكفار والمنافقين بقوله سبحانه: **﴿وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾**.

كان مقتضى السياق أن يقول: وأما الذين كفروا فلا يعلمون أنه الحق من ربهم، ليقابل التعبير السابق فى جانب المؤمنين.

ولسائل أن يسأل لم عبَّر بالفعل (يقولون) هنا وبالفعل (يعلمون) هناك؟

فنقول . وبالله التوفيق . فإن (يقولون) مناسب هنا غاية المناسبة لحال فريق الكفار والمنافقين الذين تمتلئ صدورهم بالحقد والتكذيب، وهم لا يطيقون إخفاء هذه الأحقاد والشكوك فى نفوسهم، فهم لا يصبرون دون إعلانها على الملأ فتنطلق بها حناجرهم جهلا وعنادا.

والاستفهام بقولهم: **﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾** يدل على عدم علم هؤلاء المكذبين بالحكمة من ضرب الأمثال القرآنية علما موصلا إلى الصواب أو إنكارهم ونفيهم لها عنادا ومكابرة مع علمهم بصحتها وآثارها النافعة. وكل من هذا الاعتبار أو ذاك يدل على جهلهم دلالة واضحة.

بل يفيد المبالغة فى ذمهم والتنبيه بأحسن وجه على كمال جهلهم كما قال الشاعر:

ومن قال للمسك أين الشذا؟

يكذبه ريحه الطيبُ

أما المؤمنون فقد عبر فى جانبهم بقوله سبحانه (فيعلمون) لأنها دقيقة من دقائق اللغة تفيد أن المؤمنين مصدقون جازمون بما فى القرآن الكريم من أمثال لها آثارها فى الهداية والتوجيه وفى الوقت نفسه تفيد وصفهم بالعلم وأنهم اكتفوا بالخضوع والطاعة من غير حاجة إلى التكلم وهذا يدل على منتهى الامتثال لأوامر الله تعالى والاستجابة لما يحققه انقيادهم المطلق.

ولسائل أن يسأل أيضا، لم قال (من ربهم) فى جانب المؤمنين وقال (ماذا أراد الله) فى شأن المعاندين؟

ونقول:

إنه أراد . كما ذكرنا من قبل . أن يشعر بتربية الله تعالى لعباده المؤمنين، أما هؤلاء الكفرة المنكرون لجلال الله ووحدانيته فناسبهم ذكر (الله) الذى له من القوة والجبروت ما يمحقهم به وما يهلكهم بنذره وعقابه، كما قال تعالى: **﴿ويحذركم الله نفسه﴾** فالمقام هنا يقتضى ذكر ما يفيد الألوهية الحقيقية فى جانب المنكرين المعاندين، حيث لا يعترفون بالربوبية ولا بالألوهية الحقة فذكرهم بها ووجههم إليها.

وقوله تعالى: **﴿يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا﴾** جملتان للبيان والتفسير للجملتين المصدرتين بأما

المذكورتين من قبل.

فالكفار الضالون المعاندون المكذبون بهذه الأمثال كثيرون ومع الأيام يزداد عودهم لضلالهم وغوايتهم تأثرا بأسلافهم المكذبين.

والمؤمنون المهديون المصدقون بالأمثال القرآنية كثيرون ويزدادون كثرة على مر الأيام أيضاً.

وهذا التعبير القرآنى جاء مبيناً للحكمة من ضرب الأمثال وانها طريق إلى هداية المهتدين والمستعدين للهداية وأن النظر فى هذه الأمثال قد يكشف الحجاب عن قلوب كثير من الشاكين الجهلاء الذين ضاع منهم نور الهداية فضلوا عن الحق ضلالاً بعيداً.

ويعد هذا النسق القرآنى رداً على زعم الكفار والمنافقين عدم الفائدة من هذه الأمثال القرآنية والذى جاء فى قولهم:

﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾؟

ولسائل أن يسأل: لم عبر بالفعل المضارع فى الجملتين مع أنه كان من الممكن الإتيان بالمصدر محلهما وهو (الإضلال والهداية)؟

ونقول، لقد عبر بالمضارع للإشعار بالاستمرار التجددى والمضارع يستعمل له كثيرا، ففى التعبير به هنا إشارة إلى أن الإضلال والهداية لايزالان يتجددان ماتجدد الزمان فكل من يتأمل تأملا صادقا فى آيات الله وما أوضحته أمثال القرآن يصير إلى الهداية مهما كان ضلالاً، ومن يُعرض ويعمى بصره عنها يضل ولو كان قريبا من الهدى والنور فيزداد عدد هؤلاء وهؤلاء إلى أن تقوم الساعة.

ثم بين أن ضلال هؤلاء الكافرين ليس ضلالاً ابتدائياً بل هو مستمد من ضلالهم القديم فقال سبحانه:

﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾.

كلمة (الفاسقين) جمع فاسق وهو مشتق من الفعل: فسق يفسق فسوقاً بمعنى خرج عن الطاعة أو فجر ومنه قوله تعالى عن إبليس اللعين **﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾** أى خرج. وأصل الفسق فى كلام العرب، الخروج عن الشئ من قولهم فسق الرّطبُ: إذا خرج من قشره.

والفسق فى عرف الاستعمال الشرعى: الخروج عن طاعة الله عز وجل ويقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان واختص فى العرف والاستعمال بارتكاب الكبيرة.

واستعمال الفسق وصفاً للإنسان لم يكن معروفاً عند العرب فى الجاهلية فهو من الألفاظ التى جدد الإسلام استعمالها فى معان مستحدثة.

وتخصيص الإضلال بهؤلاء الشاكين مرتبا على صفة الفسق وما تجره عليهم من القبائح لإفادة أن ما نشأوا عليه من الخروج على الإيمان هو الذى أعدهم للإضلال وجعلهم بيئة طبيعية لتقبله فإن كفرهم وعدولهم عن الحق وإصرارهم على الباطل صرف أنظارهم عن التدبر والتأمل حتى رسخت جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروا الأمثال القرآنية وقالوا ما قالوا من مزاعم وشكوك.

وهذا التعبير القرآنى الدقيق يفيد أن ضلالهم - بإنكارهم الأمثال - ليس ضلالا ابتدائيا، بل هو ضلال مستمد من ضلالهم القديم، وهؤلاء هم الذين سبق فى علم الله أنه لا يهديهم.

دراسات فى السنة المطهرة

- صلة الأرحام
- الجامع الصحيح للإمام مسلم
- حديث الإسلام والإيمان والإحسان
- الصلاة على النبى ﷺ

صلة الأرحام

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: «أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ومن ثبتها ثبته إن رحمتى سبقت غضبى»

رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى

الرحم: سبب القرابة. وأصلها والجمع أرحام وفى الحديث من ملك ذا رحم فهو حر».

وقال ابن الأثير: ذوو الرحم هم الأقارب ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب.

ويطلق فى الفرائض على الأقارب من جهة النساء يقال ذو رحم محرم «بتشديد الراء وفتحها وهو من لا يحل نكاحه كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة» لسان العرب.

وقال ابن حجر فى فتح البارى يطلق الرحم على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب سواء أكان يرثه أم لا وسواء أكان ذا محرم أم لا. الفتح جـ١٠ ص٣٤٠.

ومن ذلك يتضح أن معنى صلة الرحم. وصل الإنسان قراباته القريبة والبعيدة. والتلاحم مهم على سبيل الحب والوداد وعلى جهة الإحسان والعطف. ومع ملاحظة أن الأقارب الذين لا يحل نكاحم يسمون رحما محرما أو محرما بتشديد الراء. أما الأقارب غير هؤلاء فيسمون ذوى رحم فقط والوصل خلاف الفصل والوصل ضد الهجر والوصل ضد الهجران والتواصل ضد التصارم والتقاطع.

البيان

لقد استخلف الله سبحانه الإنسان فى الأرض وقضى أن يكون هذا الكون فى خدمته. وسخر له مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه وزوده بالعلم طاقة يتبوأ بها مكان الصدارة فى الوجود وتتوثق بها العرى وتذود عنه كل أسباب الردى ويعيش تظله ألوية السكينة والاطمئنان والألفة والمودة والأمان، إنه هدى السماء وسر البقاء والنور الذى يهدى الله به من عباده من يشاء. وصدق الله العظيم **﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾** سورة إبراهيم: آية ١. وما أصدق ما

وصفه به رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى بسنده عن على كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الا إنها ستكون فتنة، فقلت وما المخرج منها يارسول الله قال «كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة. ولا يشبع منه العلماء. ولا يخلق على كثرة الرد (يخلق - يبلى) ولا تنتهى عجائبه» ومما قاله فى شأنه سبحانه **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم»** سورة المائدة: آية ١٥ ، ١٦.

كما قال: **﴿اهبطا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى»** سورة طه: آية ١٢٣.

وقال: **﴿قلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** سورة البقرة: آية ٣٨.

وعلى هدى من ذلك تقود الفطرة الطاهرة السلوك البشرى فى ظلال من السلام ويعيش الجميع به فى وفاق ووئام وتتوثق بينهم العرى قوية تبنى ولا تهدم وتجمع ولا تفرق وتصون ولا تبدد وتعمر ولا تخرب وتصلح ولا تفسد **﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها»** سورة الروم: آية ٣٠.

نداء الفطرة

ومن ثم فقد جاءت جميع الرسالات السماوية دعوة إلى السلام الذى هو نداء الفطرة وبه يشرق وجه الحياة بالأمل الباسم فى كل نافع ومفيد لخير البشرية فى عاجلها وآجلها وحاضرها ومستقبلها. وجاءت خاتمة الرسالات التى جاء بها سيدنا محمد ﷺ يتفيأ الكون فيها ظلال نسيم الحرية ويستنشقون عبير الحياة الهانئة الراضية التى ينطلق فيها كل امرئ لا يخاف ظلما ولا هضما. متمتعا بجميع حقوقه سواء منها ما يتعلق بحق الحياة أو المال أو العرض أو النفس حتى لا يحول دون وفائها بوظائفها المشروعة عائق كما أحاطها بسياج من الحفظ والرعاية كيلا تمتد يد بسوء إليها. كان الثواب والعقاب فى إطار من العدالة التى كفلتها تعاليم الشريعة. **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»** سورة يونس: آية ٢٦ ، ٢٧.

ذلك كله إلى جانب مقدرات حياته التى لا بقاء له بدونها وتيسير تحصيلها وإباحة الضرورى منها للقوى والضعيف والغنى والفقير كالماء والهواء مثلا ومطالبة المجتمع المسلم بتوفير المأوى والكساء والغذاء وإتاحة فرصة العمل لجميع أبنائه كل فيما يناسبه.

وفى المقابل فقد جاءت التكاليف والتشريعات التى يبدو الكون بتطبيقها وحدة متماسكة قوية تحكمها علاقات متعددة فى مقدمتها العلاقة بالله عز وجل، هذه العلاقة التى إن أحسن القيام عليها والوفاء بحقوقها كانت المنطلق لاستقامة جميع العلاقات. فالعبد ما رعى حق ربه والوفاء بجميع حقوقه وراض نفسه على ذلك حتى صار هذا له

خلقا يصير وليس شىء أبغض إليه من كل ما يكدر صفو الحياة صغيرا أو كبيرا قليلا أو كثيرا. ذلك بأنه الوعاء الذى لا يحمل فى جوفه إلا الخير وكل وعاء بالذى فيه ينضح.

الدين المعاملة

وإذا كان الدين المعاملة فإنه انطلاقا من صفو العلاقة مع الله فإن جميع العلاقات سواء منها ما يتصل ببنى الإنسان أو ما يتصل بالحياة ستسمو عن التردى فى مباءات المعصية صغيرها وكبيرها بل وسفساف الأمور وحقيرها.

هذا. وأولى الناس بعد الله عز وجل بتوطيد العلاقات الطيبة معه وإحسان المعاملة للوالدين قال - تعالى -: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾**. سورة الإسراء: آية ٢٣.

وقطع الرحم ضد ذلك كله. يقال وصل رحمه يصلها وصلا وصلة، والهاء فيها عوض عن الواو المحذوفة فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر. والرحم، والرحم «بفتح الراء وكسرها مشددة» بيت منبت الولد ووعاؤه فى البطن والرُّحْم) بضم الراء المشددة الرحمة. قال أبو اسحاق فى قوله تعالى **﴿وأقرب رحما﴾** وعطفا وأمس بالقرابة.

أنواع الرحم

والرحم التى توصل عامة وخاصة. فالعامة رحم الدين. وصلتها تكون بالتوادد والتناصح والعدل والاحسان والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة. وأما الرحم الخاصة فتزيد النفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن ذلاتهم وتفاوت مراتب استحقاقهم فى ذلك قال القرطبى «فالصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام ومع كونها واجبة فى الجملة وقطيعتها معصية كبيرة. فإنها تختلف باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب ومنهامستحب. فمن وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا. ولو قصر فيما يقدر وينبغى له لا يسمى واصلا» شرح مسلم للنووى.

فضل صلة الرحم

وصلة الرحم تزيد فى العمر. فعن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال ﷺ «صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر» رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد. وعن عائشة - رضى الله عنها - عن النبى ﷺ قال «صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن الأعمار» كنز العمال. وعن ابن عباس قال: قال ﷺ «إن الله ليعمر للقوم الديار ويكثر لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم لصلتهم أرحامهم» الطبرانى والحاكم. نفس المصدر. كما أن صلة الرحم تترى بين الأهل الود وتملأ قلوبهم بالحب وتوثق عرى التراحم والتعاطف. قال ﷺ «تعلمون من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأثر» التاج. الجامع للأصول. برواية الترمذى وأحمد والحاكم.

منزلة الرحم

ولما لصلة الرحم من المنزلة بين ما فرض الله فقد علق الغاية التى ينشدها كل مسلم على الوفاء بحقها. فعن أبى أيوب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: «دلنى على عمل يدنينى من الجنة ويباعدنى من النار قال ﷺ تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل رحمك».

فلما أدبر الرجل قال رسول الله ﷺ «إن تمسك بما أمر به

دخل الجنة» رواه مسلم (شرح النووى على مسلم جـ١ ص١١٣).

ومن المعلوم أن الآجال والأرزاق لا تزيد ولا تنقص قال تعالى: **﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** سورة الأعراف: آية ٣٤.

وقد أجاب العلماء على ذلك بأجوبة منها:

١ - أن هذه الزيادة كناية عن البركة فى عمر واصل الرحم بسبب توفيقه للطاعة وعدم الوقوع فى المعصية والأثر الجميل الذى يذكر به بعد وفاته فكأنه لم يمت. وبالنسبة لتكثير المال فالمراد وضع البركة فيه بحيث يكفى القليل منه مالا يكفى الكثير مما لم يبارك فيه وبما يعود عليه فى العاجل والآجل.

٢ - ويجوز أن يكون المعنى أن يبقى الله أثر واصل الرحم فى الدنيا بالذرية الصالحة والعلم النافع والصدقة الجارية فقد أخرج الطبرانى فى الصغير عن أبى الدرداء قال: ذكر عند رسول الله ﷺ «من وصل رحمه أُنْسِئَ له فى أجله فقال إنه ليس زيادة فى عمره، قال تعالى **﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده» وللطبرانى فى الكبير من حديث أبى مشجعة الجهنى رفعه «إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها وإنما زيادة العمر ذرية صالحة» فتح البارى لابن حجر جـ١٠.

والإسلام بطبيعته يمقت القطيعة ويبغض الهاجر ويدعو إلى التعاطف والتراحم.

دين التسامح والعفو

قال تعالى: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾** روى ابن جرير بسنده عن أبى: لما أنزل الله عز وجل على نبيه **﴿خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾** سورة الأعراف: آية ١٩٩ قال ﷺ ما هذا يا جبريل قال: «إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك» رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وابن كثير جـ٢.

ومقتضى ذلك أن يقابل المسلم السيئة بالحسنة وفى الحديث يقول ﷺ «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها» البخارى، أبو داود. وذلك يعنى أن الواصل لرحمه من إذا قاطعوه وابتعدوا عنه وأساءوا إليه وصلهم واقترب منهم وأحسن إليهم.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه «أن رجلا قال يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ وأحلم عليهم ويجهلون على. قال. لئن كنت كما قلت فكأنهم تسفهم المل (المل: التراب الحار) ولايزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك» رواه مسلم. ورب العزة تبارك وتعالى يقول: **﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾** كما يقول فى الحديث القدسى «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب» والنبى الكريم يقول فيما رواه عنه قيس بن أبى حازم أن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول جهارا غير سر «إن آل أبى فلان ليسوا بأوليائى إنما وليى الله وصالح المؤمنين» وفى رواية أخرى عن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ولكن لهم رحم أبلها ببلالها يعنى أصلها بصلة الرحم التى أمر الله المؤمنين أن يقوموا بها».

وقال النووى معنى الحديث: أن وليى من كان صالحا وإن بعد منى نسبه وليس ولى من كان غير صالح وإن قرب منى نسبه. وفى هذا يقول سبحانه لإبراهيم: **﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾** سورة البقرة" آية ١٢٤.

كما يقول لنوح حين غرق ابنه ذاكرا وعد الله له بنجاته وأهله. وقوله ـ عليه السلام ـ **«رب إن ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم»** سورة هود: آية ٤٦.

وفى هذا المعنى يقول ابن حجر فى الفتح نقلا عن المشكاة: إنى لا أوالى أحدا بالقرابة وإنما أحب لله تعالى لما له من الحق الواجب على العباد وأحب صالح المؤمنين لوجه الله تعالى وأوالى من أوالى بالإيمان والصلاح سواء أكان من ذوى رحم أم لا ولكن أرعى لذوى الرحم حقهم لصلة الرحم.

العلاقة بالمخالفين

والإسلام وهو يدعو إلى احترام العلاقات الإنسانية لا يقف به الأمر عند الكلمة يلقى بها أخاه أو طلاقة الوجه حين يلقاه وإنما يتجاوز ذلك إلى تجسيد هذه العلاقة بما يؤكدها ويبرز ثمارها ولو كان ذلك مع المخالف فى الدين على نحو ما أشار إليه الحق سبحانه **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين»** سورة الممتحنة: آية ٨.

فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قدمت قتيلة على أسماء بنت أبى بكر بهدايا (ضباب وقرظ وسمن) (الضباب نوع من الحلوى) وهى مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها. فسألت عائشة النبى ﷺ فأنزل الله تعالى قوله: **«لا ينهاكم الله..»** الخ فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها. كما أجاز للمسلم الإهداء لقريبه غير المسلم. فعن عبدالله بن دينار قال: سمعت ان ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: رأى عمر حلة سِيَراء (ثوب رقيق جديد وهو بكسر السين وفتح الياء) تباع فقال يا رسول الله: ابتع (اشتر) هذه والبسها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفود. قال رسول الله: «إنما يلبس هذه من لا خلاق له» (بفتح الخاء بمعنى الوصف) فأتى النبى ﷺ منها بحلل فأرسل إلى عمر بحلة فقال عمر كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟ قال ﷺ إنى لم أعطها لتلبسها ولكن تبيعها أو تكسوها فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم» وفيه دليل على جواز صلة القريب الكافر والإحسان إليه قبل أن يسلم رواه البخارى.

جزاء الإحسان

ورب العزة تبارك وتعالى قد وعد المحسنين بالحسنى وأنه لا يضيع عنده عمل عامل من ذكر أو أنثى. الأمر الذى يثير فى النفس مصير عمل الذين دخلوا فى الإسلام وقد كانوا فى الجاهلية يأتون أمورا من الخير كصلة وعتاقة وصدقة وهل لهم فيها أجر. وان ذلك ليذكرنا بما كان من أمر عمرو بن العاص حين أراد الله له أن يشرف بالدخول فى الإسلام حيث قال لما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول: ابسط يدك فلأبايعك. قال فبسط فقبضت يدى. فقال مالك يا عمرو؟ قلت أشترط. قال تشترط ماذا؟ قلت أن يغفر لى قال أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما قبلها وأن الحج يهدم ما قبله» رواه مسلم.

عدالة كاملة

هذا هو الإسلام الذى لا يظلم امرؤ فى ظلاله ودستوره يعلن أن الحسنات يذهبن السيئات وأن التوبة من المسلم يبدل الله بها سيئاته حسنات والذى يعتقه بعد

كفر لا يعاقبه على ما فرط منه قبل الإسلام من زلات، فقد عظم الإسلام دمه وماله وعرضه فلا يؤخذ بما فرط منه قبل الدخول فى حظيرته من المنكرات. وان لَجَّ فى عناده وظل على كفره وقدم الخير فى دنياه أخلفه الله عليه فى حياته وعجل له طيباته قبل الممات حتى إذا جاء يوم الحساب لم يجد ما يشفع له أو تزكو به فى الميزان كفة الحسنات.

وأنه لفضل كبير لا يذهب سعى الإنسان هباء وأن الله عز وجل لا يبخل بعطائه عن المحسن ان كان غير مسلم فإن دخل فى الإسلام فهو له فى ميزان حسناته وإلا عجل له فى دنياه كفاء ما قدم من خير وأجزل فى الدنيا عطاءه له.

جزاء الإحسان والإساءة

وإذا كانت الدعوة الإسلامية تستهدف وحدة الإنسانية فى علاقة شيمتها التعاون وسمتها تبادل المنافع والمصالح وبذل النصح فى جميع ما يوثق بين بنى الإنسان العرى ويجمع الكلمة ويوحد الصف ويجنب الحياة ما يكدر صفوها أو يمزق أوصال الود بين أفرادها من أجل ذلك شدد الإسلام النكير على من يسعى فى تخريب هذه الصلة أو النيل منها بسوء فقال سبحانه **﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾** سورة الرعد: آية ٢٥.

وتأتى هذه الآية بعد الحديث عن الأخيار وما وصفهم الله به من محامد الخلال وكريم الصفات وأبرزها لا يرجون على فعل الخير من مخلوق جزاء ولا شكورا وإنما يدفعهم إليه أنهم مع الله يتعاملون وهم من خشيته مشفقون وفى يوم الحساب يفكرون وعلى ما يصيبهم فى دنياهم مما يكرهون صابرون ومن المثوبة على عملهم من ربهم يؤملون وعلى ما فرضه الله عليهم حريصون وبالإحسان إلى المسىء يتعاملون». أولئك مع صالحى أهلهم فى جنات مكرمون. والملائكة يدخلون عليهم من كل باب وهم يسلمون.. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. وحسبهم أن الله تبارك وتعالى وصفهم بأنهم أصحاب العقول الراجحة التى بها يميزون الخبيث من الطيب والقبيح من الحسن. ومؤدى ذلك أن هؤلاء الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل قد عطلوا ما به مازهم ربهم فجرفهم تيار الجهل إلى إهدار حق فرضه الله عليهم وهو صلة أرحامهم الأمر الذى يقوض اللبنة الأولى فى بناء المجتمع وهو الأسرة ويثير فى أرجائه روح الأحقاد والضغائن بل ويأتى على الكيان الأكبر الذى يجمع شتات المسلمين فى أخوة إيمانية تذوب فى بوتقتها قيم الحياة التى يعتز بها بنو الإنسان حيث تظلهم رحم الدين وهى الرحم العامة.

وثم فلا غرابة أن ينخرط قاطعو الرحم فى سلك الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وأن يسمهم بالإفساد فى الأرض ويتوعدهم باللعنة والطرد من رحمة الله وسوء العاقبة بما ينتظرهم من العذاب الأليم يوم العرض على رب العالمين».

درجات الصلة

وإذا كانت الرحم درجات بعضها أحق من بعض فإن بر الوالدين أول ما يجب الوفاء به فى أكمل صورة قولا وعملا. كما أنه فى المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله عقوقهما يلى فى الجرم الاشراك بالله عز وجل.

وروى أبو داود فى سننه عن كليب بن منفعة عن جده أنه أتى النبى ﷺ فقال يارسول الله من أبر؟ قال أمك وأباك وأختك

وأخاك ومولاك الذى يلى ذاك حق واجب ورحم موصولة.

وروى النسائى عن طريق المحاربى قال: قدمت المدينة فإذا رسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول: يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك» وبر الأم كما فى الحديث مقدم على هؤلاء جميعا. ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله «من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك وكررها ثلاثا قال ثم من؟ قال أبوك ثم أدناك فأدناك». كما يقول - صلوات الله وسلامه عليه - كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول. وقد أتت هند زوج أبى سفيان تشكو إلى رسول الله شح زوجها فهل لها أن تأخذ من ماله شيئا فقال لها ﷺ «خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف» وذلك ان الولد خير ما أنعم الله به على الإنسان فى الدنيا. ففى الحديث الذى رواه أبو داود أن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم فكلوه هنيئا مريئا».

ومن حديث جابر روى النسائى أن رسول الله ﷺ قال: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شىء فلأهلك فإن فضل عن أهلك فلذوى قرابتك فإن فضل عن ذوى قرابتك شىء فهكذا وهكذا» يعنى ذوى رحمك العام فى الدين. وذلك هو التجسيد العملى لمراتب الصلة وهو ما يشير إليه الحق سبحانه فى قوله **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى﴾** وقوله سبحانه **﴿وآت ذا القربى حقه﴾** فجعل سبحانه ذوى القربى يلى فى الترتيب حق الوالدين. فإذا كان المال عصب الحياة وبه يستمر عطاؤها وبقاؤها وبدونه تسرع بها إلى الخطا البوار بل إلى الفناء. كالماء فى الصحراء تحمله العيس والظمأ يكاد يقتلها عطشا وهو محرم عليها. الأمر الذى حرمه الإسلام لما فيه من الأضرار بها وربما تعرضت للهلاك ويصبح أمر من يهمل ذوى قرابته ورحمه كأمر هذه العيس. والشاعر العربى يقول منكرا على قاطع رحمه شعرا:

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

فإلى أولئك الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس يبتغون أن يذكروا أو تلهج الألسنة بمدحهم أو يتزلقون بذلك لذى جاه ابتغاء غرض دنيوى ينالونه ويلبسون ما ينفقون ثوب الطاعة أو الصدقة. انهم ساء ما يفعلون وبئس ما يصنعون والنبى الكريم يقول «والذى نفسى بيده لا يقبل الله صدقة من امرئ وله رحم محتاج».

ألا إن من أعظم ثمار الإيمان الرحمة تحل فى قلب المؤمن فتحمله على فعل كل حسن وتنأى به عن كل قبيح وأقبح ما يجب أن يتنزه عنه قلب المؤمن الشح والقسوة وما قد يكنه المرء فى صدره من الأثرة والأنانية تلك الخصال التى نهى الحق عن التخلق بها حين قال **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك»** سورة الإسراء: آية ٢٩. فلا يدفعها إلى البسط والعطاء جسم ضاو أو كبد جائع أو امرؤ عار ذلك بأنه لا يرى الحياة فى شىء أكثر مما فى يده فهو حبيس آماله وآلامه ونظر قاصر على ما يجمع دون أن يعرف ما لله من حقوق فيه وما لغده الذى يلقى فيه ربه وما ينجيه منه.

الترغيب فى الإنفاق

وفى الحث على الانفاق والترغيب فيه وبيان فضله وأولى

الناس به يقول النبى ﷺ «من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها فهى له صدقة ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهى له صدقة» رواه ابن أبى الشيخ والطبرانى فى الأوسط.

كما قال ﷺ فيما رواه عنه ثوبان رضي الله عنه «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله. ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله وصلة ذوى الأرحام يضاعف الله بها الأجر» روه أحمد ومسلم.

ففى الحديث الصحيح: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة» كما كان أفضل ما ينفق من أنواع البر ما يقدم للمسئ منهم. ففى الحديث الصحيح أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الصدقات أيها أفضل قال ﷺ على ذى الرحم الكاشح» رواه أحمد والطبرانى بإسناد جيد و«الكاشح - الذى يضمر لك العداوة».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بير حاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء طيب فيها فلما نزلت هذه الآية **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾**. قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» وان أحب مالى بير حاء فإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله ﷺ «بَخٍ بَخٍ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت فإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين فقال أبو طلحة. أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه» متفق عليه. (بخ بفتح الباء وسكون الخاء وبكسرها منونة أى عظم الأمر وفخم وهى كلمة تقال للتعجب والاستحسان.

ومن منطلق معنى الرحم وأنها معنى من المعانى كما قال القاضى عياض وأنها ليست بجسم وإنما هى قرابة ونسب تجمعه رحم والدة وتصل بعضه ببعض ومن منطلق أن الرحم عامة وخاصة فالعامة رحم الدين وصلتها بالنصح والمودة والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة وأن الرحم الخاصة تزيد عنها بالنفقة إلى القريب كما قال القرطبى. وكما قال ابن حجر فى فتح البارى: الرحم على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب وسواء أكان يرثه أم لا وان من لا يرثون يسمون ذوى رحم.

من آثار البر دينا ودنيا

من هذا المنطلق يمكن القول أن الرحم وذوى الرحم يجتمعون وتزيد النفقة على القريب، وتفقد أحواله والتغافل عن زلاته وقد حددت الأحاديث ترتيب من تلزم النفقة عليهم بعدالوالدين قال تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾** وبذى القربى من الذين لهم قرابة بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرمت مناكحتها وقيل هو أعم من ذلك حتى يدخل أولاد الأعمام وأولاد الأخوال ويدل عليه قوله ﷺ ثم أدناك فأدناك. أى الأقرب فالأقرب ثم يأتى بعد ذلك ذوو الأرحام ثم رحم الدين لقوله ﷺ فى أهل مصر فإن لهم ذمة ورحما وحديث: «إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه» النووى على صحيح مسلم.

ولما كانت الأسرة النواة الأولى للمجتمع وكان الوالدان عمادها فإن الثمرة الأولى للأسرة الأولاد وكان من الضرورى رعاية هذه

الثمرة فهم ريحانة النفس ونور الوجود وسر الحياة. وثم فقد واكبت حقوقه نشأته فى نظر الإسلام منذ طفولته وذلك بتميز أشرف الأسماء وأحبها إلى الله عز وجل مثل محمد وأحمد وإبراهيم وفاطمة وزينب وشاء الحق سبحانه أن يوفر له النداء الذى يصلح له وكأن أمر الأم بإرضاعه والأب بالنفقة عليها وعلى طفلها. وهو القائل سبحانه **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف»** سورة البقرة: آية ٢٣٣ .ومثل ذلك السكنى. قال تعالى: **﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾** وكان التوجيه النبوى الكريم فى قوله ﷺ **«أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»** رواه ابن ماجه. وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» رواه الترمذى واللفظ له وأبو داود إلا أنه قال «فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة» وفى مرحلة البناء الأولى فإن على الأب أن يكفل ابنه أو ابنته فى جميع ما يحتاجه حتى إذا بلغ السابعة من عمره طولب بلون آخر من التربية وهو رياضته على ما ينشئه التنشئة القويمة دينيا وخلقيا. فقال ﷺ «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع» وهنا يأتى دور الرعاية المعنوية إلى جانب الرعاية المادية، وما أجمل ما أثر عن العرب فى هذا الجانب حيث يقول قائلهم «لاعب ولدك سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا ثم هو بعد ذلك عدو لك أو صديق».

وإذا كان الولد امتدادا لحياة أبيه وأمه فإن بره عليه ثواب عمله بعد مماته. ففى الحديث قال ﷺ «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم عن أبى هريرة.

وحتى لا ينصرف هم الآباء إلى تأمين الولد عاقبة الدهر فيكرس الوالد جهوده فى جمع المال له لا يعير الجانب الدينى والخلقى اهتماما. ذكرنا رسول الله ﷺ بأن الأبناء أمانة فإن رعيناها وحافظنا عليها فقد استجبنا لنداء الحق سبحانه **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»** سورة النساء: آية ٥٨. وإلا كنا لها خائنين وعنها إذا ماضيعت مسؤولين، والنبى الكريم يقول «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظه أم ضيعه» كما يقول ألا إنه لا إيمان لمن لا أمانة له. وثم يرشد ﷺ إلى الطريق الأقوم فى بناء الأبناء جسما وروحا ماديا ومعنويا إذ يقول «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن» وبه يصلح دنياه وآخرته وحتى لا يوغر صدر الأبناء بعضهم على بعض ذكورا كانوا أو إناثا فقد أمر بالعدل بينهم فى المعاملة وفى الميراث جعل لكل نصيبا مفروضا. كما لم يشهد على ما منحه النعمان بن بشير لطفله الصغير حيث قال ﷺ له «أكل ولدك نحلته مثله قال لا. قال أتحب أن يكونوا إليك فى البر سواء قال نعم. قال ﷺ فاردده فإنى لا أشهد على جور».

وإلى جانب ما سبق فإن الرسول ﷺ يحذر من الدعاء على الأولاد فيقول: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه. وجاء رجل إلى عبدالله بن المبارك فشكا إليه من بعض أولاده فقال له عبدالله هل دعوت عليه قال نعم. قال أنت أفسدته.

النساء يتصدقن

ومن طبيعة المسلم حب الخير والاستجابة لداعيه ففى الصحيح المتفق عليه أن زينب الخثعمية امرأة عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن. قالت فرجعت إلى عبدالله بن مسعود فقلت له: انك رجل خفيف ذات اليد (قليل المال) وأن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فإن كان ذلك يجزئ عنى (أى التصدق عليك وعلى أولادى فأصرفها عليكم) وإلا صرفتها إلى غيركم. فقال عبدالله: بل ائته أنت فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتى حاجتها وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة. فخرج علينا بلال فقلنا له ائت رسول الله ﷺ فأخبره ان امرأتين بالباب تسألانك. أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما (أى فى ولايتهما وتربيتهما) ولا تخبره من نحن. فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله. فقال رسول الله ﷺ من هما؟ قال امرأة من الأنصار وزينب. فقال رسول الله ﷺ أى الزيانب هى؟ فقال امرأة عبدالله فقال رسول الله ﷺ «لهما أجران أجر القرابة وأجر الصلة» متفق عليه.

من بر الولد بأبويه

كما إن إكرام الولد من كانت له بأبويه صلة من مودة أو رحمة نوع من البر بهما فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله «هل بقى من بر أبوى شىء ابرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما» رواه أبو داود. ولقى عبدالله بن عمر رجلا من الأعراب فى طريق مكة فرحب به عبدالله وأكرمه. فلما سئل عن سبب ذلك قال: إن والد هذا الرجل كان صديقا لأبى وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه» رواه مسلم.

صلة الرحم البعيدة

بل لقد تجاوزت الصلة، الرحم القريبة إلى الرحم البعيدة التى قد لا يذكرها إلا الذين يريدون إثراء روح العلاقات بين بنى الإنسان دون نظر إلى أرض أو لون أو لغة أو دين، فعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط، وفى رواية ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما. فإذا افتتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا» مسلم.

قال العلماء «القرابة والرحم التى لهم كون هاجر أم إسماعيل ﷺ منهم. والصهر مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم».

وفى الحديث الذى رواه النسائى عن جابر بن عبدالله (وقد تقدم) قوله فإن فضل عن أهلك شىء فلذوى قرابتك أى رحمك فإن فضل عن ذوى قرابتك شىء فهكذا وهكذا إشارة إلى رحم الدين الذى يجمع بين المسلمين على كلمة التوحيد ويربط بينهم برباط الأخوة الإيمانية التى لا تنفصم عراها» حيث كانوا.

قضاء عمر

ولقد حكم عمر رضي الله عنه على عصبة صبى أن ينفقوا عليه. فقد روى سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب أن عمر رضي الله عنه حبس عصبة صبى على أن

ينفقوا عليه الرجال دون النساء. وقال عبدالرزاق انبأنا ابن جريج اخبرنى عمرو بن شعيب أن ابن المسيب اخبره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقف بنى عم منعوس (بنى عم كلالة) بالنفقة عليه مثل العاقلة، فقالوا لا مال له فقال «ولو» قال ابن المدينى قوله ولو أى ولو لم يكن له مال. وذكر ابن شيبة عن أبى خالد الأحمر عن حجاج بن عمر عن سعيد بن المسيب قال. جاء ولى يتيم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أنفق عليه ثم قال لو لم أجد إلا أقصى عشيرته لفرضت عليهم. وحكم بمثل ذلك أيضا زيد بن ثابت قال: إذا كان أم وعم فعلى الأم بقدر ميراثها وعلى العم بقدر ميراثه ولا يعرف لعمر وزيد مخالف فى الصحابة والمسلمون فى شتى بقاع الأرض ليسوا وحدات لا تجمعها رابطة أو تضمها آمال متباينة أو أهداف متنافرة. وإنما ربط الإسلام برباط قلبى يوحد بينهم فى الآمال والآلام ويوثق بينهم عرى المحبة فى إطار من الأخوة الدينية التى هى التجسيد الحقيقى للعقيدة التى تملك على المرء كل مشاعره وما يخالجه من طموحات ومآرب فى ضوء ما تتركه هذه العقيدة من صلة للمؤمن بالله عز وجل ومراقبته فى جميع تصرفاته والإحساس بما يحقق المثالية الكاملة التى تنزه العلاقة بين الفرد وأخيه وبين المجتمع ونظيره على أى أرض وتحت أى سماء وفى هذا المقام يقول سبحانه **﴿إنما المؤمنون اخوة﴾** سورة الحجرات: آية ١٠.

ولقد سما الإسلام بهذه الأخوة عن التأثر بالأخوة النسبية، فيها اصطلح المتخاصمون وائتلف المتفرقون وساد العفو والصفح، والحق سبحانه يمتن على هؤلاء جميعا فيقول: **﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾** سورة آل عمران: آية ١٠٤.

بهذا صار المجتمع الإسلامى بالعقيدة والإيمان بالله أسرة واحدة تتقاسم الفرح والحزن والألم والسعادة والرحمة والعطف والنصح والمعونة مهما تناءت الديار وتعددت الأقطار وتباينت الألسن واللغات واختلفت الألوان واللهجات. ولقد تمثل ذلك واقعا فى أول مجتمع إسلامى بالمدينة فكان به سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى، وبعد أن أطفأ الإسلام جذوة الحرب والعداوة والبغضاء بين الأوس والخزرع وآخى بين الأنصار والمهاجرين. عند ذلك كله بهذا النداء الإلهى للمؤمنين فى هذه الدنيا وحيث وجدوا حيث يقول سبحانه: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله﴾** سورة التوبة: آية ٧١.

الرحم الموصولة

إنه رحم الدين يقدم القرآن الكريم به المنهج الذى يأخذ المؤمنون به حياتهم وفى مقدمته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذلك الإطار الذى يحيط الإنسان بسياج يجنبه التفريط فى حق وجب عليه أو الخروج والتعدى على حد من حدود الله يجب الالتزام به وأولى الحقوق بعد الإيمان الصلة بينه وبين خالقه فكانت الصلوات توثيقا لهذه العلاقة كما أنها الرباط الروحى الذى تأتلف به القلوب ويقوى به بنيان المجتمع يشد بعضه بعضا، ويأتى عقبه الرباط المادى حتى لا يكون فى المجتمع بائس أو مسكين أو محروم وهو حق هؤلاء فى مال الأغنياء قرره لهم مالك الملك ذو الجلال والإكرام.. إنها

زكاة المال كيلا يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم وليعيش الجميع فى سلام وأمن واطمئنان فإذا لم تف الزكاة ففى الصدقة ما يوفر للفقراء حد الكفاف وإذا كان هذا المنهج لحماية المجتمع المسلم ذى الحاجة فإن أفراد هذا المجتمع بحقوقهم الأخرى فى حصانة من ربهم حين يعلن النبى ﷺ تحريم العدوان على مقدرات حياتهم وأولها النفس والحفاظ عليها والمال وحياطته بكل صنوف الرعاية لأوامر الله فيه من صاحبه أن لا يهملها ومن الغير أن يعتدى عليه والعرض وقد جعله صنو الحياة أن تنتهك حريته حتى تنشأ الأسرة طاهرة على تقوى من الله ورضوان والعقل وهو الميزان الذى تستقيم فى كفتيه مقاليد الحياة على عين من هدى السماء وهو دين الله الذى بعث به الحق سبحانه صفوة خلقه من الأنبياء. كما جعله الشارع مناط التكليف وحرم أن يهدده صاحبه أو يأتى ما يعطله أو يقضى عليه أو يعتدى من الغير عليه بأى نوع من أنواع الاعتداء.

خاتمة

وبعد فإن الإسلام وهو يأمر بصلة الرحم وينذر قاطعيها بأشد أنواع العقاب ينزع بالبشرية كلها إلى أصلها الأول الذى أشار إليه الحق سبحانه بقوله **﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام﴾** سورة النساء: آية ١.

وإذا كنا جميعا أبناء لأب واحد فلا يصح أن نتعدى حدود الله فى علاقاتنا خاصة حدود القربى والرحم فى الإنسانية.

ويأتى قوله تعالى فى سورة الحجرات **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** سورة الحجرات: آية ١٣. ولحكمة بالغة كان قوله تعالى **«وجعلناكم شعوبا وقبائل»** وفيه الإشارة إلى أن بنى آدم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم هم فى الأصل إخوة خالقهم واحد وأصلهم واحد وكلهم لآدم وأمهم حواء فلا تفاضل بينهم فى الأصل حتى يتعالى بعضهم عل بعض وإنما واجبهم أن يتواصلوا ولا يتقاطعوا وأن يتوادوا ويتراحموا فلا أنانية ولا أثرة ولا شحناء أو بغضاء وأن يتعاونوا فيما يعود بالخير عليهم وعلى بنى جنسهم.

وذلك ما يشير قوله سبحانه **«لتعارفوا»** على أن القيمة الحقيقية للإنسان رهن بما يسدى للغير من معروف، لا بما يملك من مقدرات الحياة فالمعيار الحقيقى هو ما يفىء من العمل الصالح على البشرية بالأمن والرخاء ويقيها ما يضرها فى دينها أو دنياها وهو فى دينها أعلى قدرا وأعظم أجرا وثم فقد كرم الإسلام كل من عاش فى كنفه متعاونا مسالما وكفل له جميع الحقوق الحياتية فله ما للمسلم من حقوق وعليه ما عليه من واجبات يرعاها المسلم زلفى إلى الله يبغى أجرها وهو القائل **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** وقد أودع سبحانه ذلك كله فى قوله **﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾** سورة طه: اية ١٢٣. نسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج

د. أحمد عمر هاشم

وقد تحرى الإمام مسلم فى كتابه تمحيص الروايات والموازنة بينها وتحرير ألفاظها، وقطع فى سبيل ذلك الرحلات الواسعة واستعان ببعض تلاميذه فى كتاباته وتحريره.

واستغرق فى تأليفه خمس عشرة سنة، روى عن أحمد بن سلمة أنه قال: كتبت مع مسلم فى تأليف صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث، ومما يدل على تحريه للروايات الصحيحة وشدة نقده وتمحيصه قوله: ما وضعت شيئا فى هذا إلا بحجة، وما اسقطت منه شيئا إلا بحجة، ولشدة حيطته كذلك فيما دون أنه قام بعد الفراغ من تأليفه بعرضه على أئمة المحدثين لينقدوه وليروا فيه رأى الحق، وهذه سمة العلماء المخلصين يبتغون الحق ويرون فى الرجوع إليه إذا ظهر فضيلة، قال الإمام مسلم: «عرضت كتابى على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته ،وكل ما قال إنه صحيح وإنه ليس به علة خرجته»[١].

سبب تصنيف الإمام مسلم «للمسند الصحيح»:

قام الإمام مسلم بتأليف كتابه فى وقت كانت الحاجة فيه ملحة لظهور مثل هذا الكتاب خاصة، وقد توجه إليه بعض المعاصرين وسأله أن يلخص مؤلفاً فى جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله ﷺ فى سنن الدين وأحكامه وما كان منها فى الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وغير ذلك بالأسانيد التى نقلت بها وتداولها أهل العلم فيما بينهم.

وقد صادف هذا السؤال من أحد المعاصرين هوى فى نفس الإمام إذ كان لديه الاستعداد والرغبة من

التعريف بالكتاب:

هو المسند الصحيح الذى طبقت شهرته الآفاق وتلقته الأمة بالقبول، انتقاه الإمام مسلم من آلاف الروايات، روى الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى بإسناده لمسلم رحمه الله قال: (صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموع) وبهذا القول يتضح الاسم الأصلى لصحيح مسلم وهو (المسند الصحيح) أخذا من قوله السابق: (صنفت هذا المسند الصحيح).

قبل وكان يحفزه لهذا العمل دافعان:

الأول: رغبته فى القيام بجمع طائفة من الأحاديث الصحيحة المتصلة إلى رسول الله ﷺ على وجه يسهل على العامة والخاصة النظر فى وجوه الحديث واستثمارها وتقريبها للباحثين فى الفقه وغيره حتى يمكن الوقوف على كل العطاء الذى تمنحه السنة النبوية، ذلك لأن المصنفات فى ذلك العصر كانت صعبة المأخذ ممزوجا فيها الصحيح بغيره. ولئن كان الجامع الصحيح للإمام البخارى مرتبا على الأبواب إلا أن الكشف فيه يحتاج إلى من له خبرة دقيقة بفنون الحديث لخفاء تراجمه على غير أهل الخبرة.

الثانى: ما كانت عليه الحال آنئذ قبل جمع الصحيحين من اختلاط الأحاديث القوية بالضعيفة والصحيحة بغير الصحيحة، وما قام به القصاص والزنادقة والجهلاء وأهل الأهواء من إغراء العامة وتشويه الحقائق أمام أعينهم وإبراز أخبار منكرة فى صورة أحاديث صحيحة، كل ذلك كان حافزاً للإمام مسلم أن يقدم كتابا شاملا للأحاديث الصحاح التى يطمئن الناس إليها ويشتغلون بها ويبتعدون عن تيارات الفساد والتضليل.

واستجابة لهذا كله نهض الإمام مسلم بتصنيف كتابه فى بلده وفى حياة الكثير من شيوخه متحريا فى الألفاظ وفى السياق، ولا يتصدى لما تصدى له البخارى من استنباطات فقهية أو تفريعات علمية وقدم لكتابه بمقدمة علمية تعتبر من المؤلفات المبتكرة فى علم أصول الحديث واحتوت على خطته التى سار عليها فى تصنيف كتابه والباعث الذى دفعه إلى هذا التصنيف موضحا أن ضبط القليل المتقن أيسر من معالجة الكثير عند غير المتخصصين. قال الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه: (إن ضبط) القليل من هذا الشأن واتقانه أيسر على المرء من معالجة الكثير منه ولا سيما عند من لا تمييز عنده من العوام إلا بأن يوقفه على التمييز غيره وإذا كان الأمر فى هذا كما وصفناه فالقصد منه إلى الصحيح القليل أولى بهم من ازدياده)(٢).

ويتضح مما سبق أن الإمام مسلما أراد بتأليفه هذا الكتاب أن يقوم بتقريب السنة النبوية إلى الناس على منهج مستساغ مناديا كل محب لها وكل راغب فى الاستشهاد والاستباط كما أراد أن يظهر ما صح من أحاديث الرسول ﷺ فى ثوبها الإلهى المشرق بالحق الدامغ لأباطيل الزنادقة والقصاص والجهلة.

منهج الإمام مسلم فى كتابه:

تأثر الإمام مسلم بالإمام البخارى فنهج منهجه فى تأليف صحيحه فجمع الحديث الصحيح المجرد عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين وبوبه على أبواب العلم من فقه وغيره إلا أنه اقتصر على سرد المسند دون ذكر الموقوفات إلا نادرا، ولم يذكر تراجم للأبواب كما صنع البخارى وإنما قام بالتبويب والترجمة من تصدى لشرحه لا سيما الإمام أبو زكريا النووى. وقد سلك الإمام مسلم فى صحيحه طريقة حسنة، إذ قام بجمع المتون كلها بطرقها فى موضع، فلم يقطع الحديث فى أبوابه كما فعل البخارى، قال النووى: «وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة وهى كونه أسهل متناولا من حيث أنه جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به جمع فيه طرقه التى ارتضاها واختار ذكرها وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فيسهل على الطالب النظر فى وجوهه واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه بخلاف البخارى فإنه يذكر تلك الوجوه المختلفة فى أبواب متفرقة ومتباعدة ويذكر

الكثير منها فى غير بابه الذى يسبق إلى الفهم أنه أولى به وذلك لدقيقة يفهمها البخارى منه فيصعب على الطالب جمع طرقه وحول الثقة بجميع ما ذكره البخارى من طرق هذا الحديث أ . هـ.

والذى سهل للإمام مسلم سلوك هذا المنهج فى كتابه أنه لم يقصد فى جمع الأحاديث النبوية عرض ما فيها من أحكام فقهية وغيرها، أما البخارى فقد قصد ذلك، ولذا اضطر إلى طريقته التى سلكها فى تقطيع الأحاديث وذكرها فى أبواب متعددة ومتباعدة، ومن دقة الإمام مسلم فى كتابه واعتنائه أنه تحرى التمييز بين «حدثنا وأخبرنا» فأما لفظ حدثنا فلا يجوز إطلاقه إلا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة، وأما أخبرنا فأطلقه على ما قرىء على الشيخ، وهذا هو مذهب الإمام الشافعى وأصحابه وجمهور أهل العلم بالمشرق وهو مذهب أكثر أصحاب الحديث. وروى ذلك أيضاً عن ابن جريج والأوزاعى وابن وهب والنسائى وصار هو الشائع الغالب على أهل الحديث. وذهب جماعة من العلماء إلى جواز إطلاق «حدثنا وأخبرنا» فيما قرىء عن الشيخ وهو مذهب الزهرى ومالك وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم من المتقدمين وهو مذهب الإمام البخارى ومعظم الحجازيين والكوفيين.

وذهبت طائفة إلى أنه لا يجوز إطلاق «حدثنا ولا أخبرنا» فى القراءة وهو مذهب ابن المبارك ويحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل والمشهور عن النسائى.

وكما عنى الإمام مسلم بلفظ «حدثنا وأخبرنا» عنى أيضا بضبط ألفاظ الرواة وبيان اختلافها بقوله حدثنا فلان وفلان واللفظ لفلان قال أو قالا حدثنا فلان، كما كان يبين ما هناك من اختلاف فى حرف من متن حديث أو صفة الراوى أو نسبه سواء أكان بعض هذه الأمور يتغير به المعنى أو كان لا يتغير به.

ومن تحرى الإمام مسلم: دقته فى رواية صحيفة همام بن منبه عن أبى هريرة كقوله حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا عبد الرزاق معمر عن همام قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ: **«إذا توضأ أحدكم فاستنشق»** الحديث، وذلك لأن الصحائف والأجزاء والكتب المشتملة على أحاديث بإسناد إذا اقتصر عند سماعها على ذكر الإسناد فى أولها ولم يجدد عند كل حديث منها وأراد إنسان ممن سمع كذلك أن يفرد حديثا منها غير الأول بالإسناد المذكور فى أولها فهل يجوز له ذلك؟ قال وكيع بن الجراح ويحيى بن معين وأبو بكر الإسماعيلى الشافعى الإمام فى الحديث والفقه والأصول: يجوز ذلك. وهذا مذهب الأكثرين من العلماء، لأن الجميع معطوف على الأول فالإسناد المذكور أولا فى حكم المعاد فى كل حديث وقال الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني: لا يجوز ذلك فعل هذا من سمع هكذا فطريقه أن يبين ذلك كما فعله مسلم فمسلم رحمه الله سلك هذا الطريق ورعا واحتياطا وتحريا واتقانا. ومن ذلك تحريه فى مثل قوله «حدثنا» عبد الله بن مسلمة حدثنا سليمان يعنى ابن بلال. عن يحيى وهو ابن سعيد فلم يستجز رضي الله عنه أن يقول سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد لكونه لم يقع فى روايته منسوبا فلو قاله منسوبا لكان مخبرا عن شيخه أنه أخبره بنسبه ولم يخبره، ومن دقته أيضا احتياطه الشديد فى تلخيص الطرق وتحويل الأسانيد فى عبارة موجزة تؤدى المعنى على التمام، كما امتاز منهجه بروعة الترتيب وجمال التنسيق والدقة العلمية فى قواعد الإسناد والمتن. وهكذا يطالعنا منهج الإمام مسلم فى تدوين كتابه على

الأمانة مما يعلمه وعلى الدقة الفائقة بفنون الحديث وعلى حسن العرض والتنسيق مما يشهد له بتضلعه فى الحديث وإمامته فيه.

وقد قسم الإمام مسلم الأحاديث ثلاثة أقسام، والرجال ثلاث طبقات من حيث العدالة والضبط وذلك دون تكرار إلا لضرورة تقتضى تكرار الحديث كزيادة المعنى فى الطريق الآخر وبيان علة فى إسناد بمقارنته بغيره من الأسانيد.

القسم الأول: مارواه الحفاظ المتقنون الذين بلغوا أقصى درجات الصحة فى رواياتها.

القسم الثانى: ما رواه المستورون المتوثقون فى الحفظ والاتقان المتصفون بالصدق.

القسم الثالث: ما رواه الضعفاء والمتروكون.

فإذا ما فرغ من القسم الأول أتبعه الثانى وأما الثالث فلا يعرج عليه فذكر فى كتابه حديث الطبقتين الأولين وأتى بأسانيد الثانية منهما على طريق الاتباع للأولى والاستشهاد أو حيث لم يجد فى الأولى شيئا وهذا ما رآه القاضى عياض، وقد رأى الأمامان أبو عبد الله الحاكم وأبو بكر البيهقى رحمهما الله أنه ذكر القسم الأول وعاجلته المنية قبل إخراج القسمين الباقيين وتأول الحاكم أنه إنما أراد أن يفرد لكل طبقة كتابا ويأتى بأحاديثهما خاصة، ويرى ابن سفيان صاحب مسلم أن مسلما أخرج ثلاثة كتب من المسندات: أحدها هذا الذى قرأه على الناس وقال ابن عساكر: إنه رتب كتابه على قسمين وقصد أن يذكر فى الأول أحاديث أهل الثقة والاتقان وفى الثانى أحاديث أهل الستر والصدق(٣).

والذى أراه أن هذا ليس مراد الإمام مسلم ولكنه قد خرج أحاديث الطبقتين الأولين كما هو موجود فى كتابه وكما ظهر من تأليفه ولم يذكر شيئا من أحاديث الطبقة الثالثة وهذا هو ما رجحه القاضى عياض.

رموز كتاب الإمام مسلم:

سلك الإمام مسلم أيضاً مسلك الإيجاز فى كتابه فقام بجمع الطرق منتهجا طريقة التحويل ورمز إليها بحرف (ح) والمذهب المختار أنها مأخوذة من التحويل لتحوله من الإسناد إلى إسناد آخر، وأن القارىء إذا وصل إليها يقول (ح) ويستمر فى قراءة ما بعدها، وقيل إنها من حال بين الشيئين إذا حجز لكونها حالت بين الإسناد وأنه لا يلفظ بها عند الانتهاء إليها بشىء وليست من الرواية، وقيل إنها رمز إلى قوله الحديث، وأن أهل المغرب كلهم يقولون إذا وصلوا إليها الحديث، وقيل : إنها رمز إلى لفظ (صح) وحسنت كتابتها لئلا يتوهم أنه سقط متن الإسناد الأول وهى كثيرة فى صحيح مسلم قليلة فى صحيح البخارى.

ولطريقة التحويل التى انتهجها الإمام مسلم فى كتابه ثمرة وهى الإيجاز حيث يكون للحديث أكثر من إسناد وبين الأسانيد اتفاق فى بعض الرواة ومغايرة فى البعض فيأتى بموضع الاختلاف وإذا ما انتهى إلى موضع الاتفاق يحول إلى إسناد آخر وذلك بدلاً من أن يسوق كل رواية على حدة ولم يكثر الإمام مسلم رحمه الله فى كتابه من التعليق، إذ ليس فى كتابه منها إلا اثنا عشر موضعا وهى فى المتابعات لا الأصول. وكل وما ورد فى الكتاب من التعاليق إنما هو موصول من جهات صحيحة.

الهوامش

(١) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووى ص ١١ ط للشعب.

(٢) مقدمة صحيح مسلم ص ٣٧.

(٣) كشف الظنون جـ ١ ص ٥٥٦، مقدمة شرح النووى على صحيح مسلم ص ١٦ . ١٨.

حديث الإسلام والإيمان والإحسان

د. محمد السعدى فرهود

روى الإمام مسلم فى صحيحه، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد؛ أخبرنى عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت؛ فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان، قال ﷺ: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرنى عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرنى عن الساعة، قال ﷺ: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرنى عن أماراتها، قال ﷺ: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاه يتطاولون فى البنيان. ثم انطلق، فلبث ﷺ مليا، ثم قال: ياعمر، أتدرى من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم».

أوضح الحديث حقيقة كل من: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وألمّ بوظائف الأعمال الظاهرة والباطنة التى ترجع الشريعة الغراء إليها. وفيه بيان لأركان الإسلام وقواعده الخمس، وبيان لمحاور الإيمان والإحسان، فمن الواجب: الإيمان بالله رباً واحداً قادراً متصفاً بالكمالات الربانية، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبسائر الغيبيات التى تخفى عن الخلق، وخاصة ما يتصل منها بأمور الساعة، التى كشف الحديث عن بعض مقدماتها فى أخريات حياتنا الدنيا، كنذر يعتبر بها العباد، فيستبقون إلى الخيرات وعمل الصالحات، يطلبون بها جنة الله ونعيمه الدائم المقيم فى الدار الآخرة. وفى الحديث: بيان لما ينبغى أن يأخذ العبد نفسه به، من إحسان الصلة بينه وبين الله - جل جلاله - والإخلاص له، ومراقبته.

ويؤخذ من بعض الروايات أن نفراً من الصحابة كانوا يسألون النبى ﷺ هذه الأسئلة التى جاء جبريل عليه السلام يسأل عنها، وكان الرسول ﷺ يجيبهم بحسب ما يعلم، ثم كثر سؤالهم عن الغيبيات وعن الساعة بخاصة، حتى أعنتوا الرسول ﷺ، وكره هو أن يصيبهم مكروه من التفكير فى أمور الغيب، وأحسوا ذلك منه، فكفوا عن سؤاله، ثم فتح الرسول ﷺ لهم باب المسألة، ولكنهم هابوا سؤاله، حتى لا يعنتوه ولا يعنتوا أنفسهم مرة أخرى، فأرسل الله جبريل فى هيئة رجل، ليسأل الرسول ﷺ عن كل ما يدور بأخلادهم، وجاءه متجملا فى هيئة حسنة وزى حسن،

ليقدم بين يدى الرسول ﷺ - مثالاً لما يجب أن يكونوا عليه إذا هم تزاوروا، أو وفدوا على الأئمة. واستأذن جبريل عليه السلام حتى جلس بين يدى الرسول، فأسند ركبتيه إلى ركبتى الرسول ﷺ كفعل الراغب فى التعلم بين يدى أستاذه، يُظهر له التواضع والخشية، ووضع كفيه على فخذيه للاستئناس أو زيادة فى الأدب، ثم ناداه باسمه (يامحمد)، كما كان العرب يفعلون، وتكملة للصورة التى جاء عليها، وترسيماً لإخفاء شخصيته على الحاضرين، فإنه لا يريد أن ينكشف لهم أمره حال حضوره، وبهذا كله: شدّ انتباههم إليه بمظهره وبمسلكه، ومن بعد هذا يشدهم إلى المسائل التى يثيرها.

سأل جبريل رسولنا الكريم - **أولاً** - عن الإسلام. والإسلام فى أصله هو الاستسلام، ويعنى هذا الانقياد الظاهر، فالإسلام هو ظاهر هذا الدين، بمعنى أنه هو الذى يظهر للناس. ويثبت حكم الإسلام فى نطق العبد بالشهادتين، ثم أضيف إليه أربعة الأركان الأخرى: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، لكونها أظهر شعائر الدين وأعظمها شأناً، وبإقامتها يكمل الاستسلام لشرع الله جل جلاله وإن شئت فقل: بها يصحّ الإسلام. وهذه الأركان الخمسة تمارسها أعضاء العبد.

وقد ظهر لنا جميعاً أن تقديم الشهادتين على سائر الأركان مقصودٌ به تحصيل الإسلام بهما، ويكون باقى الأركان مشروطاً بالشهادتين ومبنياً عليهما.

وثنى بالصلاة؛ لأنها عماد الدين، وهى الفارق الواضح بين من أسلم ومن لم يسلم، ولأنها تتكرر كل يوم. وبعدها الزكاة، وهى قرين الصلاة فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، وتجب فى المال سواءٌ أكان المسلم مكلفاً أم غير مكلف، ثم الصوم، لأنه يتكرر كل عام. أما الحج فإنه يجب فى العمر مرة واحدة، ومشروط أداؤه بالاستطاعة والقدرة.

وثانيا: سأل جبريل رسولنا الكريم عن الإيمان.

والإيمان فى أصله هو التصديق، وهو عملٌ من أعمال القلب، لا يطّلع عليه إلا الله تعالى شأنه وقد انصبّ الإيمان فى هذا الحديث على تصديق محدّد بستة أمور: بالله، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وليس من شك فى أن التصديق بالله هو أُسّ الإيمان وركنه الأساسى وقاعدته العريضة؛ لأن من آمن بالله آمن بسائر المكونات الأخرى، وعند التحقيق نجد أن تخصيص الإيمان بهذه المكونات إنما هو بيان لأصل الإيمان، بل لا مانع من أن يتناول الإيمان حقيقة الإسلام كما قررها الحديث، ويتناول أيضاً سائر الطاعات؛ لأنها جميعا من ثمرات التصديق الباطنى الذى هو أصل الإسلام، وقد قالوا فى تفسير قوله تعالى: **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾** البقرة ١٤٣. معناه: وما كان الله ليضيع صلاتكم، فأطلق اسم الإيمان على الصلاة. وفى قوله تعالى: **﴿هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾** الفتح ٤. معناه أن الإيمان قول وعمل يزيد بزيادة ثمراته وينقص بنقصها، أى يزيد بزيادة الطاعات وينقص بنقصها. كما أن الإسلام أيضا يتناول ما هو أصل الإيمان، وهو الشهادة بالله رباً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، فالشهادة تقتضى التيقن والاعتقاد، كما يتناول الإسلام أصل الطاعات، ويجتمع فى هذا كله الاستسلام والانقياد والإذعان.

والإيمان بالله ليس يعنى فقط مجرد التصديق بوجوده سبحانه وأنه الخالق، فلقد كان المشركون يرون ذلك ولم يَعدّه الله منهم إيماناً، وحكى عنهم: **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾** الزخرف ٨٧. وقوله سبحانه: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾** العنكبوت ٦١. وقوله: **﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾** العنكبوت ٦٣. فهذا الاعتراف بوجود

الله وبأنه الخالق لا يكفى فى تحقيق الإيمان، وإنما يجب أن يكون مع التصديق بوجود الله الإقرار بوحدانيته فى ذاته وصفاته وأفعاله وخلقه، واتصافه بكل كمال، وتنزهه عن كل نقص ومحال، فلا شريك له، ولا يشبهه شىء فى الوجود، بل هو منزهٌ عن الشريك وعن الشبيه، ومنزه عن صفات المخلوقات، وهو الحاكم المدبر المتفرد بالحكم والتدبير، الفعال لما يريد، المتصرف فى ملكه كما يشاء.

ووحدة المعبود الحق تتفق وقضية العقل، وتقبلها الفطرة البشرية السليمة. قال تعالى: **﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ۝ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ۝ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ۝ سيقولون لله قل أفلا تتقون ۝ قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ۝ سيقولون لله قل فأنى تسحرون ۝ بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ۝ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ۝ عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾** المؤمنون ٩٢/٨٤.

ومن الظاهر فيما نعلمه تاريخياً: أن عقيدة التوحيد ترجع إلى مبدأ تاريخ الإنسان، وتدل أعمال التنقيب التى أجريت فى المشرق العربى على أن الإيمان بإله واحد يرجع إلى المراحل المبكرة لتاريخ الإنسان. كما أن المعرفة بألوهية الخالق ليست بعيدة عن إدراك أىّ بشر سوى.

والإيمان بملائكة الله: هو التصديق بوجودهم، وأنهم **﴿عباد مكرمون ۝ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾** الأنبياء ٢٦، ٢٧. **﴿وهم لا يستكبرون ۝ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾** النحل ٤٩/ ٥٠. **﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾** التحريم ٦. وهم خلق نورانيون طاهرون وقادرون على التشكل بما شاء الله لهم من الأشكال، وهم يبلغون من الكثرة ما لا يعلمه أحد إلا الله جل جلاله. وتجب علينا معرفة عشرة منهم بأسمائهم، وهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، ومنكر، ونكير، ورضوان، ومالك، ورقيب، وعتيد.

ولقد نعلم أن المخلوقات ـ من حيث العقل والشهوة ثلاثة صنوف: الملائكة لهم العقل، والبهائم لها الشهوة، والناس لهم العقل والشهوة، فمن غلبت عليه إحداهما كان أدنى ـ أى أقرب ـ إلى صنفه.

والإيمان بكتب الله، هو التصديق بأنها كلام الله، وأن جميع ما تضمنته حقّ، وأنها أنزلت من لدنه سبحانه وتعالى على رسله من البشر. وقيل: إنها مائة كتاب وأربعة كتب (٥٠ لشيث + ٣٠ لإدريس + ٢٠ لإبراهيم + ١٠ لآدم وقيل: إنها لموسى قبل التوراة + الأربعة الأخيرة، وهى التوراة لموسى، والزبور لداود، والإنجيل لعيسى، والقرآن لمحمد صلى الله عليهم أجمعين. وهذه الأربعة الأخيرة تجب معرفتها بأسمائها.

والإيمان برسل الله من البشر: هو التصديق بهم، وبأنهم من البشر، اصطفاهم الله لرسالاته، وأرسلهم إلى الناس **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾** النساء ١٦٥. والتصديق بأنهم بلغوا رسالات ربهم، وكانوا صادقين فيما أخبروا به عن الله جل جلاله، وبأن الله أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وبأنه يجب احترامهم **﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾** البقرة ١٣٦.

والرسل كثيرٌ عددهم. ويجب علينا أن نعرف خمسة وعشرين منهم بأسمائهم، وهم بحسب ترتيبهم الزمنى: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وأيوب، وذو الكفل، ويونس، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد ـ صلوات الله وسلامه ـ عليهم أجمعين.

ومن هؤلاء الرسل خمسة اتصفوا بأولى العزم، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه إلى يوم الدين.

الصلاة على النبى ﷺ في القرآن الكريم والسنة

أ. زكريا أحمد محمد نور

ذكر سهل بن عبد الله التسترى: «أن موسى عليه السلام قال: يارب أرنى بعض درجات محمد وأمته: قال الله: ياموسى إنك لن تطيق ذلك ولكنى أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقى. قال: فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت أن تتلف نفسه من نورها قال موسى عليه السلام: يارب بماذا بلغت به هذه الكرامة؟ قال: بخلق اختصصته به من بينهم ألا وهو الإيثار ياموسى، لا يأتينى أحد منهم عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتى حيث شاء»، وأن الصلاة على رسول الله واجب نؤديه لنشكره لاننا اهتدينا بنور الإيمان على يديه يقول الله تعالى «وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم» (الشورى ٥٢).

ندعو الله فيها لنصلى على رسول الله ﷺ وقد جاءنا بالإسلام، وبالصلاة على رسول الله - ﷺ - لتصبح شخصية رسول الله - ﷺ - ماثلة فى قلوبنا حية بنورها.

الصلاة على النبى - ﷺ - والقرآن الكريم:

يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز: **«إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما»** (الأحزاب ٥٦)، قد اتفق العلماء من السلف والخلف فى المذاهب الأربعة كلها على وجوب الصلاة على النبى - ﷺ - بناء على نص هذه الآية التى تتضمن الأمر بها فقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين فى هذه الآية بأن يصلوا ويسلموا على النبى - ﷺ - بعد أن ذكر أن الله وملائكته يصلون عليه والأمر للوجوب مع ما فى سياق الآية من الحث على المأمور به.

قال الخازن فى تفسير هذه الآية: اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبى - ﷺ -، ثم اختلفوا، فقيل:

تجب فى العمر مرة وهو قول الأكثر. وقيل: تجب فى كل صلاة فى التشهد الأخير وهو مذهب الإمام الشافعى، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

وقيل: تجب كلما ذكر، واختاره الإمام الطحاوى من الحنفية، والحليمى من الشافعية.

والواجب (اللهم صل على محمد ومازاد على ذلك فهو سنة)، وجاء فى تفسير أبى السعود:

الآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه.

وقيل يجب ذلك كلما جرى اسمه لقوله - ﷺ - «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على».

ثم قال أبو السعود فى تفسيره:

والذى يقتضى الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه - ﷺ - أن يصلى عليه كلما جرى اسمه الرفيع.

ويفهم من كلام ابى السعود فيما رواه عن غيره أن الغرض من الصلاة عليه - ﷺ - الاعتناء والاهتمام بإظهار شرفه وتعظيم شأنه.

هذا ولعل السر فى الترغيم المذكور فى الحديث على من لم يصل عليه عند ذكر اسمه - ﷺ - إن في عدم صلاته عليه دليلا على ضعف الإيمان وقلة الاهتمام بشأن رسول الله - ﷺ - بدليل قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالداه والناس أجمعين».

فضل الصلاة على النبى - ﷺ -

وصلاة الله على النبى - ﷺ - ثناء ورفع درجات، أما الصلاة من الملائكة فهى دعاء الله وتقرب من رسول الله واتصال به، ثم أمرنا بعد ذلك أن نصلى على رسول الله - ﷺ - فنطلب من الله أن يزيد الصلاة عليه وهو دعاء الرب وذكر له واتصال برسوله وكفى بصلاة الله على رسوله فضلا عظيما.

يقول ابن كثير فى تفسيره: إن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده عنده فى الملأ الأعلى، ثم أمر الله تعالى الملائكة أن تصلى عليه، ثم أمر الله تعالى العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعا ويقول الله تعالى: **«ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلاً، هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً،»** (الأحزاب ٤١ - ٤٣).

ولقد قال النبى - ﷺ -: «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف[1] وتلك سنة الله التى فطر الناس عليها، إن الله يتولى من أحبه بالصلاة عليه وملائكته فما بالك برسول الله وقد أحبه الله، والله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً أرسل جبريل إلى أهل السماء فيقول: ياأهل السماء إن الله يحب عبده فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم ينادى ياأهل الأرض. إن الله يحب عبده فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء وأهل الأرض ويكتب الله له القبول فى الأرض وفى السماء.

ولقد أكرم الله رسوله وأحبه وأثنى عليه بالصلاة عليه، ولقد جعل الملائكة يصلون عليه ثم منّ عليه بصفات خاصة كما منّ على النبيين من قبله ثم اختصه بصفات كمالية سامية وأطلق عليه ﷺ صفتين عظيمتين من صفاته وهما: (رءوف رحيم).

ولقد قال تعالى: **«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه**

(١) رواه ابو داود وابن ماجه وابن حبان.

ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم» (التوبة ١٢٨).

لقد كان أصحاب رسول الله - ﷺ - يصلون على رسول الله - ﷺ - وهم يعلمون: أن من أفضل العبادة لله - سبحانه وتعالى - والقربى إليه طلب صلاته - سبحانه - على رسوله - ﷺ - بقولنا **«اللهم صل على محمد»** وغيرها من الصيغ الواردة عنه ﷺ.

وفى الكتاب العزيز حث على هذه الصلاة لما فيها من اتباع الله - سبحانه - وملائكته - عليهم السلام - إذ يقول - تعالى:

«إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» (الأحزاب ٥٦).

إن - فى صلاتنا على رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - تخلقا بأخلاق المولى - عز وجل وتشبها بالملائكة. ثم هى طهارة لنا وتقرب إلى الله - تعالى - ورسوله - عليه الصلاة والسلام.

الصلاة على النبى - ﷺ - فى السنة النبوية الشريفة:

القرآن الكريم هو الأصل الأول فى الدين الداعى إلى السنة، والسنة هى الأصل الثانى فى الدين وهى المبينة للقرآن والمفصلة لإجماله والمستقلة بالتشريع، لذلك قال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى».

لقد صدقت يارسول الله فهأنذا أعرض بعض الأحاديث الصحيحة فى فضل الصلاة والسلام عليك بعد ذكر ما وفقنى الله لذكره فى مفهوم، الصلاة عليك فى قرآنه.

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من صلى علىّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً» ونأخذ من هذا الحديث فضل الصلاة على النبى - ﷺ - لأنه يدل دلالة واضحة على أن صلاة واحدة من أى فرد من أفراد الأمة ذكرا كان أم أنثى على النبى - ﷺ - تجلب إليه عشر صلوات من الله عز وجل، ومن المعلوم أن الصلاة من الله سبحانه وتعالى معناها الرحمة، وأن الرحمة الواحدة من الله عز وجل تكفى لسعادة المؤمن ونيله الدرجات الرفيعة عن الله عز وجل. فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ونستضيف فى مقالنا هذا الإمام النسائى وصحيحه ليروى لنا عن أنس رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من صلى علىّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات».

ويلفت النظر فى هذا الحديث كبير فضل الله تعالى على من يصلى على النبى - ﷺ - وروى الإمام الترمذى فى صحيحه عن أبى طلحة رضى الله عنه - أنه قال: ان رسول الله - ﷺ - جاء ذات يوم والبشر فى وجهه فقلت: إنا نرى البشر فى وجهك يارسول الله. فقال: «أتانى الملك، فقال يامحمد إن ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد إلاَّ صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد إلاَّ سلمت عليه عشراً».

وروى هذا الحديث النسائى والدارمى أيضا بلفظ «جبريل» بدل «الملك»، وهذا الحديث يدل على عظمة شأن رسول الله - ﷺ - عند الله عز وجل مع فضل من صلى على النبى - ﷺ - من أمته أو سلم عليه.

وروى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال: خرج رسول

الله - ﷺ - حتى دخل نخلاً فسجد فأطال السجود حتى خشيت أن يكون الله تعالى قد توفاه فجئت أنظر فرفع رسول الله - ﷺ - رأسه فقال: مالك. فذكرت له ذلك يعنى خشيته من إطالة السجود فقال: إن جبريل قال لى: ألا أبشرك، إن الله عز وجل يقول لك: «من صلى عليك صلاة صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه».

ومن هذا الحديث استنبط استحباب السجود لله عز وجل عند شعور فضله أو إحساس كرمه فى أى شأن من الشئون. فقد أوضح رسول الله - ﷺ - فيما أجاب به لعبد الرحمن بن عوف أن سجوده وإطالته إلى هذا الحد فى خلوة من ربه سبحانه كان شكرا له على هذا الفضل العظيم فى تعظيم شأنه وتشريف أمته، ونعود إلى النسائى والدارمى ليحدثانا عن عبد الله ابن مسعود فقيه الصحابة رضى الله عنه وعنهم أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام».

وفى سنن أبى داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام»**، فمن هذين الحديثين نرى عناية الله سبحانه وتعالى بنبيه ورسوله محمد - ﷺ -. كما نعلم أيضاً فضل السلام عليه، وتشريف من يسلم عليه من أمته بشرف رد السلام من عنده ﷺ.

وفى شعب الإيمان يروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله - ﷺ - من صلىَّ علىَّ عند قبرى سمعته ومن صلى على نائياً - أى بعيداً أبلغته «فيرشدنا هذا الحديث أن كون رسول الله - ﷺ - فى قبره لايمنعه عن سماع الصلاة لما لها من حياة لا يعلم حقيقتها إلاَّ الله العلى الخبير، كما يرشدنا الحديث إلى أن المسافات البعيدة مهما كان بعدها لا تحول دون إبلاغ الصلاة والسلام إليه - ﷺ - وهذا فضل خاص من الله تعالى لنبيه ورسوله وأفضل خلقه محمد ﷺ.

روى الإمام الترمذى في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة»** فكثرة الصلاة على رسول الله - ﷺ - سبب لتقريب صاحبها إلى رسول الله - ﷺ - وأولويته باللحوق به والفوز بشفاعته يوم القيامة حينما يشفع للمؤمنين من الأمم كلها وحتى لايبقى في النار من قال: لا إله إلاَّ الله ومات عليها.

أما سبب أولوية من يكثر الصلاة على النبى بذاته النبوية يوم القيامة والفوز بشفاعته فلا يخفى على المتأمل وهذا وعد الله لنبيه، ولقد روى الإمام الترمذى فى صحيحه أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«ماجلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم إلاَّ كان عليهم ترة - أى ذنباً وخطيئة - فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»**، وهذا الحديث يرشدنا إلى وجوب ذكر الله عز وجل والصلاة على النبى - ﷺ - فى كل مجلس من مجالس المؤمنين مرة واحدة على الأقل بدليل قوله - ﷺ - «إلاَّ كان عليهم تره» فعلى المؤمنين بالله ورسوله أن لايغفلوا فى المجالس عن ذكر الله والصلاة على نبيه، فإن الغفلة آفة القلوب وباعثة على ارتكاب الذنوب والابتعاد عن علام الغيوب.

الحضـــارة والعلـوم

- النمـوذج الإسـلامى لتــفـاعـل الحـضــارات
- عـــصـــر الفـضـــاء بين العلم والقــرآن

في ظلال العلم والإيمان

النموذج الإسلامي لتفاعل الحضارات

يتحدثون الآن عن «العولمة» باعتبارها السمة المميزة لحضارة العصر المادية فى سعيها إلى الهيمنة وفرض سيطرة النموذج الغربى سياسيا واقتصاديا وثقافيا وعلميا. لكن هذا يخالف ناموس التفاعل الحضارى الذى يحكم العلاقة بين الثقافات العالمية الكبرى على أساس الاحتفاظ بالتمايز والخصوصيات.. ولقد كانت «عالمية» الإسلام وحضارته من أهم خصائص النموذج الإسلامى الذى حقق انتشارا ودواما متلازمين على الأرض لم تحققهما حضارة أخرى عبر عصور التاريخ الإنسانى.. وشتان بين «العولمة» و«العالمية».

أ. د. أحمد فؤاد باشا

قانون التفاعل الحضارى

يمكن القول بأن المعادلة التى تبلورت من خلال الدراسات الموضوعية الجادة فى تاريخ المعرفة والحضارة الإنسانية قد أصبحت فى حكم الحقيقة التاريخية الثابتة التى تعبر عن العلاقة بين ثقافات الأمم على أساس التفاعل المتبادل من جهة، مع الاحتفاظ بالهوية والقسمات المميزة من جهة أخرى.

أما التفاعل المتبادل فيعنى أن الثقافة الإنسانية ذات موارد متعددة، بين شرقية وغربية، يغذى بعضها بعضا، دون أن تقام بينها حواجز منيعة، لا تسمح باتصال أو تبادل، ومن ثم نجد أن حضارات العصور القديمة والوسطى قد أخذت وأعطت مثلما تأخذ الأمم اليوم وتعطى، لتبقى شجرة العلوم والمعارف خضراء يانعة، وارفة الظل وغزيرة الثمار.

ويمكن الاستشهاد على صحة هذا الطرف من معادلة التفاعل الحضارى بأمثلة عديدة لا يسمح المقام بحصرها، ولكن أحد هذه الأمثلة نستخلصه من مجال تاريخ العلوم، حيث نجد أن تقديس «فيثاغورث» وأتباعه للأعداد يشبه تلك المعتقدات التى وجدت فى بابل، ونجد أيضا أن مضمون نظريته المعروفة باسمه، نظرية «فيثاغورث» كان معروفا فى مصر والهند وبابل، ويربط بعض المؤرخين بين صحة هذه المقولة، وبين ما يروى عن «فيثاغورث» من أنه سافر إلى بابل ودرس بها، وأنه عاش فى مصر وشاهد انجازات المصريين وعنى باستخلاص المبادئ النظرية التى قامت عليها تلك الإنجازات، مستعينا فى ذلك بأفكاره العقلية، فقد توصل المصريون القدماء للعلاقة بين الأعداد ٣، ٤، ٥ فى مثلث قائم الزاوية، ثم صاغ منها فيثاغورث نظريته التى تقضى بأن المربع المنشأ على الوتر فى المثلث القائم الزاوية يساوى مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين.

واستطاع علماء الحضارة الإسلامية بعد ذلك، وعلى أساس ما توصل إليه القدماء، أن يستنبطوا تعميم نظرية فيثاغورث لأى مثلث. وكان لكل هذه الإنجازات مجتمعة أكبر الأثر فى تطوير علم الهندسة المستوية، ثم انبثاق باقى الفروع الهندسية فى العصر الحديث.

وعن تفاعل الحضارات كثيرا ما يحدثنا التاريخ السياسى أيضا، فقد قامت علاقات تجارية بين الهند واليونان والعرب منذ عهد الاسكندر المقدونى وحتى الفتح الإسلامى، وتشهد ألواح حضارة بلاد ما بين النهرين وكتابتهم المسمارية على تفوقهم فى عدد من فروع العلم والمعرفة نتيجة اتصالهم بالمصريين القدماء، وتعتبر الحضارة الفارسية حصيلة لحضارات الأمم والشعوب التى أخضعتها حتى امتدت إلى بلاد السند فى الشرق وبلاد ما بين النهرين والساحل الفينيقى ومصر وآسيا الصغرى وشمالى اليونان فى الغرب. ولطالما فاخر ملوك الفرس بأن امبراطوريتهم ضمت عشرين أمة، حتى أن البلاط تكاثر فيه علماء وأطباء ومنجمون من بابل ومصر والهند واليونان، كما أن الكتابة المسمارية استخدمت فى البدء مع بعض التعديل للتدوين، وبعد ذلك اعتمدت اللغة الآرامية لغة رسمية.

وينبغى ألا يغيب عن الأذهان ما يقتضيه اتصال الشعوب واندماجها من تبادل وتلاقح بين الثقافات، وإن ما نشهده فى عصرنا الحاضر من تفاعل وتبادل بين ثقافات الأمم المختلفة ينبغى أن يكون امتدادا لعمل نفس القانون الذى اتبعته حضارات العصور القديمة والمتوسطة والحديثة، برغم الفارق الكبير بين وسائل الاتصال وآلياته ومعدلاته فى كل من تلك العصور.

الحفاظ على الهوية

وأما الطرف الآخر لمعادلة التفاعل بين الثقافات والحضارات ، فهو احتفاظ كل ثقافة وكل حضارة بخصوصياتها المميزة، والابقاء على طابعها ومقوماتها التى تتفرد بها، ومقاومة كل أمة للذوبان فى أية أمة أخرى إلى الحد الذى تنطمس فيه معالم هويتها وقسمات شخصيتها.

ولقد تحقق قانون التفاعل الحضارى بصورة واضحة فى مختلف مراحل التاريخ الإنسانى، لكن صبغته «العالمية» كانت أوضح ما يمكن فى النموذج الإسلامى لعصور الازدهار فى ديار الإسلام إبان القرون الوسطى.

النموذج الإسلامى للعالمية :

لم يكن البعد الدينى بصورة عامة غائبا، أو بعيدا، عن مجال التأثير فى طبيعة التفاعل بين الحضارات، فقد نمت الحضارات القديمة كلها فى ظل ديانات وضعية أو سماوية محرفة، تقوم فى أغلب الأحيان على التحيز التعصبى وتمجيد عنصر على سائر العناصر، وتستند فى مجملها إلى مجموعة من الأفكار والآراء والمعتقدات التى تتعلق بالحياة وما بعد الحياة، والتى يتوصل إليها فيلسوف من الفلاسفة. وقد تكون متفقة مع العقل والمنطق. أو قريبة فى تصوراتها مما جاء فى الرسالات السماوية، وقد لا تكون، ولكنها على أية حال فعلت فعلها فى دفع الشعوب التى آمنت بها إلى الأخذ بسبب فى طريق الحضارة والمدنية.

وفى داخل هذا الإطار العام كان كمّ العطاء الحضارى ودوامه متوقفين على مدى اقتراب تلك الديانات الوضعية من المثل الأعلى الذى حدده الله ـ سبحانه وتعالى ـ للإنسان، وعلى مدى تعبيرها

عن القانون الإلهى الذى أراده الله تعالى ناموسا طبيعيا لحركة الكون والحياة.

وقد كان كل من جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده بعيدا النظر حين رأيا أن الأصول الدينية الحقة تنشئ للأمم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل، وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة العلوم والمعارف، وتنتهى بها إلى أقصى غاية فى المدينة. ولم يتوفر هذا الذى رأياه إلا فى رسالة الإسلام المكتملة التى جمعت فى إعجاز ربانى بين متطلبات الدين ومتطلبات الدنيا، وحثت على الانفتاح والتعارف والإخاء الإنسانى طريقا للتكامل بين البشر، ودعت إلى الاستفادة من علوم الآخرين فى مضمار الرقى المادى والعلوم العقلية والتجريبية. قال تعالى: **«يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»** سورة الحجرات: آية ١٣.

وقال - عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الترمذى والعسكرى، **«الحكمة ضالة كل حكيم فإذا وجدها فهو أحق بها»**.

ومما يؤكد مبدأ الانفتاح والتواصل بين الأمم فى دعوة الإسلام العالمية من أجل الخير لكل البشر أنه كفل المحافظة على الحقوق والعهود والمواثيق للذين لم يأتمروا عليه. قال تعالى: **«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين»** سورة الممتحنة: آية ٨.

وفى ضوء هذه المبادئ السامية التى سنها الإسلام للتعامل مع غير المسلمين انتشرت رسالة الإسلام فى جميع أنحاء الأرض، وازدهرت الحضارة الإسلامية فى جوانبها المادية نتيجة التقائها بثقافات الإغريق والرومان والفرس والهنود وغيرهم. حيث تعرف المسلمون على علوم كثير من الشعوب من غير ملتهم، وتكونت لديهم خبرات واسعة فى شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والعمرانية والعلمية والفنية، وترجموا إلى اللغة العربية كل ما عرفوه من تراث الأقدمين، وصهروا هذه الخبرات والمعارف التى أخذوها واستفادوا منها فى بوتقة الإسلام، فجاءت الحضارة الإسلامية فيما بعد مطبوعة بطابعه وممهورة بخاتمه، عدا الإسهامات الجديدة التى أبدعوها إبداعا بعد أن لم تكن شيئا مذكورا.

حقائق التاريخ:

لقد عرف المسلمون جيدا ماذا يأخذون وماذا يتركون، فبينما نجدهم قد ترجموا علوم الإغريق وحكم الهند وسير أبطال فارس، فإنهم لم يترجموا من آداب جيرانهم إلا ماهو فى حكم الفكر، وليس الفن أو العاطفة، فهم - مثلا - لم يترجموا ملاحم اليونان ولا مسرحهم ولا شعرهم الغنائى، ذلك أن الشعر العربى الأصيل هو فنهم الأول الذى اعتزوا به أيما اعتزاز لمجئ الإسلام باللغة العربية، ولم يكونوا بحاجة إلى الأدب اليونانى، وكان شكله الأسمى مسرحيا، والعرب لم تعرف المسرح، وكان مضمونه الأغلب صراعا بين الآلهة أو بين الإنسان والآلهة، والعرب لا يدخل فى عقيدتها الصراع مع الآلهة، والمسلمون لا يعرفون إلا التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى.

وعندما أعطى المسلمون أدبهم وشعرهم لأوروبا الناهضة أعطوه شعرا عربيا خالصا لم يسهم فى تطوره وفى مراحله الأخيرة إلا قوم استظلوا بالحضارة الإسلامية وتأثروا بها. لكن أوروبا هى

الأخرى - بالرغم من انتشار اللغة العربية آنذاك - فطنت إلى ضوابط التبادل الحضارى بين الأمم، فلم تأخذ من هذا الأدب العربى الإسلامى إلا بقدر ما دعت إليه ضرورة انصهار سكان جنوب غرب فرنسا وجنوبى اسبانيا وصقلية فى بوتقة الحضارة الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن جلَّ ما عرفه المسلمون أو نقلوه من معارف السابقين ذات الفائدة كان تراثا إغريقيا غربيا أكثر منه تراثا صينيا أو هنديا أو مصريا أو فارسيا شرقيا. ذلك لأن ما وجده المسلمون لدى أمم الشرق القديم لا يعدو فى حقيقته من الناحية الموضوعية أن يكون لونا من الأساطير الدينية الممزوجة بضروب من التفكير الخيالى. أو خبرات تجريبية حصلوها بدافع الحاجة للمأكل والملبس والمأوى، أو بغرض الاستكشاف والغزو وبسط السلطان، أو ما إلى ذلك. أما بلاد الإغريق فقد كانت - بحكم موقعها الجغرافى - ملتقى ثقافات الشرق كله. وتميزت معالجتهم لقضايا المعرفة بأسلوب فلسفى يستند إلى التأمل العقلى الخالص، على عكس علوم الشرق التى طوعت لخدمة الحياة العملية، ولهذا فإننا نجد أنها استطاعت تحديد الكثير من المفاهيم التى تعبر عن واقع الحياة وظواهر الكون بصيغ ومسميات رضيت بها جميع الأجيال التالية.

فقد عرف المسلمون من الإغريق، ثم عرفت البشرية على أيدى المسلمين أسماء الفلسفة والتاريخ والحساب والهندسة والفلك والفيزياء والذرة والحيز المكانى، والعلة والمادة وما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) وغيرها. وقد لخص «ول ديورانت» صاحب «قصة الحضارة»، جوهر العطاء المتبادل بين الغرب والشرق بقوله: «إن اليونان عرضوا على الشرق الفلسفة، وعرض الشرق على اليونان الدين، وكانت الغلبة للدين، لأن الفلسفة كانت ترفا يقدم للأقلية أما الدين فكان سلوى للكثيرين».

العقلانية فى النموذج الإسلامى :

بالرغم من أن تراث الإغريق كان بحق المنبع الأساسى الذى أخذ منه المسلمون فى أولى مراحل النهضة العلمية الإسلامية، وبالرغم مما تميز به هذا التراث من إنكار للوحى وتجسيد لهيمنة العقل وسلطان العقلانية فى المجتمع المقسم إلى سادة وعبيد، إلا أن الحضارة الإسلامية ظلت محافظة على قوام الدين الإسلامى ومقوماته، حيث نهض الإسلام المرتكز على «الوحى» بدور «المكون الرئيسى» حتى لمعالمها وقسماتها غير الدينية، ومن ثم قاومت «العقلانية المؤمنة» فى الحضارة الإسلامية أى تأثير يؤدى إلى شطرها أو تلويثها، وضربت صفحا عن الصيحة الشائعة لدى الإغريق بأن «النظر للسادة والتجربة للعبيد» وبقى القرآن الكريم حصن الأمان لكل المسلمين، يستحث جميع ملكات الإنسان على تحصيل العلم النافع، ويدعو إلى اقتران هذا العلم بالعمل الطيب والسلوك الأمثل ويرسى مبدأ تكريم الإنسان وتحقيق المساواة الإنسانية. قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾** سورة الصف: آية ٣.

وقال عز من قائل: **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** سورة الحجرات: آية ١٣.

عالمية الإسلام ليست عولمة :

وهكذا تؤكد لنا حقائق التاريخ أن حضارة الإسلام قدمت لنا «نموذجا إرشاديا» PARADIGM لناموس التفاعل الحضارى الذى يلعب دورا أساسيا فى تقدم الشعوب، بالإضافة إلى مجموعة المثل والمبادئ العقيدية والعوامل الذاتية الخاصة بقدرات ودوافع كل أمة على إحداث التغيير، وهى أبعد ما تكون عن تلك الصفات القائمة على التعصب للجنس أو الدين أو البيئة الجغرافية، فالفكر والإبداع لم يكونا أبدا قاصرين على شعب دون شعب، أو مكان دون مكان، أو زمان دون زمان، بحيث نقول عن جنس معين من البشر: إنه أذكى بنى الإنسان، أو نصف الأقدمين بأنهم أقل ذكاء وعبقرية من المعاصرين، أو نميز منطقة معينة من الأرض بأنها الأصلح دون سواها لاحتضان الفكر الإبداعى وتشييد البناء الحضارى.

ومهما روجت الأقوام المنسوبة إلى الجنس الآرى لمقولة تفوقها على غيرها من الأجناس، أو بالغ الأوربيون فى سرد مزايا إقليمهم و«عبقرية» موقعهم الجغرافى بالقياس إلى القارات الأخرى، فإنهم لو عاشوا منعزلين عن باقى شعوب العالم لظلوا على حالتهم البدائية المتوحشة حتى يومنا هذا وإن هناك من بين الغربيين أنفسهم من راح يسخر جاهرا من الاعتقاد السائد بينهم بأن الصفات الخاصة التى تميزهم من طول فارع وشعر أشقر وعيون زرقاء وبُعد عن الفكاهة. هى سر التقدم الذى صاحب حضارتهم ولم يجد المنصفون من علماء الغرب المعنيين بالدراسات الإسلامية أدنى حرج فى الاعتراف بحقيقة العطاء المتبادل بين الحضارات، بما فى ذلك حضارة الغرب الحديثة والمعاصرة، فيقول أحدهم، وهو «كولر يونج». فى ندوة عن «أثر الثقافة الإسلامية فى الغرب المسيحى»: « .. وبعد فهذا عرض تاريخى قصد به التذكير بالدين الثقافى العظيم الذى ندين به للإسلام منذ أن كنا نحن المسيحيين داخل هذه الألف سنة - نسافر إلى العواصم الإسلامية وإلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية، وفى جملة ذلك تراثنا الكلاسيكى الذى قام الإسلام على رعايته خير قيام، حتى استطاعت أوروبا مرة أخرى أن تتفهمه وترعاه. كل هذا يجب أن يمازج الروح التى نتجه بها نحو الإسلام نحمل إليه هدايانا الثقافية والروحية، فلنذهب إليه إذن فى شعور بالمساواة نؤدى الدين القديم. ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدَّينا ما علينا بربحه، ولكننا سنكون مسيحيين حقا إذا نحن تناسينا شروط التبادل، وأعطينا فى حب واعتراف بالجميل.

أهم المراجع :

- ول ديورانت، قصة الحضارة، الترجمة العربية، بدون تاريخ للنشر.

- أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية، مجموعة مؤلفين، اليونسكو، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

- د. أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٧م.

عصر الفضاء بين العلم والقرآن (٤)

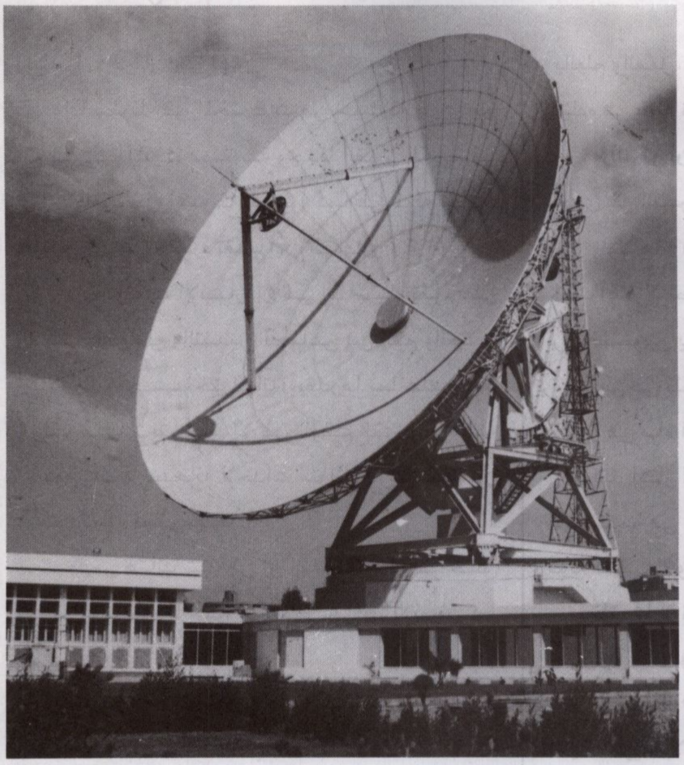

عرضنا سابقا أوجه إعجاز القرآن فى آيات معانى السماء وتطلع الإنسان لارتياد الفضاء وضيق الصدر والاختناق وظلام الفضاء الكونى عند العروج فى السماء واليوم نواصل الحديث

أ.د. منصور محمد حسب النبى

تطور وسائل المواصلات وتكنولوجيا الاتصال

(أ) مقدمة :

لقد أحاط القرآن الكريم بالإنسان واختراعاته. ولا شك أن الاختراعات وأسبابها ونتائجها هى من عطاء الله يتفاضل به أهل العلم والأمم فى سباق تكنولوجى متواصل. وهذا العطاء الإلهى غير محظور على أحد فالمؤمن والكافر سواء فيما آتاهم الله من فضله كما فى قوله تعالى:

﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ۞ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾.

(الإسراء: الآيتان٢٠.٢١).

وإذا نظرنا في المخترعات من حيث ذاتها أى من حيث إنها أشياء مصنوعة وجدنا القرآن الكريم قد أحاط بها بل وقدرها تقديراً كما فى قوله تعالى: **﴿وخلق كل شئ فقدره تقديرا﴾** (الفرقان: آية ٢).

واختراعات الإنسان إن هى إلا أشياء تقوم على الحساب العلمى والتقدير الصناعى فى الكم والكيف. فالإنسان يحسب اختراعاته ويقدرها بما علمه الله، لكن ذلك لا يتحقق إلا فى الوقت الذى قدره الله لحكمة يعلمها سبحانه لإحداث التوازن فى السباق بين الأمم ولأمور تخفى علينا.

وليس هناك شك فى أن الله سبحانه هو خالق الاختراعات جميعاً حتى لو خلقها على يد الإنسان كما فى قوله تعالى:

﴿أتعبدون ما تنحتون ۞ والله خلقكم وما تعملون﴾ (الصافات: الآيتان ٩٥ ـ ٩٦).

وقد وردت هذه الآية على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام إقامة للحجة على قومه الذين عبدوا الأصنام.

وحيث إن العبرة فى النص القرآنى بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يؤكد المرحوم أ. د. الغمراوى (مرجع ١٤) لذلك فإننى أرى أن نحت التماثيل والأصنام مماثل تماماً لصب وسبك وخرط أجزاء الاختراعات التى يتم تركيبها بعد ذلك، كآلات أو مركبات فى البر وطائرات فى الجو وسفن فى البحر أو الفضاء فى عموم اللفظ القرآنى **﴿والله خلقكم وماتعملون﴾** كتعبير عام يشمل كل ما يخترعه الإنسان ويشكله من مواد الأرض المسخرة له لتحقيق أغراضه ومنافعه مصداقاً لقوله تعالى: **﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا﴾** (البقرة: آية ٢٩).

وتيسير ما فى الأرض جميعا، وتمكين الإنسان منه بالعلم والعمل، هو من التسخير الذى مَنَّ الله به على عباده فى قوله تعالى:

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره﴾ (الحج: آية ٦٥).

ولولا هذا التسخير والتيسير ما استطاع الإنسان اختراعا ولا تصرفا فى الأرض. وذكر الفلك هنا على الخصوص يؤكد أنه لولا أمر الله، أى لولا القانون الإلهى فى ظاهرة الطفو، ولولا اتباع الإنسان لهذه السنن فى بناء السفن، لغرقت كل سفينة فى البحر.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى جميع وسائل الركوب المستخدمة فى جميع العصور بأسلوب شامل جامع فى قوله تعالى: **﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾** (النحل: آية ٨).

إن تعبير **﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾** فى سياق هذه الآية الكريمة لا يمكن فهمه إلا على أنه إشارة واضحة مباشرة لجميع وسائل المواصلات الحديثة كالسيارات والمدرعات والبواخر العملاقة والطائرات وسفن الفضاء بل والصواريخ وجميع المخترعات والوسائل التى قد يستخدم بعضها بتوجيه من البشر فى أغراض دفاعية أو عدوانية جائرة ظالمة كما فى التعقيب المباشر هنا بقوله تعالى:

﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ أى أن بعض هذه السبل جائر تقصف المدن بقاذفات القنابل والصواريخ وأدوات العدوان والإفساد فى الأرض كالقنابل الذرية والنووية والكيماوية ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً.

والآن وقد تم الاستغناء تقريباً عن الدواب التى كان يركبها الإنسان فى الماضى (كالخيل والبغال والحمير) ويركبها البعض حاليا بصفة شبه نادرة، بعد أن أهملها

أصحابها ولجأوا إلى استخدام وسائل المواصلات الحديثة، كما نلاحظ ذلك الآن فى حياتنا، حتى إن معظم الفلاحين وعمال القمامة قد استخدموا السيارات، كما اقتصر استخدام الخيل على ألعاب الفروسية والاستعراضات (الزينة) فقط، وليس كما كان فى الماضى للحروب وجر العربات. ويشير القرآن الكريم إلى هذا التطور بالاستغناء عن الدواب بقوله تعالى: **﴿وإذا العشار عطِّلت﴾** (التكوير: آية ٤).

أى كما قال ابن كثير: أهملها أصحابها فعطلت. وهذا إعجاز قرآنى لم يحدث إلا فى عصرنا الحاضر.

وفيما يلى نتابع تطور وسائل الانتقال من منظور قرآنى:

(ب) الشمس مصدر أساسى للطاقة:

نحن نعلم أن جرى السفن فى البحار يحتاج مع الطفو إلى قوة دافعة ولقد اعتمدت السفن البدائية الشراعية على قوة الريح فى تسييرها كما فى قوله تعالى:

﴿ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ۞ إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ۞ أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير﴾ (الشورى: الآيتان ٣٢ ـ ٣٣).

وتشبيه السفن الجارية فى البحر شراعية أو غير شراعية هنا بالجبال (الأعْلاَم) إشارة واضحة ليس فقط إلى ما سيكون فى المستقبل من تقدم فى علم هندسة السفن وصناعتها على مر العصور، ولكن أيضا إلى ما سيكون من تقدم فى علوم القوى التى لابد منها لدفع تلك السفن المشحونة العملاقة كالجبال (أى كالأعلام) حتى تشق طريقها جريا فى البحار، فضلا عن وسائل التحكم فيها وتوجيهها أثناء جريانها. ولهذا تتدرج الآيات بالسفن الشراعية الأثرية التى تظل راكدة بسكون الريح حيث لا يقدر على تحريكها وتوجيهها وإسكانها إلا الله عز وجل، الذى ينبهنا أيضاً هنا إلى رحمته تعالى، إن شاء سبحانه عفا عما كسب أهلها بما فى هذا المكسب من تكنولوجيا متقدمة تدفع هذه السفن، وإن شاء أهلكها وما حملت بتسليط الرياح العاصفة أو بالصواعق الحارقة التى لا تغنى فى رفعها الموانع فالهلاك محتمل رغم أنف التكنولوجيا!.

وأما النار التى اتخذها الإنسان وسيلة لدفع السفن وتسيير القطارات بضغط البخار أو بالاحتراق فى السيارات والطائرات بل والصواريخ، فلقد مَنَّ الله على الإنسان بهذه النار لا بأنه إن يشأ سبحانه يطفئها، لأن هذا فى مقدور كل إنسان، ولكن بأنه عز وجل أوجدها، بخلق الشمس كمصدر رئيسى للطاقة أى بخلق مصادر الوقود على اختلاف أنواعها كالخشب والفحم والبترول كما فى قوله تعالى:

﴿أفرأيتم النار التى تورون ۞ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ۞ نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ۞ فسبح باسم ربك العظيم ۞ فلا أقسم بمواقع النجوم ۞ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ (الواقعة: الآيات ٧١ ـ ٧٦).

نلاحظ فى هذه الآيات إعجازاً علمياً يتلخص فيما يلى:

(أ) علاوة على أن النار تذكرنا بجهنم فإنها أيضاً تستخدم كمتاع للمقوين أى لراحة المسافرين، ولتقدم كل الأمم التى تطلب وسائل القوة. وهذا إعجاز علمى يتنبأ بدور النار فى تكنولوجيا المستقبل.

(ب) الحرارة المتولدة تنشأ عن احتراق الخشب أو البترول وجميعها مصدرها الأصلى الشمس ولهذا يقول سبحانه أنه هو الذى أنشأ شجرة الطاقة

ومصدر النار فى عالمنا بقوله: ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾.

ولقد اعتقد المفسرون أن لفظ شجرتها إشارة إلى شجر معين هو فى نظرهم شجر المرخ وعفار، ولكننى لا أوافق على هذا الرأى لسببين: أحدهما أن هذا الشجر ليس المولد الوحيد للنار، والثانى أن لفظ أنشأتم يشير إلى مصدر رئيسى للنار أصلب عودا وأشد بنيانا من الشجر العادى. فالشمس تعتبر مجازاً الشجرة المباركة التى تفرعت منها جميع وسائل الطاقة وفى مقدمتها النار فى عالمنا، ومما يؤيد هذا الرأى ختام الآيات بالقسم الإلهى بمواقع النجوم. ونحن نعلم أن الشمس هى أقرب النجوم إلينا.

والحرارة التى تنشأ عن الاحتراق بتوليد النار قد تم تخزينها سابقا من الشمس أثناء نمو النبات الأخضر فى عملية تدعى التمثيل الضوئى التى يتحول فيها ثانى أكسيد الكربون (الذى يمتصه النبات) مع الماء فى وجود الضوء المباشر وغير المباشر إلى مواد كربوهيدراتية تتحول إلى أخشاب تحترق لتولد النار كما فى قوله تعالى فى الاستدلال على دورة الحياة والموت وتوليد الطاقة:

﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾ (يس: آية ٨٠).

ولفظ الأخضر يمثل إعجازا علميا فى الإشارة إلى مادة الكوروفيل الخضراء اللون والتى تلعب دورا هاما فى عملية التمثيل الضوئى وبدون المادة الخضراء لا تتم هذه العملية الحيوية.

والفحم الحجرى أصله الشجر الذى ابتلعته الأرض أثناء الثورات الجيولوجية فى العصور القديمة فتفحم فى جوفها بالضغط والحرارة. كما أن زيت البترول أصله عضوى والمواد العضوية أصلها الأول نباتى، حتى الحيوانى منها، لأن أكلة اللحوم من الحيوانات إنما تعيش على أكلة النبات، فسبحان الله العظيم بقوله:

﴿سبح اسم ربك الأعلى ۞ الذى خلق فسوى ۞ والذى قدر فهدى ۞ والذى أخرج المرعى ۞ فجعله غثاء أحوى﴾ (الأعلى: الآيات ١ ـ ٤).

أى جعل النبات وبقايا الحيوانات فحما أو سائلا يابسا مسودا (غثاء أحوى) كما فى زيت البترول الخام والذى جعله الله ثروة فى جزيرة العرب التى تعتبر من أغنى مناطق العالم بهذا المصدر الهام للطاقة، وتحقق بذلك قول الرسول الكريم ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز».

ولا عجب فى خروج تلك النار وبخاصة فى منطقتنا التى كانّت مهدا للنبوات لأنها تعوم على بحيرات مدفونة من البترول والفحم فصارت للأسف مطمعا (بعد هذا الاكتشاف) للكثير من دول العالم، ونذكر هنا أيضا قول سيدنا محمد ﷺ فى الإشارة إلى المعادن المختلفة ومنها البترول:

- **تخرج معادن مختلفة معدن منها قريب من الحجاز يأتيه من أشرار الناس** (رواه الحاكم).

- **ويحا للطالقان** (مكان البترول فى قزوين) **فإن لله فيها كنوزا ليست من ذهب ولا فضة.**

- **لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن كثيرة لا يسكنها إلا أراذل الناس** (رواه الطبرانى) وصفة أراذل قد تشير إلى الشركات الأجنبية التى تستخرج هذه الكنوز.

والنار جانب من الجوانب التى بدونها لا تقوم لأى اختراع قائمة. وقد ذكرنا كيف مَنَّ الله على الإنسان بالنار فى آيات سورة الواقعة وآيات سورة يس من حيث النشأة على الأخص، أما من ناحية التطبيق

كالطهو والاستضاءة والتعدين بل وكل وسائل المتاع بما فى ذلك الانتقال فى البر والبحر والجو فإنها واضحة فى قوله تعالى: **﴿ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع﴾** (الرعد: آية ١٧).

وهناك مصادر أخرى حديثه للطاقة كالانشطار والاندماج النووى والعناصر المشعة وذلك من الطاقة الهائلة المخزونة فى الذرة التى تستخدم فى السلم والحرب وتخرج بالانحلال الإشعاعى على هيئة إشعاع غير مرئى (مخبوء) من أشعة ألفا وبيتا وجاما، أو باختفاء ذرات المادة وجسيماتها وتحولها إلى طاقة هائلة طبقا لقانون أينشتين (الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء) أى بجميع العمليات الذرية غير المرئية والتى تدخل جميعها ضمن معنى كل خبء فى السماء أو فى الأرض كما فى قوله تعالى:

﴿ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾ (النمل: آية٢٥).

(جـ) السباحة فى الهواء والفضاء :

لقد كرم الله الإنسان وحمله فى البر والبحر وفضله على أكثر المخلوقات كما فى قوله تعالى:

﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء: آية ٧٠).

وبخصوص الانتقال تبين هذه الآية حمل الإنسان فى البر والبحر حملا مطلقا غير مقيد بطريقة خاصة للحمل مما يفيد فى الماضى (قبل عصر الاختراع) ما يركبه فى البحر من قوارب وسفن خشبية تسير بالمجداف أو الشراع، ومما يفيد أيضا (فى عصر المدنية الحديثة) كل ما جد أو يستجد من وسائل الركوب والانتقال من سيارات وقطارات وطائرات وسفن بحرية عملاقة أو سفن فضاء. ولكن قد يسأل سائل: إن هذه الآية لم تذكر وسائل الحمل فى الجو أو الفضاء. والجواب على ذلك نجده فى الآيتين القرآنيتين التاليتين بأسلوب بديع لائق بكمال علم الله وبإعجاز كتابه:

١ ـ يقول سبحانه مشيرا إلى تقدم السفن العادية إلى أخرى مشحونة أى عملاقة ثم تطور الأخيرة إلى وسائل حمل جديدة تشبه السفن فى أهم صفاتها لتتحقق المثلية المذكورة فى قوله تعالى:

﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ۝ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ (يس: الآيتان ٤١ ـ ٤٢).

وعبارة ذريتهم تشير إلى الأجيال القادمة بعد نوح عليه السلام أى إلى ما سيحدث من تقدم فى صناعة السفن إلى أن تصل إلى سفن عملاقة وصفها الله سبحانه بالفلك المشحون، وبالجبال (الأعلام) كما فى آية الشورى (٣٢). مما يفيد التطور المستمر فى حجم السفن، وبالتالى التقدم فى وسائل الطاقة الكافية لدفع هذه السفن الكبيرة غير الشراعية.

وأما عبارة **﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾** فهى إشارة إلى وسائل أخرى لابد أن تشبه السفن فى اشتراكها فى صفة مميزة، ولو أمعنا التفكير لوجدنا أن أهم صفات السفن هى السباحة فى الماء حقيقة لا مجازاً، وأن وسائل الطيران التى توصل إليها الإنسان فى العصر الحديث هى الوحيدة التى تتصف علميا بهذا الوصف الأساسى للفلك، فالطائرة تسبح أيضا فى الهواء الجوى كما تسبح السفينة فى الماء. كما أن سفن مكوك الفضاء تسبح فى الفضاء المحتوى على الغاز الكونى والمادة السوداء* علاوة على توازنها فى مدارها مما يؤدى إلى انعدام وزنها فى فلكها نظرا لتعادل القوة المركزية الطاردة مع قوة الجذب نحو

مركز الدوران تماما كالتعادل بين وزن السفينة إلى أسفل ودفع الماء لها إلى أعلى، ويشعر رواد الفضاء بانعدام الوزن وكأنهم يسبحون فى الفراغ، وبهذا يظهر الإعجاز العلمى لهذه الآية الكريمة فى عصرنا، أما التفاسير السابقة فقد ذكرت أن عبارة **﴿من مثله﴾** تعنى الإبل (باعتباره مجازا سفينة الصحراء) رغم أن الإبل لا تحقق شيئا من المثلية اللهم إلا عن طريق المجاز باعتبار الإبل وسيلة للركوب، ولكن الإبل ليس لها صفة السباحة المميزة للطائرة وسفن الفضاء والمناطيد التى تفسر الآية على حقيقة اللفظ وليس على مجازه.

٢ ـ يقول سبحانه فى القسم الإلهى:

﴿والسابحات سبحا﴾ (النازعات: آية ٣).

وهذا القسم يشمل كل سابحة بصفة عامة فى ماء أو هواء أو فضاء، فهى تشمل حيوان البحر وسفنه كما تشمل طير الجو وطائراته، بل تشمل الأجرام الفلكية التى توصف حركتها بالسباحة كما فى قوله تعالى: **﴿كل فى فلك يسبحون﴾** . وقد ذهب بعض أئمة التفسير إلى هذا المعنى الفلكى فقط فى تفسير عبارة والسابحات سبحا، ولكن لا داعى لهذا التخصيص وأعتقد أن القسم الإلهى بالسابحات مفتوح على الإطلاق، فالطائرات الحديثة تسبح فى جو السماء وتطوى المسافات طيا كما توقع النبى ﷺ فى الحديث الشريف.

ـ «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزوى الأرض زيا» (رواه الطبرانى).

ـ «فى آخر أمتى رجال كأشباه الرجال ونساؤهم كاسيات عاريات ويركبون المياثر».

والمقصود بالمياثر هنا السروج الكبار أى ما يقابل السيارات والطائرات فى عصرنا.

• وبهذا فالقسم الإلهى **﴿والسابحات سبحا﴾** مطلق ويشمل عموما سفن الفضاء، ومكوكه، بل والأقمار الصناعية التى تسبح فى الفضاء بدليل المفعول المطلق (سبحا) الذى يؤكد أن المراد من السبح حقيقته لا مجازه وصدق الحق تبارك وتعالى بقوله:

﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ (الأنعام: آية ٣٨).

حقاً لقد أشار القرآن الكريم عن طريق التعميم لا التخصيص أى بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلى وسائل الانتقال المختلفة بالأسلوب القرآنى الشامل الجامع فى كل الآيات والذى يظهر إعجازه عبر العصور عندما يتبين فى آياته وجه لم يكن تبين وناحية لم يكن أحد يعرفها كما فى قوله:

﴿إن هو إلا ذكر للعالمين ۝ ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (ص: الآيتان ٨٧ ـ ٨٨).

(د) قذف الغيب من مكان بعيد :

نحن نعلم أن المخترعات الحديثة وتكنولوجيا العصر أدت إلى إمكانية نقل الصور بسرعة الضوء عبر الأقمار الصناعية مما أدى إلى انتشار أطباق الاستقبال (DISH) لدرجة أننا نرى على شاشات التليفزيون ما يحدث فى أى مكان بعيد فى العالم لحظيا، وما كان غيبا عنا لابتعاد مكان حدوثه أصبح من الممكن فى الحال مشاهدته تليفزيونيا، وبذلك تحول أحد أنواع الغيب إلى الشهادة فى هذا العصر حتى أن تكنولوجيا القاذفات والصواريخ الموجهة والتى تحمل أدوات الدمار من مكان بعيد جعلت الحروب تتم دون مواجهة مباشرة.

وتشير أحاديث الرسول الكريم ﷺ فى وصف مظاهر آخر الزمان إلى مثل هذه المخترعات التى أدت إلى تقارب الزمان وانطواء المسافات كما فى قوله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزوى الأرض زيا» (رواه الطبرانى).

- **«يحدث نداء من السماء يعم أهل الأرض ويسمع كل لغة لغته»** (أبو نعيم عن ابن عمر). وربما يشير هذا الحديث إلى الأقمار الصناعية والله أعلم.

- **«تكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كيوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار»** (رواه الترمذى عن أنس بن مالك).

وكلها أحاديث تشير إلى اختصار الزمان باختصار المسافات نتيجة التكنولوجيا السريعة للمواصلات والاتصالات اللاسلكية الراديوية التى تتم بالسرعة العظمى (سرعة الضوء).

ويشير القرآن الكريم إلى قذف الغيب المكانى سواء على هيئة صور فورية أو أسلحة دمار ذرية وكيميائية مرسلة من مكان بعيد. وهذه التكنولوجيا تمتلكها الآن الدول المتقدمة غير المؤمنة للأسف بالقرآن وبمحمد ﷺ كما فى قوله تعالى:

﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ۝ وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ۝ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ۝ وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا فى شك مريب﴾

(سبأ :الآيات ٥١ - ٥٤).

ورغم أن معظم المفسرين فسروا هذه الآيات تفسيرا أخرويا ضمن أحداث القيامة إلا أن القرطبى أشار إلى أنها تتناول ما سيحدث فى الدنيا فى المستقبل من خسف مروع لجيش من الكفار فى البيداء قبل وصولهم لمكة بغرض الغزو والعدوان فلا ينجو منهم أحد **﴿فلا فوت﴾** لأن الله سيأخذهم أخذ عزيز مقتدر من تحت أرجلهم (من مكان قريب) كما فعل بأشياعهم (أصحاب الفيل) فى الماضى.

وأتفق مع الإمام القرطبى فى تفسيره هذا. وأضيف بأنه وجميع المفسرين لم يدركوا المعنى وراء قوله تعالى: **﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾** واعتبروه عملا أخرويا يقوم به هؤلاء القوم أنصار المعتدين، ولكن الآخرة كما نعلم دار جزاء وليست دار عمل، كما أن سياق الآيات هنا يدل على حوادث دنيوية فى مكان قريب يرصدها آخرون فى مكان بعيد، باستخدام تكنولوجيا القذف من مكان بعيد الذى يتم كما ذكرنا حاليا عبر الأقمار الصناعية والأطباق، بقذف الإشارات بسرعة الضوء لنقل الصورة والصوت (كغيب مكانى) فى كسر من الثانية عبر الكرة الأرضية كلها. ولمزيد من التفاصيل حول استنتاج قيمة سرعة الضوء كحد أقصى للسرعة الكونية فى عالم الشهادة والتى ساعدتنا لقذف الغيب من مكان بعيد بهذه السرعة العظمى التى يشير القرآن الكريم إلى مقدارها فى آية السجدة: ٥. كما سنشرح ذلك بعد مقالات عصر الفضاء إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هامش

* راجع الباب الثالث فى كتاب (إعجاز القرآن فى آفاق الزمان والمكان) (مرجع رقم ١٣).

دار الإفتاء ترد على أكاذيب مكسيم رودنسون

اطلعت دار الافتاء المصرية على ما نشرته جريدة «الأهرام» الصادرة فى ١٩٩٨/٥/١٣ تحت عنوان «كتاب يجب وقفه» للكاتب الصحفى الأستاذ صلاح منتصر، وقد أوردت الجريدة أنه يوجد بالجامعة الأمريكية أستاذ مادة تاريخ المجتمع العربى يصر على أن يضيف إلى المقرر كتابا جديدا هو كتاب «محمد»، وهذا الكتاب من أسوأ ما كتبه الفرنسيون عن الإسلام ونبى الإسلام. ويطلب هذا الأستاذ من الطلاب استيعابه وتلخيصه بعد أن وزع عليهم مترجما إلى اللغة الانجليزية.

وذكرت الجريدة: أنه جاء بالكتاب أكثر من خمسين فقرة كلها افتراءات وأكاذيب باطلة تستفز أى مسلم.

ودار الافتاء المصرية تبادر وتتصدى لهذه الأكاذيب وتدحضها وترد هذه الأفانين لئلا تعلق بذهن أى مسلم شبهة من هذه الشبه والمنكرات الضالة والكاذبة.

أولا : من المزاعم الضالة المضللة «أن محمدا تزوج من السيدة خديجة كى يخرج من الفقر ويضمن مستقبلا مزدهرا، وأنه كان يعانى كبتا «عقدا نفسية» فى طفولته بسبب اليتم والفقر، فتعلق بهذه الزوجة على الرغم من أنها لم تشبع نزواته الجنسية.

وللرد على هذا الزعم الكاذب نقول:

١ - إن محمدا لم يكن فى فقر لأنه:

(أ) كان من أشراف قريش ومن أسرة غنية، فقد كان جده زعيما لقريش كلها، وكان بيته قبلة القصاد، وكانت لهم السقاية والرفادة فى موسم الحج يطعمون ويسقون الحجيج، فلم يكن فقيرا لكنه كان عفيف النفس زاهدا فى الدنيا ولاحظ لها فيها.

(ب) لو كان يريد الغنى لقبل ما عرضته عليه قريش من أن يكون ملكا عليهم، أو يجمعوا له من أموالهم حتى يكون أغناهم ويترك دينه الجديد الذى يدعو إلى وحدانية الله والبعد عن الشرك به.

(جـ) لو كان يريد الغنى لطلب ذلك من ربه الذى يملك الكون كله والذى أرسله بالدين الجديد الذى عرض عليه أن تكون جبال مكة ذهبا فرفض وقال: «اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين».

(د) ولأنه كان يعمل منذ نعومة أظفاره فى رعى الغنم على قراريط لأهل مكة، وكان يعمل فى التجارة ويكسب منها الكثير والكثير، وعلى ذلك فلم يكن يريد الخروج من الفقر، بل كان يسعى كى يعيش كسائر الطبقات يحس بآلامهم وآمالهم ولا يتكبر عليهم.

٢ - ورسول الله لم يتزوج بخديجة ليضمن مستقبلا زاهرا لإيمانه العميق بأن الدنيا كلها بما فيها من نعيم إلى زوال، وأن الأعمار محدودة ومنتهية والناس جميعا غنيهم وفقيرهم بيد خالقهم وبارئهم فلم يعمل للدنيا فقط ولم يركن إليها، ولو كان من طلاب الدنيا ما مات ودرعه ﷺ مرهونة عند يهودى بسبب دين له عليه ﷺ.

٣ - وتعلقه ﷺ بزوجته خديجة، إنما كان من باب الوفاء والإخلاص لمن وقفت إلى جانبه ومؤازرتها له فى أوقات الشدة واختيارها له وتفضيلها إياه على أشراف قومها جميعا لحسن خلقه ومكانته وشرفه بين الناس جيمعا واعتدال مزاجه الدينى والدنيوى. ولو كان كما يدعى الضالون المضللون لما رضيت خديجة أن تكون زوجا له، ولما فضلته على أشراف قريش جميعهم، وكيف ترضى لنفسها أن تقبله زوجا لها لو كان به العقد النفسية. وهى نوع من الجنون وتترك السادة والأشراف، وتعلم أنها ستنجب منه أولادا سيكونون مجانين بالوراثة عن أبيهم والمرأة تحب أن ترى أولادها ونور عينيها وفلذة كبدها فى غاية من الصحة والجمال: إن خديجة هى التى طلبت محمدا ليتزوجها لعلمها أنه أكمل الناس عقلا وأحسنهم خَلْقا وخُلقا، وهذا أكبر دليل على كذب المؤلف وافتراءاته على أفضل خلق الله محمد ﷺ.

ومن المزاعم الكاذبة أيضا فى الكتاب.. تأكيد أن القرآن من اختراع محمد ﷺ وأنه يأتى بالآيات وفقا لهواه، وأن الآيات جاءت تواسيه لزواجه من السيدة خديجة لأنها كانت تكبره سنا.

وللرد على هذا الكذب نقول:

لو كان القرآن من اختراع محمد فهل يعقل أن يهدد الإنسان نفسه من عند نفسه؟ وهل من المتصور عقلا أن يذيع إنسان أسرار نفسه التى تنتقص من قدره ومكانته بين الناس على الملأ، وهو يعلم أن الدنيا كلها ستتناقل هذا جيلا بعد جيل إلى أن تقوم الساعة؟ أم كان فى إمكان محمد ﷺ أن يخفى الآيات التى تعاتبه على فعل شئ، كما عاتبه القرآن فى الأعمى الذى جاء إليه وأعرض عنه، أما كان فى استطاعته ألا يذكر الآية التى تهدده لو تقول شيئا من عند نفسه، وهى قوله

تعالى ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾.

ومن الذى كان يستطيع أن يكشف سر زواجه من زينب بنت جحش، لولا نزول القرآن بها، وأمانته فى نشرها. لقد جاء القرآن يعلن للرسول ولأمته السلوك الشخصى، ويصحح العلاقة بين الله والناس، لذلك لم يستطع محمد أن يخفى آية واحدة من القرآن، لأنه من الله ومحفوظ بحفظ الله لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

لقد تكلم القرآن الكريم عن الماضى وما فيه، تحدث عن عاد وهود وصالح ونوح وإبراهيم وغيرهم، وشرح بالتفصيل ما كان منهم ولهم، وما لمحمد أن يعرف أخبارهم لولا حديث القرآن عنهم، وتحدث عن الحاضر الذى كانوا يعيشون فيه، ففى أسرى بدر تكلم أبو بكر الوزير الأول، وتكلم عمر الوزر الثانى، ونزل محمد على رأى أبى بكر، فجاء القرآن معاتبا لمحمد ومبينا إنها ترك الأولى، ويبكى محمد ﷺ وأبو بكر ويقول: «لو نزل عقاب من السماء ما نجا منه إلا عمر». فهل لو كان القرآن من عند محمد كان يبكى. كما تحدث القرآن عن المستقبل وما سيكون فيه. وهانحن فى هذا العصر والأوان يتحقق ما أخبر به القرآن الكريم فى قوله: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾، فالاكتشافات والمخترعات العلمية الحديثة التى أشار إليها القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام توجد فى عالمنا اليوم، لقد أكد القرآن الكريم أن الأرض مدحوة مثل البيضة، مع أن العلماء كانوا يقولون إن **«الأرض كروية»** فلما تم الدوران حول الأرض بالأقمار الصناعية، أكدروا أن الأرض ليست كروية لكنها مدحوة تصديقا لقوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ ومحمد لا يعلم شيئا إلا ما علمه له ربه بطريق الوحى بالقرآن، وما ثبت فى القرآن من مجريات الأمور، وما حدث ويحدث فى الكون،ماهى إلا أدلة قاطعة على أن القرآن كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين.

وأما الزعم بأن قصص القرآن ماهى إلا ترديد لما تعلمه محمد وسرقه من الأديان السابقة ومن الكتب اليهودية.

فالرد على هذا التدليس والغش والافتراء: هو أن رسول الله ﷺ كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة، لذلك لما ضمه جبريل فى غار حراء وقال له **«اقرأ»**، قال ما أنا بقارئ. وهذا قبل أن ينزل عليه القرآن. فالادعاء بأنه سرقه أو نقله من الكتب السابقة دعوى واهية لا أساس لها من الصحة. وهى معادة ومكررة حيث قال المشركون بهذه الفرية فكن الرد من الله سبحانه وتعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾.

ولو سلمنا جدلا بأنه كان يقرأ ويكتب. فما هى اللغة التى كان يقرؤها ويكتبها؟ ماهى إلا العربية قطعا. فكيف يسوغ له أن ينقل أو يسرق من الأعجمية والعبرية والقبطية لغة التوراة والإنجيل، وهو لم يكن يعرف عنها شيئا، لأنه أمى لا يعرف القراءة والكتابة؟

والزعم بأن لغة القرآن فى آخر الرسالة أصبحت أقل عصبية وأكثر هدوءا.

فللرد على هذا الهراء نقول: إن القرآن الكريم الذى نزل فى مكة، كان هدفه الأول اقتلاع عقيدة الشرك من قلوب كفار قريش وإحلال عقيدة التوحيد محلها. أما القرآن المدنى فكان بعد أن استقرت العقيدة الإيمانية، وتوحيد الله فى النفوس التى آمنت بالإسلام، والدين الذى نزل على محمد - عليه الصلاة والسلام - فبدأ الإسلام ينظم العلاقات بين الناس فى الدولة الإسلامية فى كل أحوالها مدنية وسياسية واجتماعية وثقافية وعلمية، ولذا جاء التشريع الإسلامى المكى والمدنى بطريقة تتفق وعقول الناس ومداركهم بما يحقق مصلحة الفرد والجماعة وإصلاح دينه ودنياه محليا وعالميا. والقرآن الكريم ليست به عصبية لأنه كلام الذى خلق، فسوى وقدر فهدى، وهو الدستور الذى ارتضاه الله لتنظيم الحياة على وجه الأرض جميعا مع اختلاف الأجناس والألوان بدون إكراه، وعن حرية كاملة وإرادة خالصة واقتناع.

ودار الافتاء تتحدى أن يأتى أحد بأى خطأ لغوى فى القرآن، وهذا أمر مستحيل، لأن القرآن كلام الله، لكن إذا جهل جاهل باللغة العربية وأساليبها وأهدافها ومراميها وعجز عن معرفة الحكم من وراء الألفاظ، ولا يعرف الفاعل من المفعول، ولا المبتدأ من الخبر، أيقال إن القرآن به أخطاء لغوية؟ كلا.

وأما الزعم بأن القرآن بقى بعد موت محمد ﷺ نوعا غريبا من الشعر، فهنا وهم وخيال:

وللرد على ذلك نقول: «إن القرآن مضى على نزوله أكثر من ألف وأربعمائة عام تقريبا، وهو كما نزل على محمد ﷺ ولم يستطع إنسان أن يغير فيه حرفا واحدا، ولن يستطيع أحد ذلك لأن الله هو الذى تكفل بحفظه وحفظه من التغيير والتبديل، فقال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ ومازالت الملايين فى كل بلاد الدنيا تقرأ القرآن وتسمعه كما هو وكما أنزله الله على رسول الله ﷺ حتى وقتنا الحاضر وإلى أن تقوم الساعة.

ثانيا: هذه الافتراءات والضلالات ليس المقصود من ورائها إلا إثارة الفتنة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، وزعزعة الأمن العام والخاص بين المواطنين على اختلاف مستوياتهم، وهذا ما يجب التنويه له والتنبيه عليه للعامة والخاصة.

ثالثا: يجب علينا جميعا أن نكون على يقظة تامة بما يفعله أعداء الإسلام والسلام وأعداء الديانات الإلهية السماوية كلها، التى جاءت لنشر المحبة بين الناس جميعا وتحقيق الأخوة والمودة بينهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعقائدهم، وذلك لمصالح شخصية وأهداف خاصة يبتغون من ورائها منافع مادية أو سياسية، كما يجب علينا ألا نترك هؤلاء المضللين يجرفوننا إلى مزالق الانشقاق والخلاف والتفرق والضياع، ولنعلم جميعا أن هذه المزاعم الباطلة ليست جديدة علينا، وإنما وجدت منذ بزوغ فجر الإسلام. وهذه الأفانين والأكاذيب على دين الإسلام والمسلمين إن جاز لها الرواج خارج بلاد المسلمين، فإنها مقضى عليها بالفشل بسبب الوعى الدينى لدى عامة المسلمين، خاصة فى أرض الكنانة مصر بلد الأزهر الشريف، الذى ظل ـ وسيظل ـ يناضل من أجل الدفاع عن الإسلام والمسلمين بمؤسساته العريقة.

وديننا الحنيف قوى بحفظ الله تعالى له ـ ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه **«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى».**

وأصحاب هذه الأفكار الضالة والمزاعم الباطلة إن كانت لديهم شبهة وكانوا حسنى النية وأرادوا توضيحها، كان الواجب عليهم أن يعودوا إلى أهل الذكر والمؤسسات الدينية فيما يعن لهم من شبهات لتبينها لهم بالحجة والموعظة الحسنة.

ودار الافتاء المصرية والأزهر الشريف بمؤسساته وجامعاته المعروفة من قديم الزمان وفى كل بلاد العالم، تفتح أبوابها محليا وعالميا فى كل الأوقات لتفنيد كل الشبهات التى تدور فى أذهان البعض، فيما يتعلق بشريعة الإسلام ودين الإسلام لكل إنسان.

وبدلا من أن يندس هذا الأستاذ بين جدران الجامعة الأمريكية، وينفث سمومه بين طلاب مازالوا فى بداية حياتهم الدراسة، وهم غير مؤهلين علميا لمناقشته والرد عليه، يجب عليه أن تكون لديه الشجاعة الأدبية ويبرز ليناقش أهل العلم والرأى القادرين على إفحامه وقطع لسان السوء عنده، ومن هم على شاكلته.

أما نحن المسلمين فلن ننزعج من هذه الافتراءات والضلالات، وهى ظاهرة صحية تدل على عظمة الإسلام ورسوله ﷺ، ولا تأثير لها، وماهى إلا زوبعة فى فنجان، لأن الإسلام ونبى الإسلام لم تنل منه الأيام والسنون، فالله قد تكفل بحفظه حينما أخبره بذلك فى قوله: **﴿والله يعصمك من الناس﴾** نسأل الله الهداية والتوفيق لجميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ. د. نصر فريد واصل

مفتى جمهورية مصر العربية

قرار سريع وحاسم

فى ساعة مبكرة من صباح الأربعاء الموافق ١٩٩٨/٥/١٣ بعد ساعات قليلة من نشر عمود «كتاب يجب وقفه» اتصل بى مشكورا الدكتور مفيد شهاب الدين وزير التعليم العالى والدولة للبحث العلمى يبلغنى أنه اتخذ قرارا فوريا بوقف تدريس كتاب مكسيم رودنسون فى الجامعة الأمريكية بعد أن تأكد له أن الكتاب يمس العقيدة الإسلامية، وفى المساء ـ نظرا لانشغال الوزير طوال اليوم خارج الوزارة ـ تلقيت منه الرسالة التالية:

طالعت بكثير من الاهتمام ما جاء بعمودكم اليومى بجريدة الأهرام صباح يوم الأربعاء تحت عنوان «كتاب يجب وقفه» وفى هذا الصدد أود أن أحيط سيادتكم بالآتى:

أولا: ان سياسة وزارة التعليم العالى تقوم على ضرورة تدعيم الجانب التربوى والعلمى والأخلاقى فى المناهج التى تدرس للطلاب سواء فى الجامعات الحكومية أو الخاصة أو الأجنبية، مع حرصنا على حرية الفكر فى التعليم، إلا أنه ليس معنى ذلك الهجوم على الأديان وقيمها السمحة أو إعطاء تفسيرات خاطئة، بل على العكس تماما فإن حرية الفكر فى التعليم يجب أن تقوم على احترام الأديان وقيمها وتعاليمها وضرورة غرس هذه القيم والتعاليم لدى أبنائنا الطلاب، وليس العمل على تشويهها أو الإساءة إليها.

ثانيا: ان الوزارة ترفض الإساءة للدين الإسلامى أو لنبينا محمد ﷺ ولا نقبل الافتراءات التى وردت فى مواضع مختلفة من الكتاب وتسىء إلى ما جاء بالقرآن الكريم والسيرة النبوية لرسولنا الكريم.

ثالثا: وفى ضوء ذلك فقد اتصلت بالجامعة الأمريكية بالقاهرة وأبلغتها قرارى بإيقاف تدريس هذا الكتاب وسحب النسخ من بين يدى الطلاب.

وإذ أود أن أؤكد لسيادتكم من جديد حرص الدولة على تدعيم قيم ومبادئ الدين الإسلامى الحنيف الذى هو الدين الرسمى للدولة وكذلك تأكيد وزارة التعليم العالى فى خططها التعليمية على ذلك.

أرجو أن تتقبلوا خالص شكرى وتقديرى على كريم اهتماماتكم بمتابعة ما يجرى تدريسه من مناهج متنوعة لطلاب الجامعات وحرصكم على عدم الإخلال بالقيم الدينية والأخلاقية لدى أبنائنا الطلاب.

.. هذه هى رسالة الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم التى تعكس ـ وهذا أهم مافى الموضوع ـ رؤية واضحة لعلاقة التعليم بالأديان وقدرة حاسمة على اتخاذ القرار السريع الحازم دون لحظة تردد وهو ما يستحق الشكر باسم ملايين المصريين.

صلاح منتصر

قراءة فى أوراق التاريخ

وحدة الأمة: الواقع والتاريخ

د/ محمد بهى الدين سالم

كلنا يأمل فى أن تعيش أمة العروبة والإسلام حياة أمان، وحب وخير ووفاء.. فى وقت يعكر هذا الأمل نفوس طامعة، وقلوب سوداء، ملأها الحقد تحاول بكل الوسائل أن تحرم الأمة من أملها، والإنسانية من منافعها المشتركة.

ولقد امتحنت الأمة من أقصاها إلى أقصاها بأحداث خطيرة، هزت العالم أجمع.. ألا وهى أحداث الخليج وما ترتب عليها من نتائج سيئة.

غير أن هذه الأمة أفرزت قادة مخلصين يشعرون بالمسئولية الكبرى نحو الحفاظ على كل ذرة رمل من أرضها، فبثوا فيها روحا قوية دفعتها إلى الأمام عشرات السنين رغم كل الصعوبات، وحررت الكثير من شعوبها من نير الاستبداد، ومازال هؤلاء القادة يعملون لتحرير ما بقى من شعوب الأمة تحت سيطرة الاستعمار بكل أشكاله ومخططاته.

إن التاريخ الإنسانى ليسجل لأمة العروبة والإسلام حضارتها الزاهرة التى سبقت كل الحضارات، ودفعت العالم إلى التقدم والرقى.

أمتنا العربية

وهى فى ظل التكتلات الدولية وطغيان الدول الكبرى تحاول أن تجد لها مكانا مرموقا على خريطة العالم.. ومحك هذا كله العمل الجاد على وحدة شعوبها، تلك الوحدة التى تدور حول محاور ثلاثة:

المحور الأول: وهو محور يهتم بالسياسة والعسكرية.

أما المحور الثانى: فيهتم بالنواحى الثقافية والاجتماعية.

والمحور الثالث والأخير: يهتم بالجوانب الاقتصادية وهى عصب الحياة كلها.

من هذا المنطلق عدت إلى قراءة أوراق التاريخ حيث أصدرت سلسلة (الهلال) عددا خاصا فى شهر يناير من عام ١٩٥٧ للميلاد تحت عنوان «أمتنا العربية».

أخذت أقلب هذه الأوراق التى حررها كوكبة من القادة العظام والعلماء الأفاضل والكتاب المتخصصين، الذين لا همّ لهم إلا خير هذه الأمة ووحدتها، وتقديم النصح لها من واقع تجاربهم وانطباعاتهم حول ما يمر بها من أحداث.. فلا تشغلهم تكاليفهم الشخصية بقدر ما تشغلهم الدراسة والرأى السديد، والخروج على المجتمع الإنسانى بدراسات

لها قدرها من كل الوجوه.

ودعنى عزيزى القارئ وبعد أن شرفتنى مجلة «منبر الإسلام» الغراء فأعطتنى مساحة بين كتابها الأجلاء أسجل رأيا - ربما أشعر - أن فيه فائدة.. فهو خلاصة جهد متواضع، أفنيت فيه النصيب الأوفى من العمر كقارئ لأوراق التاريخ، وباحث عن حقيقة ما أقرأ، وكاتب لما اقتنع به من نتائج هى خلاصة لإعمال الفكر والعقل.

أقول :

عندما تمر بالأمة العربية أزمة يهرع المفكرون فى كل التخصصات إلى دراسة مظاهر هذه الأزمة محاولين تقديم الحلول لها هذا منذ أمد بعيد،، لكن - والحق يقال - لابد من عودة إلى الجذور فمن لا يهتم بماضيه ينقص من حاضره، ولا يأمل فى مستقبله.. وما نراه هذه الأيام وعلى كل المستويات من تسابق فى إيجاد ما يسمى بأوراق عمل ما بعد أزمة الخليج، جعلنى أدعوكم إلى قراءة فى أوراق التاريخ، وهى أوراق ليست بعيدة التدوين، فمازال مدادها يسيل.

فالسواد الأعظم منا ربما عاصرها فى مرحلة من مراحل عمره. ولتسمحوا لى أن أنقل لكم بعضا مما جاء بهذه الأوراق بكل أمانة للعبرة والتأمل، وأيضا

إننا نملك القوة التى نحقق لنا وجودنا الإنسانى فى الساحة البشرية وأن نحدد مكانتنا بإرادتنا لا بإرادة غيرنا

الزعيم الراحل / جمال عبدالناصر

للتاريخ، وهى كلها محققة لقول الحق تبارك وتعالى: **«إن هذه أمتكم أمة واحدة. وأنا ربكم فاعبدون»** سورة الأنبياء: آية ٩٢.

●● حول معنى الأمة العربية الواحدة جاءت هذه الكلمات للرئيس الراحل جمال عبدالناصر.. قائد ثورة ٢٣ يوليو من عام ١٩٥٢م تلك الثورة البيضاء التى قضت على الاحتكار والإقطاع، وكان لها الفضل فى تغيير كثير من معالم الحياة المصرية الحديثة، والكمال لله وحده.

يقول:

«العرب أمة واحدة، هذه حقيقة مؤكدة لا تنقصها دعوى مدع فى الشرق ولا فى الغرب، فالعربى فى مصر أخو العربى فى نجد وفى صنعاء وفى بغداد وفى دمشق وبيروت، وفى الدار البيضاء فى أقصى المغرب.. أبونا واحد وإن زعم من زعم أننا لآباء، ووطننا واحد وإن حاول الاستعمار بوسائله أن يجعله أوطانا.. وهدفنا فى الحياة واحد، وإن جهل باحث فى الشرق أو فى الغرب، وعمى أو تعامى عن الحقيقة الواضحة.

إننا نستطيع بوسائل كثيرة أن نحقق وجودنا الإنسانى فى الساحة البشرية العامة، وأن نحدد مكانتنا بإرادتنا لا بإرادة غيرنا.

إننا نملك من أسباب القوة ما يحقق لنا السيادة الكاملة وقوة التوجيه للسياسة العالمية.

إن بلادنا فى مكانها المتوسط من الشرق والغرب والشمال والجنوب لتقع بين دول العالم فى مثل مكان العاصمة من الدولة، فلماذا لا يكون لنا مثل مكانة العاصمة من قوة التوجيه لسائر بلاد الدولة الإنسانية العامة؟؟ وإن فى أرضنا وسمائنا وبحرنا وبرنا قوى ضخمة لم تزل أمم كثيرة فى الشرق وفى الغرب تلتمس الأسباب للظفر ببعضها فلا يتهيأ لها، فلماذا لا نحاول

يؤمن العرب بالإخاء الإنسانى ويدعون إليه ويساهم المسلمون بقسط عظيم فى انتشار الحضارة والتقدم فى العالم ويسجله التاريخ ويعرفه الجميع

الملك سعود بن عبدالعزيز

بما نملك من هذه القوى أن يكون لنا الرأى والتوجيه فى العالم ليتحقق بنا الخير للإنسانية؟

وإننا لنملك من قوة الروح ومن الإيمان بالله، ومن الشعور بمعانى الأخوة الإنسانية بين البشر، ما يمكن أن يصنع بنا فى العالم تاريخا إنسانيا جديدا مثل التاريخ الذى صنعه أسلافنا منذ مئات السنين، فلماذا لا نشرق على العالم مرة أخرى برسالة السلام والرحمة، وناموس الأخوة والمساواة لنمحو ما ران من ظلمات الباطل على عقول وقلوب لا تؤمن إلا بالمادة؟

إن لنا قبلة نحج لها ونتوجه إليها فى صلواتنا، وليس لغيرنا قبلة، وما الكعبة فى حقيقتها الروحية إلا رمز تأديبى يريد به الله أن يعلمنا نحن العرب أن الإنسانية لا تبلغ كمالها إلا حين تجتمع القلوب على هدف، وتتوحد جماعتها إلى قبلة.. ولن نستكمل أسباب هذا كله إلا حين نؤمن ابتداء بأننا أمة واحدة».

●● أما صاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ فيقول فى حق العرب فى الوحدة والحرية: «يؤمن العرب بالإخاء الإنسانى، ويعتقدون فيه، ويدعون إليه، وقد ساهم العرب والمسلمون بقسط عظيم فى انتشار الحضارة والمدنية، والتقدم فى العالم بما سجله التاريخ ويعرفه الجميع.

وإن دعوتنا إلى الإخاء وإلى حرية الشعوب وممارستها حقوقها المعترف بها فى جميع القوانين والأنظمة العالمية المتعارف عليها هو استمرار تقليدى لما يؤمن به العرب، وما يدعون إليه فى ماضيهم وحاضرهم.

وعلى هذا الأساس فإننا نؤمن بحقوق العرب فى أن يعيشوا أحرارا كراما فى بلادهم، يساهمون فى التقدم الإنسانى بجهودهم المستطاعة.

وليعلم الغرب أننا مسئولون أمام شعوبنا عن حقوقها، وأن الأمانة العظمى التى نتقلدها فى قيادتها اليوم تفرض علينا ألا نفرط فيها، وهى جزء من إيماننا وعقيدتنا وأن من أهم أهدافنا العون والمساعدة على كل ما فيه الأمن والطمأنينة فى جميع أنحاء العالم كى تحيا شعوب الأرض حياة طيبة يسودها السلام والإخاء الإنسانى.

إن التاريخ ملئ بالعبر والعظات، وخير دروس للناس هى دروس التاريخ لما فيه من تجارب الأفراد والجماعات والدول والشعوب، فيجب أن يتعظ بها الغرب، ويجب أن يتعظ بها الجميع.

ونحن العرب والمسلمين لا ننظر إلى الأمم إلا بعين المحبة والتقدير والإنسانية والعدالة والمساواة، ولكننا ندافع عن الحق وندفع الباطل، وننصر العدالة، ونخذل الظلم والعدوان.

وخير ما أنصح به إخوانى العرب أن يتحدوا ويتعاونوا ويتمسكوا بالدين ليرشدهم إلى طريق الخير والنجاح.

إن فى طاعة الله السعادة، ولا سعادة إلا بالدين الذى يأمر بالتعاون والاعتصام بالوحدة، والابتعاد عن التفرق كما جاء فى القرآن الكريم: **«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا».** سورة آل عمران: آية ١٠٣.

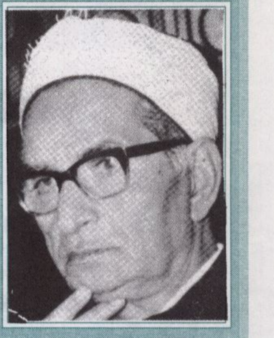

نحلم بحياة كريمة لا سلطان لأحد علينا فيها لنوجه حياتنا حسب ما نرى ونتصرف فى مواردنا حسب ما تقضى مصلحتنا

المرحوم الشيخ أحمد حسن الباقورى

●● وعالمنا - الفاضل المفضال - المرحوم الشيخ أحمد حسن الباقورى يسجل أمنيته بالوحدة الشاملة لأمة العرب يقول: «كنا نحلم بوحدة عربية شاملة تجمع ما تفرق من جماعاتنا، وما تنافر من مشاعرنا، وما اختلف من أهوائنا حتى تتهيأ لنا من هذه الوحدة قوة نقف بها فى وجه الأحداث، وندفع بها عدوان المعتدين، وأطماع الطامعين.

كنا نحلم بحياة حرة كريمة لا سلطان لأحد علينا فيها لنوجه حياتنا حسب ما نرى، ونتصرف فى مواردنا حسب ما تقضى مصلحتنا.

كنا نحلم بالقوة التى تمنحنا السيادة والعزة، وتمكن لنا من أعدائنا الذين أذلونا وأذاقونا مرارة الخزى والهوان فتكون لنا الكرة عليهم لنذيقهم من بأسنا ألوانا من النكال والهوان.

هذه بعض أحلامنا التى كنا نعيش فيها، وتلك هى أمنياتنا التى كنا نتمناها على الزمن، ونستعجل الأيام لبلوغها وتحقيقها.

أما الآن وقد صحت هذه الأحلام، وتحققت تلك الأمانى فأصبحت أمم العرب (أمة واحدة) ويدا مطلقة وقلبا مجتمعا، وقوة مرهبة.. أما وقد تحقق هذا كله فقد عدونا طور الأمانى، وأصبحنا نعيش فى واقع نرضى عنه ونعتز به. فهذه الحرية التى صرنا إليها، وهذه الوحدة التى جعلت من أممنا العربية أمة واحدة، وهذه القوة التى أثمرتها حريتنا ووحدتنا ويقظتنا كل أولئك قد صرن حقائق مقررة قد بلوناها وعرفنا قيمتها، وأدركنا فضلها فى المجالات الدولية، وفى هذا الصراع الذى يشهده العالم اليوم.

ومن هنا فقد حق لنا أن نأنس إلى حاضرنا وأن نرضى عنه.. ووجب علينا أن نحوطه بسياج متين من الحرص والحذر حتى لا يدخل علينا فيه عدو يريد أن يعود بنا إلى الماضى الأليم الذى تركناه وراءنا، وطوينا صفحته إلى الأبد، غير منظور إليه إلا نظر السليم المعافى إلى أيام مرضه واعتلاله.

إذا.. فماذا نريد بعد هذا، وأى شىء نتمنى على الأيام؟؟ فى الحق أننا الآن من حريتنا وقوتنا ويقظتنا فى نعمة سابغة نسأل الله دوامها وحفظها من كل سوء».

عزيزى القارئ:

تلك كانت بعض القراءات فى أوراق التاريخ، أردت بها أن أذكر هؤلاء الذين يجهدون أنفسهم بالبحث عن وسائل يريدون من ورائها جمع الشمل وتوحيد الصف لمواجهة الأخطار التى تحيط بنا من كل جانب، مقصدها الحصول على أكبر قدر من خيرات هذه الأمة.

●● نريد جيشا عربيا واحدا يقف على أهبة الاستعداد للقضاء على كل من يحاول الاعتداء على مقدرات أمة العروبة والإسلام.

●● نريد محكمة عربية إسلامية تحكم وفق شريعة الحق، - شريعة الله - فى كل أمر بين الشعوب العربية والإسلامية.

●● نريد توحيد الثقافة العربية والفكر الإسلامى - ليس فى مواد التعليم - إنما فى تراثنا الإنسانى.

●● نريد إنشاء صندوق خدمات عربى إسلامى للصرف منه على أوجه التنمية فى البلاد المحتاجة للعون يدعم بالهبات وأموال الزكاة، وركاز البترول، وغيره مما يستخرج من تحت الأرض.

●● نريد استثمار أموال العرب فى بلاد العرب فأهل مكة أدرى بشعابها.

●● نريد هوية واحدة لأبناء الأمة كلها، لا فرق بين مصري وسوريّ، جزائرىّ، سودانيّ، ليبيّ سعوديّ، بل الكل يظلهم الإسلام بظلاله الوارفة.

نريد حرية التنقل بين شعوب الأمة دون ما أية قيود حتى تزدهر التجارة والصناعة، وما إلى ذلك من وسائل العيش المختلفة، فليست البلاد الأوروبية أسبق منا حضارة ولا علما.

وأخيرا:

إن هذا كله قديما وحاضرا ومستقبلا لا يتأتى ولا يتاح إلا بوحدة صادقة نابعة عن إيمان.. وحدة الأمة من المحيط إلى الخليج حتى تصبح أمام التحديات العالمية المعاصرة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.. وليس هذا ببعيد..

المؤسسات الدينية فى مصر
رؤية للحاضر والمستقبل

د. الأنبا يوحنا قلته

هل الحضارة
تتطور وفقاً للضغوط الاقتصادية؟ أم أن الحضارات تزدهر أوتتدهور وفقا للطاقة الروحية والأخلاقية؟

نعتقد أن هذا «محور» المعركة فى قلب الإنسانية اليوم، وفى ضمير كل إنسان ، إن انقلاباً جذريا يحدث فى أواخر القرن العشرين وعلى عتبة القرن الواحد والعشرين، اننا نعيش حضارة غربية عالمية، ترتكز على أسس علمية عقلانية، نجحت إلى حد بعيد فى السيطرة على الفكر الإنسانى، وغزت كل نواحى الحياة والفكر، انها حضارة ليست شيوعية وليست مادية، ولكنها وضعت العقل سيداً وقائداً، لم تتنكر للأديان ولكنها حاصرت «رجال الدين» بدعوى أنهم يعيشون على أمور غيبية، ويسترزقون بالجنة والنار، ولا ينكر عاقل انحسار دور الكنيسة فى الغرب، ولا ينكر عاقل اهتزاز دور رجال الدين فى بلدان العالم كله.

ومما أضاف للمعركة بعداً جديداً، أن الاديان متهمة اليوم بالإرهاب، لأن بعض الإرهابيين فى كل مكان يدعون أنهم ينطلقون من مبادىء دينية، مما يوضح الرؤية للمستقبل بأن العالم قد يقبل على مرحلة يصاب فيها بالاحباط من قبل رجال الدين ودعاة حماية الدين، وأن البشرية قد تصل إلى نقطة لا ترى فى الأديان سبيلاً للتقدم بل ترى فيها مصدراً من مصادر العنف والتعصب والحروب.

ذلك كله لا يخفى حقيقة جوهرية، شبه غريزة زرعت فى كيان الانسان، فى دمه وعروقه، واحلامه وآلامه، فى كل إنسان مهما كان بدائياً أوعالم ذرة وتكنولوجيا، هذه هى الحقيقة: إن كل إنسان فى أى زمان وفى أى مكان، يتمنى ويحلم بأن يرى الله.

أخطأ نيتشه بقوله: ان الله قد مات..

أخطأت الشيوعية بإعلانها أن الله وهم غير موجود..

يخطىء الالحاد إذا ظن أن البشرية ستحصل على العدل والحرية والمساواة إذا اسقطت فكرة الايمان بالله..

تخطىء البشرية إذا حلمت أن تتحقق الأخوة بين الناس بدون الله، ولعل هذه هى خطيئة حضارة العصر، إنها تحاول أن تنشىء عالماً بغير «ميتافيزيقا» وأن تتنكر للاديان أوتحاربها..

أولاً: المؤسسات الدينية، ماهى؟ وما هدفها؟

١- المؤسسة الدينية، جماعة من البشر، لهم إيمان دينى، ولهم عقيدة روحية، ولهم قيم أخلاقية ومن هذه العناصر، ينشئون أنشطة إنسانية، لخدمة الإنسان، كل إنسان، عن طريق تعميق هذه المفاهيم، سعيا وراء عالم أكثر عدالة وحرية ومساواة. كما يسعون إلى تلبية حاجاتهم الأساسية، فالمؤسسة خلية خاصة لخدمة المجتمع بأسره، والربح هو أحد موازين حياة المؤسسة لكنه ليس الميزان الأوحد.

٢- أنشطة المؤسسات الدينية يمكن حصرها فى أربعة أنشطة :

(أ) نشاط ثقافى وفكرى لمخاطبة عقل الإنسان، وتقديم رسالة إليه.

(ب) أنشطة تنموية لمساعدة الإنسان على حياة مادية فاضلة ومحاربة البطالة والفقر.

(جـ) أنشطة اجتماعية لزرع روح الترابط بين أبناء المجتمع الواحد، وبين أبناء البشر جميعاً لصيانة كيان الأسرة.

(د) أنشطة روحية لتعميق الإيمان بالله والقيم الروحية وبمعنى المصير البشرى، وبإعلان أن الله خالق الإنسان هو الله المحب والمعين والديان.

٣- لابد أن نلاحظ بعض الأسس التى ينبغى أن تسير عليها هذه الأنشطة فى المؤسسة الدينية.

(أ) كل الأديان تحارب: الجوع المادى كما تحارب الجوع الروحى، وعلى كل مؤسسة دينية أن تضع أمامها المبدأ الأول لحياة البشر: الخبز قبل الكلمة، وايجاد فرصة عمل قبل الوعظ والارشاد، بل لست مبالغا إذا قلت إن البحث عن الغذاء للبشر هو رسالة الإنسانية قبل كل رسالة، وأية مؤسسة دينية تعمل على مستوى الكلمة فقط، أوفى إطار الوعظ فقط إنما هى مؤسسة تحرث فى البحر، فالحكمة تقول: لا تعظ جائعا، والإنسان الذى يعيش في بطالة على غير استعداد لسماع كلمة روحية.

(ب) الإنسان بطبيعته كائن استهلاكى، أو قل إن الجسد البشرى تنظيم استهلاكى ومهمة العقل والثقافة كما هى مهمة القيم الروحية أن تنتشل الإنسان من الغرق فى أموره الاستهلاكية وأن تخلصه من فوضى المجتمع الاستهلاكى وأن تمده بالطاقة الأخلاقية ليسيطر على طموحات مادية قد تدمر حياته.

ان الجسد تنظيم استهلاكى كما ذكرت يختلف تماماً عن التنظيم المادى للمجتمع، فللجسد رغبات وحاجات وله قوانينه التى يجب أن يحترمها الفرد ليصون جسده أما المجتمع كتنظيم مادى فلا قيود عليه ولا حدود لما يقدمه من مواد استهلاكية منها الكمالية الترفية ومنها الضارة السامة المدمرة وعلى المؤسسة الدينية أن تكون قوة دافعة لتنوير الفرد كيف يقود جسده وأن تمد المجتمع بقيم أخلاقية تحد من استعباد المال والرأسماليين للغالبية الساحقة.

(د) من سمات المؤسسة الدينية أنها «مؤسسة إنسانية» بمعنى أنها «فى خدمة الإنسان، أى إنسان، كل إنسان» فى حدود طاقتها، وفى إطار أهدافها، وفى احترام لقانونها ولائحتها الداخلية،

لا ينبغى أن تتعارض لوائحها مع أى دين أو مع حقوق الإنسان، أو مع أخلاقيات المجتمع وتراثه.

إن السوق العالمى، ينظر إلى الإنسان كأنه «شىء» كأنه آلة استهلاك، آلة تبحث عن «اللذة» وبالتالى تتعامل مع الإنسان «كمجموعة غرائز» تقدم له ما يظن فيه الشبع لهذه الغرائز، هذه السوق تتجاهل كل القيم الروحية والأخلاقية.

لقد لفت نظر الناس ما عرض فى المؤتمر العالمى للسكان بالقاهرة (١٩٩٤) لقد عرض جهاز للإجهاض، كأنه سلعة، لعبة للتسلية آلة للقتل، فالجنين «إنسان كامل» منذ لحظة خلقه وتكوينه، لكن السوق العالمى لا يرى فيه إلا «شيئاً» لك أن تتخلص منه إذا شئت، لقد صمتت كل المؤسسات الدينية أمام هذه الآلة، وكأن الموضوع يخص «العرض والطلب» بينما هى جريمة بكل المقاييس الأخلاقية.. هذا مثل.. وغيره أمثال كثيرة نذكر منها دعوة للانتحار الصامت بدون ألم، أوالدعوة لقتل الميئوس من شفائهم أوإباحة العلاقات بين الرجل والمرأة بدون أى التزام أوقانون.

العالم وقف متفرجا حينا، منبهراً حينا آخر أمام «إنتاج» حضارة اللذة أوحضارة «اللحظة العابرة» وقد غشى العقل دخان كثيف فلم يتبين ما فى ذلك من «وثنية فجة» ومن دمار لمعنى «الإنسان»، أضف إلى ذلك الرقيق الأبيض المنتشر فى أنحاء كثيرة من العالم، شراء الأطفال، ابتزاز الفتيات، بل وهناك بعض الاحصائيات التى تتسرب خلسة عن الآلاف من الصبيان والبنات قد تم بيعهم بأسعار محددة، إن الرق لم ينته، وان الحضارة المادية تتعامل مع الإنسان كأنه «شىء».

ثانيا: تحديات أمام رسالة المؤسسات الدينية فى العالم

(أ) الفكر الخرافى

وإذا تطرقنا إلى العالم الثالث، وفى أفريقيا وآسيا بنوع خاص، نجد أن الخرافات لا تزال تلعب دوراً خطيراً فى تدمير حياة البشر فالذين يتلاعبون بالدين كثيرون ودعاة القوة الخارقة كثيرون، وتجار الحظ والمستقبل كثيرون، استقطاب البسطاء والجهلاء من قبل بعض الأفراد، ومن ثم عبادة الأفراد، وسمعنا تعبيرات جديدة لم نكن نسمعها خلال العصور الماضية فى تاريخ المسيحية أو فى تاريخ الإسلام، تعبيرات مثل هذه الشخصيات رموز المسيحية أو رموز الاسلام، ما معنى الرمز؟ وهل الرمز - الإنسان - غير قابل للنقد والتحليل؟ هل هو معصوم؟ هل هو يحمل الوحى؟ اسطورة دخلت حياتنا اللغوية وتسربت إلى وجداننا، ووضعت هالة على بعض الشخصيات المعاصرة وأسمتها رموزاً وكأنها معصومة!

اين دور المؤسسات الدينية؟ هل هى التى تبنت مثلا هذه الفكرة؟ هل اخترعتها؟ لم أقرأ كلمة فى كل ما قرأت من تراث مسيحى أوإسلامى عن «شخص» ادعى أنه رمز للمسيحية أورمز للإسلام.

الأمثلة كثيرة، الضحية فى النهاية هو «العقل» هو الإنسان المطحون والنتيجة، تأخر المجتمعات وتقهقرها وسيادة الخرافة والاسطورة، كل إنسان كما تقول الفلسفة شرقا وغربا: كل إنسان فيه بذرة الحضارة والتقدم، وكل إنسان كما تقول الأديان هو مخلوق الله، له جذور الهية بمعنى أن بدايته ونهايته إلى خالقه، كل إنسان «كون قائم

بذاته» وكل إنسان ولو جنيناً صغيراً هو أعظم من كل الثروات المادية ومناجم الذهب، فكيف نحول هذا الكائن المخلوق وهو خليفة الله على الأرض كيف نحوله إلى «شىء» أو إلى «عبد» ذليل واية جريمة أفظع من ذلك؟!

اسمحوا لى أن أقول إن المؤسسات الدينية لها تقاليد دينية لها ملامح دينية ظاهرية، لكن: هل القيم الروحية الخالدة هى التى تغلب وتتحكم؟ هل هى طاقة ايمان، ونور، وحياة عادلة للبشر؟ هل هى عنصر «الفضيلة فى المجتمع»؟!.

(ب) الحاجة إلى أن تستخدم المنهجية العصرية:

ان الاقتصاد شكل من الأشكال الكثيرة للنشاط البشرى، ان العنصر الحاسم اليوم وغداً، هو الإنسان نفسه، أى ما لديه من المعرفة والمعلومات والقدرة على التنظيم فى إطار جماعى لتلبية حاجة المجتمع، وعلى المؤسسة الدينية إن شاءت أن تخدم المجتمع أن تتيح لأكبر عدد من الشباب دراسة علوم العصر من تكنولوجيا وكمبيوتر ولغات حية، ان الإنسان الجاهل لأدوات العصر يسهل تهميشه بل يلغى وجوده أو يفرض عليه الواناً من الشروط المنافية للكرامة وقد أطلق لفظ العالم الرابع على المستضعفين من «المسنين وذوى العاهات» والشباب الجاهل المهمش، إن المؤسسات الدينية ينبغى أن تضع هدفا لها هو رفع كفاءة الإنسان وفتح كل سبل المعرفة للعلوم العصرية أمامه.

لا ينبغى أن يكون الربح هو الهدف الأول للمؤسسات الدينية، نعم من حق كل مؤسسة أن تعمل وأن تكسب دفعا لاستمرارية نشاطها، لكن ليس هذا هو هدفها الأوحد، إن الإنسان هو الهدف الأول للمؤسسة فقد يتفق أن تكون الحسابات الاقتصادية مرضية، بينما البشر الذين يكونون التراث الأسمى فى المؤسسة معرضون للمهانة فى كرامتهم، إنه وضع لا تقبله الأديان، بل قد يفضى إلى نتائج وخيمة.

(جـ) احترام العدل والحرية لكل إنسان، هناك قيم أخلاقية ودينية لا يمكن الفصل بينها، فالحق والحرية، والعدل، قيم لا تستطيع أن تسعى إلى واحدة منها وأن تهمل الأخرى، من سعى إلى الحقيقة لابد أن يحمل حرية الإرادة، ومن أراد الحرية لابد أن يحترم قانون العدل، وعلى المؤسسة الدينية أن تستند على هذه القيم لضمان صدق رسالتها.

(د) أقولها بصراحة شديدة، الكنيسة تاجرة فاشلة، والجامع تاجر فاشل، بمعنى أن رجل الدين لا يستطيع أن يكون تاجراً باسم الكنيسة أوباسم الجامع، إن التجربة الإنسانية اثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن رجل الدين «هو المنارة»، هو صاحب رسالة وليس صاحب مهنة، هو عقل متوهج بالحب وبالخير وليس عقلاً آلياً «كمبيوتر حسابات» فالتحدى المقبل هو كيف تختار المؤسسات الدينية «مؤمنين» ملتزمين من غير رجال الدين يحملون رسالة التنمية والتقدم، ليبقى رجل الدين «نوراً» ولا ينبغى أن يتحول إلى صاحب عمل أو مدير مشروع، تحدى المستقبل هو فى اختيار القادة من غير رجال الدين لإدارة المؤسسات الدينية.

خاتمة:

١- تاريخ البشرية على امتداده عبر آلاف

السنين، وعلى اتساعه للحركة البشرية، هذا التاريخ يمكن أن نوجزه فى عبارة بسيطة.

إنه محاولة العقل والروح للسيطرة على المادة وقهرها، إن كل الجهود الإنسانية منذ آدم إلى اليوم وإلى ما شاء الله ليست إلا محاولة للسيادة على المادة، وتحليلها، واستغلالها.. فلا شىء يعيق العقل، ولا شىء يعيق الروح عن الانطلاق، والبحث، والاكتشاف؛ إن التاريخ الإنسانى كله حركة اتفاق وحركة تازل بين الروح وبين الطبيعة.

٢- خلال آلاف السنين. نشأت حضارات على سطح الكرة الأرضية، شمالاً وجنوبا، شرقا وغرباً، يقولون إنها بلغت ثلاثين حضارة، كل هذه الحضارات بلا أى استثناء، نشأت على أساس «فكرة دينية» لم تقم حضارة فى الصين أو فى وادى النيل، أوعلى شاطىء دجلة والفرات أو على أرض الهند، إلا وكان «للفكر الدينى» الأثر الأكبر فيها، وظل العمود الفقرى للحضارات.

وان شئنا امثلة قريبة من ثقافتنا على نحو ما، فلنأخذ مثلاً: الحضارة الفرعونية، لقد نشأت على أساس دينى، فهى أقرب إلى حضارة ديانة منها إلى حضارة ثقافة أو مجتمع، بمعنى أن رجال الدين هم أصحاب الفكر فيها وهم مشعلوها وحاملو المنارة، والمجتمع كله خاضع لحكم رجال الدين..

تلتها الحضارة المسيحية، ودور الكنيسة ورجالها واضح لا يحتاج إلى شرح حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى.

ولم تختلف الحضارة العربية الإسلامية كثيراً فى هذه الحركة، فقد قامت على أسس دينية فالخليفة هو أمير المؤمنين، ورجال الفقه هم القضاة، وشيوخ الدين هم حملة الفكر والعلم.

وحتى بعد الثورة الدينية فى القرن السادس عشر وقيام المذهب البروتستانتى ومحاربة نفوذ رجال الكنيسة لم يتغير الأمر كثيراً.

ظلت الكنيسة لها النفوذ فى العالم المسيحى

وظل الجامع له النفوذ فى العالم الإسلامى

ولا يختلف القول كثيراً عن الحضارة الصينية والنفوذ الدينى فى آسيا فالدين عنصر أساسى من عناصر قيام الحضارة.

٣- والأمر الذى يدعو إلي التأمل أن محاولات قامت لإنشاء حضارات بغير فكر دينى، أوأساس عقائدى غيبى، لكنها فشلت فشلاً ذريعاً، لقد سيطر فكر إلحادى على الحضارة الفرعونية أكثر من قرن.

وحدثت محاولة تشبه ذلك فى مسيرة الحضارة الإسلامية خلال القرن الثانى الهجرى (٩ الميلادى) وقام أحمد بن قرمط بثورة القرامطة على شواطىء الخليج العربى ودعا إلى إلحاد علنى ولكنه قتل واتباعه وتفرق من بقى منهم..

وفى العصر الحديث حاولت الشيوعية أن تقيم حضارة خالية من النبض الروحى، وأفرغت الحياة من كل معانيها «الميتافيزيقية» أوالغيبية ونجحت منذ عام ١٩١٧ فى إقامة دولة أعلنت الالحاد رسميا، ولكننا عشنا حتى رأينا انهيار الحضارة التى لا تتخذ من الدين أساسا ومن العقيدة الايمانية سنداً وأخلاقاً.

معنى ذلك ببساطة: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، والحضارة ليست قوانين مادية فحسب وأن الإنسان ليس حزمة غرائز.. بل فى كيانه طاقة روحية وعقلية وأن المصير البشرى ليس فى يد البشر وحدهم.. والله معين على صنع الحضارة الإنسانية فالله لم يتخل عن الإنسان، ومازال فى ضمير البشرية.

شخصيات إسلامية

الإمام القرطبى

كلمة الأستاذ الدكتور /

محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف

فى حفل افتتاح المؤتمر السنوى الأول لكلية الدراسات العربية بجامعة المنيا حول (الإمام القرطبى)

يعـــد

التراث الإسلامى أغنى ما خلفته حضارة من الحضارات السابقة من حيث الكيف والكم. ولاتزال مكتبات العالم تضم الآلاف المؤلفة من مخطوطات هذا التراث فى جميع فروع العلم والمعرفة. وقد حظيت المعارف الدينية بأكبر قدر من اهتمام علماء المسلمين على مر التاريخ مع عدم إهمال المعارف الدنيوية أو التقليل من شأنها. فالإنسان فى حاجة إلى كلا النوعين من العلوم. وبهذه النظرة المتوازنة استطاع المسلمون أن يبنوا حضارتهم العظيمة التى جمعت بين الروح والمادة فى صيغة متوازنة انطلاقا من تعاليم الإسلام.

ومن الطبيعى أن يكون القرآن الكريم هو المحور الذى دارت حوله جهود المسلمين العلمية منذ البداية من أجل فهم معانيه، وإدراك تعاليمه، وشرح أحكامه، ومحاولة التعمق فى فهم أسراره. ومن هنا نجد المكتبة الإسلامية منذ القدم عامرة بكتب التفسير فى كل العصور وفى شتى الاتجاهات، تعبر عن مدى اهتمام الملمين بهذا الكتاب الكريم الذى هو أصل الدين. وقد كان الإمام القرطبى (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى القرطبى. ت٦٧١هـ) - الذى نجتمع اليوم للاحتفال به - أحد أعلام التفسير الكبار الذى يعتز بهم التراث الإسلامى. وجدير به أن يعتز ويفخر به وبأمثاله.

ومن هنا فإنى أحيى هذا الاتجاه من جانب كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا في الاحتفال بذكري أعلام الإسلام والتعريف بهم وبخاصة هؤلاء الذين قدموا إلى مصر واختاروا الإقامة فى هذا الاقليم.

فمصر منذ فجر التاريخ هى بلد الأمن والأمان، احتضنت العديد من أنبياء الله. وقد كانت تحية سيدنا يوسف عليه السلام لأبويه حينما استقبلهما على مشارف مصر تعبيرا عن الأمن الذى يشعر به كل من يعيش على أرضها حين قال - كما يقص علينا القرآن الكريم - **﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾**. سورة يوسف: ٩٩

واختيار العديد من علماء المسلمين مصر مستقرا لهم دليل على ما كانت تتمتع به مصر من أمن واستقرار، واختيار بعض أعلام المسلمين - وعلى رأسهم الإمام القرطبى - هذا الاقليم من أقاليم صعيد مصر مستقرا لهم دلالة واضحة على هذه الحقيقة وشهادة صريحة بصدقها.

وتلك دلالة هامة ينبغى أن تكون حاضرة فى أذهان أبناء هذا الإقليم الذى اختاره القرطبى مستقرا له. فالتطرف فى الفكر، وفى السلوك، والعنف فى التعامل ليس طبعا مستقرا فى هذه الديار. فقد كان العكس هو الصحيح دائما. وما طرأ فى الحقبة الأخيرة على مصر

وصعيدها من عنف وتطرف ليس إلا أمرا طارئا غريبا عن طبيعة هذا الشعب الكريم المضياف.

أما الدلالة الثانية فى الاحتفال بذكرى الإمام القرطبى فتتمثل فى منهج هذا العالم الجليل الذى نحن اليوم فى أشد الحاجة إليه فى دراساتنا الدينية. فقد اتخذ القرطبى لنفسه منهجا يتسم بالموضوعية فى البحث، والالتزام بالمنهج العلمى السليم.

وقد بين القرطبى ذلك فى مقدمته لتفسيره العظيم للقرآن الكريم والذى سماه **«الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان»**. وفى ذلك يقول: «وشرطى فى هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها..

وكثيرا ما يجئ الحديث فى كتب الفقه والتفسير مبهما لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث فيبقى من لا خبرة له بذلك حائرا لا يعرف الصحيح من السقيم.. ونحن نشير إلى جمل من ذلك فى هذا الكتاب.. وأضرب صفحا عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلى ما لابد منه.. واعتضت من ذلك تبيين آى الأحكام.. فما زاد (على ذلك) مسائل أبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول والتفسير والغريب والحِكَم. فإن لم تتضمن (الآية) حُكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل».

ويلفت النظر فى هذا النص الذى نقلناه عنه - من بين أمور كثيرة - أمران هامان هما: **أولا: ضرورة التزام الباحث بالأمانة العلمية فيما ينقله، وضرورة توثيق هذه الأقوال بإسناد كل قول إلى قائله.**

والأمانة العلمية هى روح أى بحث علمى. ولازلنا حتى يومنا هذا - ويفصلنا عن القرطبى حوالى سبعة قرون ونصف - لازلنا فى أشد الحاجة إلى الالتزام بهذا المنهج العلمى فى البحث. فكثيرا ما يسطو البعض على أفكار غيره ناسبا إياها لنفسه. وفى ذلك خيانة للأمانة العلمية والدينية والأخلاقية.

أما الأمر الثانى - الذى أكد عليه القرطبى فى النص المشار إليه - فهو الابتعاد عن سرد الكثير من القصص الخرافية والأخبار الموضوعة والإسرائيليات التى يشتمل عليها كثير من كتب التفسير فهذه القصص والروايات فضلا عن أنه لا أصل لها من صحيح العلم أو الدين بعد الإصرار عليها استهانة بعقلية الناس وتضليلا لأفكارهم. ولايزال الكثيرون فى عصرنا فى حاجة ماسة إلى إدراك ذلك وبخاصة فى مواعظنا ودروسنا الدينية التى ينبغى أن تحترم عقول الناس وترتفع بمستوياتهم الفكرية حتى تستطيع جماهير الأمة التمييز بين الخبيث والطيب من الأفكار. وفى ذلك حماية لهم من الوقوع فريسة فى يد أصحاب الأفكار الخاطئة والمفاهيم المغلوطة.

وقد التزم القرطبى بما اشترطه على نفسه وعرض لأسباب النزول والقراءات والإعراب، وبين الغريب من ألفاظ القرآن واحتكم كثيرا إلى اللغة وأكثر من الاستشهاد بأشعار العرب، ورد على العديد من الفرق التى وجد أنها قد انحرفت بتعاليم الإسلام عن جادة الصواب. وقد بين لنا ذلك كله مدى إحاطة القرطبى إحاطة واسعة بشتى العلوم والمعارف الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية. فقد كان ذا عقلية موسوعية متعمقة تسبر أغوار المسائل. وتأبى أن تظل على سطحها.

أما الدلالة الثالثة التى نستحضرها فى أذهاننا عندما نحتفل بذكرى القرطبى فهى رفض التعصب للمذاهب، وتحرى الدقة فى الأحكام على المخالفين فى الرأى. فالإمام القرطبى على الرغم من أنه كان مالكيا فإنه لم يكن أبدا متعصبا لمذهبه، بل كان يضم إليه فقه المذاهب الأخرى ويعرض الآراء المخالفة عرضا دقيقا وأمينا مناقشا لأدلتها على أساس علمى ثم يختار من بينها أقواها حجة وأقواها دليلا حتى وإن كان ذلك مخالفا لمذهبه المالكى.

وكان يوجه اللوم إلى هؤلاء الذين تصدر منهم عبارات قاسية فى حق علماء المسلمين المخالفين لهم فى الرأى. ومن بين هؤلاء الذين انتقدهم القرطبى لهجومهم القاسى على مخالفيهم كان الإمام ابن العربى فالخلاف فى الرأى ينبغى أن يظل فى إطار دائرة الفكر لا يتجاوزها إلى الطعن فى عقائد الناس أو التطاول عليهم.

ويقول الشيخ محمد الذهبى - رحمه الله - عن القرطبى وتفسيره للقرآن الكريم: «لقد كان حرا فى بحثه، نزيها فى نقده، عفًا فى مناقشته وجدله، ملمًا بالتفسير من جميع نواحيه، بارعا فى كل فن استطرد إليه وتكلم فيه»(١).

وقد أثنى المؤرخون على تفسير القرطبى وأبرزوا قيمته العلمية.

وقد تأثر بالإمام القرطبى من جاء بعده من المفسرين وعلى رأسهم الإمام ابن كثير صاحب التفسير المعروف المسمى بتفسير القرآن العظيم، وكذلك الإمام الشوكانى وغيرهما كثير. ولايزال طلاب العلم ينهلون من غزير علم القرطبى ويتعلمون على مائدة مؤلفاته وبخاصة تفسيره للقرآن الكريم.

أما الدلالة الرابعة للاحتفال بالقرطبى فهى تلك الصلات الأخوية التى وحدت بين المسلمين وجمعتهم على أهداف واحدة. فقد كان العالم المسلم يستطيع أن يتجول فى كل مكان فى العالم الإسلامى فى إطار الوحدة الفكرية التى تربط بين الجميع. وكانت مصر دائما ولاتزال واحة العلم الإسلامى لطلاب العلم المسلمين من شتى البقاع ولعلماء المسلمين على السواء. وكان الأزهر يفتح ذراعيه دائما محتضنا علماء المسلمين وبخاصة القادمين من المغرب العربى. وعلى سبيل المثال جاء ابن خلدون من تونس ليستقر فى مصر ويعقد فى الأزهر حلقات دروسه. كما فعل إمامنا القرطبى الذى استقر فى إقليم المنيا. وفى النصف الأول من القرن الحالى جاء الشيخ محمد الخضر حسين من المغرب ليتقلد أرفع منصب دينى فى مصر وفى مشيخة الأزهر.

لقد كانت مصر ولاتزال وستظل بإذن الله - كالعهد بها دائما - كعبة المسلمين العلمية وبلدالتسامح والمحبة والإخاء، لم تتعصب يوما لمذهب من المذاهب أو تضيق ذرعا برأى مخالف، وإنما كانت برحابة صدرها وكرم ضيافتها وطيبة أهلها ملاذا آمنا لكل من التجأ إليها، ونبعا صافيا لكل المتعطشين إلى العلم الإسلامى المجرد عن الشوائب.

رحم الله الإمام القرطبى، ونفع المسلمين بعلمه وفضله.

وفى الختام نود أن نوجه تحية تقدير لجامعة المنيا ولكلية الدراسات العربية بها لهذا الاهتمام بأعلام الفكر الإسلامى. مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق والسداد.

---

(١) راجع: التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبى جـ٢ ص٤٥٧ - ٤٦٤ دار الكتب الحديثة ١٩٧٦م

الدراسات الفقهية

- نظرات تربوية فى الفقه الإسلامى
- فضيلة العدل وسوء عاقبة الظلم
- عقوق الوالدين جريمة تستوجب عقوبة وضعية

نظرات تربوية فى الفقه الإسلامى

تناطحت النظريات الاقتصادية البشرية وتنازعت، فلم يجن منها الإنسان إلا كل مرارة وحقد وضغينة. فعلى حين قيدت الشيوعية الملكية الفردية وأضعفت ذاتية الفرد بزعم حماية المجتمع، سارت الرأسمالية الغربية في طريق الحرية الفردية إلى غير غاية حتى انتهت بمعتنقيها إلى ما لا حد له من استحلال الحرمات وانتهاك المقدسات والعبث بالأخلاقيات.

ولكن النظرية الاقتصادية الإسلامية تميزت من بين النظريات الاقتصادية الوضعية بعدة مزايا من أهمها :

أ. د. مصطفى رجب

١ ـ إطلاق الملكية الفردية إلى غير حد مادام المسلم ملتزما بإخراج حقوق الله مما يكسب من مال فلا حرج عليه إذا زاد ماله مهما يبلغ.

٢ ـ الدافع للعمل والإنتاج فى الاقتصاد الغربى هو الحاجة الشخصية، وفى الفكر الاشتراكى هو الخوف من العقوبات القانونية. أما فى الاقتصاد والتشريع الإسلامى فإن الدافع إلى العمل والإنتاج هو تحقيق عمارة الأرض من خلال:

٢/أ ـ عدم كنز المال.

٢/ب ـ مجاورة النبيين والصديقين والشهداء لمن كان تاجرا صدوقا.

٢/ج ـ إعفاف النفس والأهل بالرزق الحلال.

٢/د ـ كراهية البطالة شرعا.

٣ ـ التزام الضوابط الشرعية فى استثمار المال وتنميته عن طريق التجارة والصناعة والزراعة وليس عن طريق الربا.

٤ ـ محاربة الاحتكار بكافة أشكاله وألوانه.

٥ ـ تحريم الغش فى البيع والشراء والكيل والوزن.

شروط البيع فى الإسلام :

البيع والشراء هما عماد الاقتصاد، بل عماد الحياة جميعها، فالإنسان لا يستطيع الحياة بدونهما. ولذلك اهتم الإسلام بوضع ضوابط لهذه العملية الحيوية فنص الفقهاء على أن التراضى هو أساس البيع والشراء لقوله تعالى: **﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾** سورة النساء: آية ٢٩ واشترطوا إلى جانب التراضى:

١ ـ أن يكون المبيع مما أحل الله فلا تصح التجارة شرعا فى المحرمات كالخمور وما فى حكمها.

٢ ـ أن يكون البائع بالغا مكلفا فإن الصغير إذا باع شيئا كان محتاجا إلى إذن وليه لقوله تعالى: **﴿فإن كان الذى عليه الحق سفيها**

أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يُملَّ هو فليملل وليه بالعدل» سورة البقرة: آية ٢٨٢.

٣ ـ وأن يكون البائع مختارا قال الإمام الشوكانى «لأن المناط التراضى وطيبة النفس والمكره لا رضا منه ولا طيبة نفس» (١).

٤ ـ وأن يكون المشترى قد عاين الشىء المبيع أو رآه قبل أن يتم البيع حتى لا يتضرر منه بعد معاينته.

٥ ـ ويجب على كل متبايعين أن يشهدوا على بيعهما رجلين أو رجلا وامرأتين ان تيسر ذلك فإن لم يتيسر صح البيع وإذا كان هناك جزء مؤجل من الثمن وجب عليهما أن يكتباه لقوله تعالى: **﴿إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه»** سورة البقرة: آية ٢٨٢.

٦ ـ أن يتم البيع والشراء والتراضى فى مجلس واحد لقوله ﷺ **«البيعان بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»**(٢).

بهذه الشروط الدقيقة، وما يتفرع عنها من أحكام، نظم الإسلام عمليات البيع والشراء تنظيما محكما لضمان حقوق الطرفين. وقد راعت الشريعة الإسلامية السمحة إلى جانب الشروط السابقة أن تضع آدابا وأخلاقيات لهذه العملية الأساسية فى حياة الناس فيما يلى بيانها:

أخلاقيات البيع:

أولا: **النهى عن الغش:** لما ورد من أن النبى ﷺ مر برجل يبيع طعاما فسأله كيف تبيع؟ فأخبره. فأوحى إليه أن أدخل يدك فيه فأدخل يده فإذا هو مبلول فقال النبى ﷺ «ليس منا من غش» رواه أبو داود ومسلم(٣).

ولا ينبغى أن يفهم المسلمون من هذا الحديث أن الغش مقصور على الطعام والشراب فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. والتعميم فى لفظ الحديث واضح.

ثانيا: **النهى عن الكذب:** فقد روى الترمذى عن رفاعة رضي الله عنه أنه خرج مع النبى ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال: يامعشر التجار فرفعوا أبصارهم وأعناقهم إليه اجابة له فقال: إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق» وفى رواية أخرى عن الترمذى أيضا «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»(٤).

ومن هنا يتبين أن الربح المبنى على الكذب والتضليل والخداع مال حرام يجب أن يتورع عنه المسلم عموما والتاجر خصوصا. ولا يخفى أننا فصلنا القول بالنهى عن الكذب عن القول بالنهى عن الغش مع أنهما يخرجان من باب واحد هو التغرير بالمشترى غير أن الغش أخص من الكذب فالغش قد يدخل فى المبيع ولكن الكذب يشمل القول والفعل معا فهو أعم من الغش.

ثالثا: **النهى عن بيع الحاضر للبادى:** الحاضر هو الذى يعيش فى الحضر والبادى هو الذى يعيش فى البادية، وكان من عادة العرب أن يتولى أهل الحضر البيع لأهل البادية فنهى الرسول ﷺ عن تلك العادة القبيحة لأن فيها إضرارا وظلما. وكذلك ورد عن عمر رضي الله عنه عن بيع الحاضر للبادى ـ أى أن يكون سمسارا ـ قال عمر «أخبروهم بالسعر ودلوهم على السوق»(٥) وذلك لأن بيع الحاضر

للبادى سيؤدى إلى أن يتهاون الحاضر بالسعر، فيبيع بسعر أدنى، لأن الذى يهمه هو الحصول على الأجر أو السمسرة.

رابعا: النهى عن تلقى الركبان:

كذلك نهى الرسول ﷺ عن تلقى الركبان. وذلك بأن يخرج التاجر إلى الطريق فيتلقى القادمين لبيع سلعهم فيشتريها منهم قبل أن يصلوا بها إلى مكان السوق مما قد يدفعه إلى الظلم بشراء السلعة بأقل من سعرها فى السوق.

خامسا: النهى عن النجش:

النجش فى اللغة تنفير الصيد واثارته من مكان إلى مكان. وفى الشرع النجش هو الزيادة فى السلعة وذلك بتعرض بعض الناس لسلعة لا يريد - فى قرارة نفسه - شراءها فيزيد فى سعرها ثم يتركها مما يجعل صاحبها بعد ذلك فى حيرة أمام ما يعرض عليه فيها أقل من أثمان أقل مما سمعه من ذلك الرجل.

سادسا: النهى عن الاحتكار:

وقد حرم الرسول ﷺ الاحتكار فقال **«من احتكر فهو خاطئ»**(٦) وتوسع فقهاء المسلمين فى شرح معنى الاحتكار فلم يقفوا به عند حدود قوت المسلمين الضرورى وإنما جعلوه يشمل كل ما من شأنه تضييق حياة الناس فاحتكار مواد البناء أو الذهب أو الفضة أو غير ذلك مثل احتكار الطعام سواء بسواء.

سابعا: جواز الإقالة: من أخلاقيات البيع فى الإسلام السماح بأن يتراجع أحد المتبايعين عن البيع إذا ندم على بيعه أو شرائه. فقد ورد الحض على ذلك من النبى ﷺ فيما رواه أبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أقال نادما أقال الله عثرته»**(٧). ولا تناقض بين ما ذكرناه هنا عن الإقالة وبين ما ذكرناه عن شروط البيع من قوله ﷺ **«البيعان بالخيار مالم يتفرقا»** فإن الإقالة ليست نقضا للبيع ولا فسخا له - وإن قال بذلك بعض الفقهاء - وإنما هى مسألة انسانية تعود إلى رضا الطرفين بعد أن يثبت لأحدهما أن أخاه غير قادر على إنفاذ التزامه. وفى هذا إثارة لجانب التراحم والتواد فى النفوس المؤمنة.

ثامنا: تحريم بيع الماء: الماء والكلأ والنار ثلاثة موارد نهى الإسلام عن الاتجار فيها لأنها مشاع بين الناس لا يصح احتكارها حتى لا تتوقف حياة الناس على رضا من يدعى ملكيتها. قال الإمام ابن حزم:

«ولا يحل بيع الماء بوجه من الوجوه لا فى ساقية ولا من نهر أو من عين ولا من بئر. ولا فى صهريج. ولا مجموعا فى قربة ولا فى إناء. لكن من باع حصته من بئر أو ساقية جاز ذلك»(٨) وما نراه فى بعض البلاد من بيع ماء فى سيارات مخصوصة فإنما هو نوع من الإجارة أى تأجير السيارة لحمل الماء. أما إذا كان المال المدفوع ثمنا لماء محمول من مكان كنهر جار ففى بيعه شبهة والأولى بالحكومات الإسلامية أن تسعى لتوفير خدمة توصيل مياه الشرب النقية إلى جميع المنازل حتى ترفع الحرج عن الناس.

تاسعا: النهى عن السوم على السوم: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ولا يسوم على سومه»**(٩).

وصورة السوم أن يأخذ الرجل سلعة ليشتريها. فيقول له قائل: ردها لأبيعك خيرا منها. أو

لأشترى لك مثلها بأرخص من هذا السعر. أو يقول للبائع: استردها لأشتريها منك بسعر أكبر.

أى أن عملية السوم يقصد بها أن تتم أثناء عملية البيع أو قبيل اتفاق المتبايعين على إتمام البيع.

عاشرا: النهى عن البيع على البيع:

البيع: ويتصل بما سبق ما ورد عن النبى ﷺ من النهى عن البيع على البيع بقوله فى رواية غير السابقة **«إلا بيع أحدكم على بيع أخيه»**(١٠). وصورة البيع على البيع أن يقول قائل لمن اشترى سلعة: افسخ شراءك لأبيعك بأنقص. أو يقول للبائع: افسخ البيع لأشترى منك بأزيد.

أى أن الفرق بين السوم على السوم والبيع على البيع، أن الأول يتم خلال عملية البيع وقبل إتمامها. والثانى يكون بعد إتمام البيع وافتراق المتبايعين.

استنتاجات تربوية:

- من مجمل العناصر العشرة السابقة نرى أن البيع والشراء بوصفهما عماد الاقتصاد فى كل ملة ومذهب ودين ومجتمع، يخضعان فى التصور الإسلامى لضوابط أخلاقية تربوية سامية تستهدف خير الأمة وسعادتها ويمكننا من العرض السابق أن نستنتج النتائج التربوية التالية:

١ - إن الاقتصاد ليس عملية ميكانيكية مادية. بقدر ما هو مشاركة اجتماعية - نفسية بين أطراف الأمة المتعاملة بالشرع الحنيف.

٢ - إن الاهتمام الأساس للتشريع الإسلامى - فى مجال البيع والشراء - تركز فى حماية حقوق جميع الأطراف على السواء ولم يتميز لطرف دون طرف.

٣ - إن المنهيات الكثيرة التى أوردناها تستهدف إشاعة جو من الثقة بين طرفى العملية التجارية. البائع والمشترى.

٤ - إن التراحم والتواد أصل من أصول التشريع الإسلامى فى جوانبه كافة.

المراجع:

١ - محمد بن على الشوكانى (ت ١٢٥٠هـ)، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار جـ٣ - تحقيق محمود إبراهيم زايد، محمود أمين النوادى، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٠٤هـ، ص٨.

٢ - رواه أصحاب السنن إلا ابن ماجه، والشيخان، وأحمد فى المسند كلهم عن حكيم بن حزام. راجع: محمد ناصر الدين الألبانى، صحيح الجامع الصغير وزيادته، م١ (بيروت: المكتب الإسلامى، ط٣، ١٩٨٨) ص٥٥٩ حديث رقم ٢٨٩٦.

٣ - منصور على ناصف، التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول. جـ٢. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت. ص١٩٦.

٤ - المرجع السابق، ص١٩٧.

٥ - د. محمد رواس قلعه جى. موسوعة فقه عمر بن الخطاب. ط١ ١٩٨١، د.ن، ص ١٣٩.

٦ - المرجع رقم (٣)، ص٢٠٥.

٧ - ابن حزم الأندلسى، المحلى بالآثار تحقيق د. عبدالغفار سليمان البندارى، جـ٧. بيروت: دار الكتب العلمية. د. ت، ٤٨٣.

٨ - المرجع السابق. ص٤٨٨.

٩ - المرجع رقم (١)، ص٩١.

١٠ - متفق عليه.

فضيلة العدل وسوء عاقبة الظلم

د. طه عبد السلام خضير

العدل فضيلة بها قامت السموات والأرض وصلح عليها أمر الدنيا والآخرة، والعدل هو استعمال ما ينبغى من الأمور فى مواضعها وأوقاتها وفى وجوهها ومقاديرها وفق ما شرع الله دونما إفراط ولا تفريط وليس العدل مقصورا على الحكم والقضاء أو على قسمة الأموال والحقوق ولكن العدل أعم من ذلك فهو يشمل كل ما يقوم به الإنسان من الأعمال الإرادية نحو الله أو نحو نفسه أو نحو الآخرين وهو بهذا المعنى يعم العقائد والعبادات والمعاملات والآداب وأى فضيلة أقدس من فضيلة العدل وبفضله ارتفع علم الإسلام فى الأرض وانتشر نوره فى الآفاق وفتحت مبادؤه وأحكامه الممالك والشعوب، قدمه الله على كثير سواه من صفات البر والخير فقال تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى﴾ سورة النحل: آية ٩٠.

إن العدل يرفع أهله فى الدنيا والآخرة. أما فى الدنيا فهو سياج الاطمئنان والاستقرار بين الأفراد والجماعات ثم إن الأمة لا تقدس ولا تحترم ولا يكتب لها الخلود ولا تحتل مكانتها اللائقة بها بين الأمم الراقية إلا بقدر ما يتحقق فيها من العدل فعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع»**.

أما فى الآخرة: فإن منزلة هؤلاء تتجلى يوم تدنو الشمس من الرؤوس وفيه يكون الناس كالفراش المبثوث يوم يستغيث الخلائق من شدة الموقف وهوله وآنذاك ترى العادلين وقد جلسوا على منابر من نور فى ظل الله وفى برد العرش.

يروى النسائى وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا**».

ويكفى فى بيان فضل العدل وعظيم قدره ان الحق تبارك وتعالى وصف به نفسه بل هو اسم من اسمائه الحسنى انه الحكم العدل وهو أحكم الحاكمين ﴿**ولا يظلم ربك أحدا**﴾ سورة الكهف: آية ٤٩ ﴿**إن الله لا يظلم الناس شيئا**﴾ سورة يونس: آية ٤٤ ﴿**إن الله لا يظلم مثقال ذرة**﴾ سورة النساء: آية٤٠

وفى الحديث القدسى: «**ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**» (الاتحافات السنية).

إن أفعاله تبارك وتعالى كلها جارية على سنن الحق والعدل وإذا كنا لا ندرك العدل والحكمة فى بعض الأمور فذلك لأن عدالة الله تبارك وتعالى فوق مستوى عقولنا القاصرة ومداركنا المحدودة وانما يجب علينا الإيمان بعدالة الله فى إعطائه ومنعه وفى خفضه ورفعه وفى هدايته وإضلاله وفى أقواله وأفعاله ما أدركنا السر فيها وما لم ندرك، وفيما أورده لك أيها الأخ الكريم عظة وعبرة وتأكيد للإيمان بعدالة الله المطلقة فقد جاء فى الأثر أن نبياً من الأنبياء السابقين كان يتعبد قريباً من عين ماء ثم جاء فارس يحمل صرة من المال فشرب ونسى الصرة وانصرف وجاء آخر فشرب وأخذ هذه الصرة ثم جاء رجل فقير يحمل حزمة من الحطب وقد أعياه التعب فوضع الحطب على الأرض وشرب واستلقى ليستريح قليلاً وتذكر صاحب الصرة ماله فرجع فلم يجد فى المكان سوى هذا النائم فأيقظه وسأله عنها فأنكر علمه بها فجعل الفارس يضربه ويعذبه حتى قتله فقال النبى وقد أخذه العجب لما رأى واعتصره الألم لما حدث قال: «**إلهى ما هذا آخذ الصرة أخذها ظالم آخر ثم سلطت هذا الظالم على هذا الفقير فقتله: فأوحى الله إليه أن اشتغل بعبادتك فليست معرفة أسرار الملك من شأنك ثم بيّن له حقيقة الأمر وسره** فقال: **إن هذا الفقير المقتول كان قد قتل أبا الفارس فى الماضى فمكنت الفارس من القصاص وإن أبا الفارس كان قد أخذ ألف دينار من مال آخذ الصرة فرددتها عليه من تركته**. ولقد أمر الله بالعدل رسوله ﷺ وهو المعصوم فقال: ﴿**وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم**﴾ سورة الشورى: آية ١٥. بل أمره أن يلتزم العدل فى حكمه حتى بين شرار الخلق وهم اليهود يقول تعالى: ﴿**سمَّاعون للكذب أكَّالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين**﴾ سورة المائدة: آية ٤٢.

ولقد أمر الله عباده المؤمنين أن يلتزموا العدل فى كل شئونهم وفى مختلف أحوالهم فى عقائدهم فلابد أن يعتقدوا بوحدانية الله تبارك وتعالى وانه واحد لا شريك له وان يصدق الفعل هذا الاعتقاد فلا يلجأون إلى غيره ولا يطلبون من سواه ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾ سورة لقمان: آية ١٣ أمرهم بالعدل فى عبادتهم فلابد أن يخصوه وحده بالعبادة ﴿**أمر ألا**

تعبدوا إلا إياه﴾ سورة يوسف: آية ٤٠. أمرهم بالعدل فى أحكامهم **﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾** سورة النساء: آية ٥٨. وفى أقوالهم **﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾** سورة الأنعام: آية ١٥٢. وفى الشهادة لا يكتمونها ولا يحرفونها عن وجهها.

﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله﴾ سورة الطلاق: آية ٢. أمرهم بالعدل فى المعاملات وذلك بإعطاء كل ذى حق حقه **﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾** سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢. بل الطائفتان المقتتلتان لابد أن يكون الصلح بينهما قائماً على أساس الحق والعدل لا تعصب لهذه ولا تحيز لتلك انما هو العدل المطلق يقول تعالى: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾** سورة الحجرات: آية ٩.

عموم العدل فى الإسلام

إن العدل فى الإسلام ليس فضيلة فلسفية نظرية وليس تظرفاً وتجملاً من أحد ولا تكرماً وتفضلاً على أحد وإنما هو شريعة إلهية وفريضة ربانية لا تمتاز به طبقة عن طبقة ولا يستحقه جنس دون آخر كما يرى بعض الفلاسفة الذين يرفعون بعض الأجناس على البعض الآخر.بل لا تمتاز به ملة دون أخرى. وإنما العدل فى الإسلام عام مطلق. عام لا يتأثر بالعقيدة ولا باللون ولا بالجنس ولا بالموطن. الكل له حق العدل والاطمئنان به **﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾** سورة النساء: آية ٥٨. ثم إن العدل مطلق لا يؤثر فيه شئ، لا يميل ميزانه الجد والبغض. ولا تغير قواعده البغض والشنآن. عدل يتمتع به المسلمون جميعاً لا أثر فيه لحسب ولا لنسب ولا لجاه ولا لمال كما يتمتع به الآخرون ولو كان بينهم وبين المسلمين عداوة وبغضاء. يقول تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** سورة المائدة: آية ٨.

ولقد بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر ليخرص عليهم ثمارهم وزروعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال لهم: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلىَّ ولأنتم أبغض إلىَّ من أعدائكم من القردة والخنازير وما يمنعنى حبى إياه وبغضى لكم على ألا أعدل فيكم فقالوا: بهذا - أى بالعدل - قامت السموات والأرض. إن الإسلام صارم فى عدالته لا يعرف مجاملة ولا يقر محاباة انه يريد من المسلم أن يكون قوياً شجاعاً يقول الحق ولو على نفسه ويحكم بالعدل ولو على والديه يقول تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾** سورة النساء: آية ١٣٥.

يقول الإمام ابن كثير عند تفسير هذه الآية يأمر تعالى عباده أن يكونوا قوامين بالقسط أى بالعدل فلا يعدلوا عنه يميناً أو شمالاً ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف. ثم يقول: وقوله: **﴿فلا**

تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ أى فلا يحملكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم على ترك العدل فى أموركم وشئونكم بل الزموا العدل على أى حال كان وإن تعجب فاعجب لسمو دين يأمر أتباعه بالعدل حتى فى حالة الغضب. تلك الحالة الثائرة التى لا يملك الإنسان فيها نفسه ولا يخضع فيها لعقله ولا يستمع فيها لوحى ضميره لأن دخان الغضب جعل بينه وبين عقله حجاباً كثيفاً لا يصل فيه صوت ولا ينفذ منه نور. ومع ذلك فالإسلام لا يتنازل عن حقه فى العدل فى ثورة الغضب. ولذلك منع القاضى من أن يقضى وهو غضبان. بل لقد توعد الله بالعذاب الشديد مَنْ يحيد عن العدل اتباعاً لهواه ولو كان من الأنبياء والمرسلين فيقول تعالى: **﴿ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾** سورة ص: آية ٢٦.

إن الإسلام لا يفرق فى عدالته بين قريب وبعيد، ولا بين عدو وصديق، ولا بين مؤمن يعبد الرحمن وكافر يتبع الشيطان، إنه يطبق عدالته على الحاكم والمحكوم، وعلى السيد والمسود، وعلى الغنى والفقير، وعلى الشريف والوضيع، الكل فى نظر الإسلام سواء.

وإذا كان رسول الله ﷺ هو المعصوم الذى لا يضل ولا يحيد عن العدل قيد شعرة. فإن فى سيرة أصحابه ﷺ ورضى الله عنهم نماذج ناطقة بالحق والعدل. هذا هو الخليفة الفاروق ينصف المسيحى المصرى من ابن عمرو بن العاص وقد كان عمرو والياً إذ ذاك على مصر حين سابقه ابنه فسبقه المسيحى فعزّ ذلك على ابن عمرو فضربه وقال له: أنا ابن الأكرمين أباً ورفع المسيحى شكواه إلى عمر الخليفة فأحضر عمراً وعنفه وقال له قولته المشهورة: «**يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً**». ثم أعطى الدرة للمسيحى وقال له اضرب ابن الأكرمين أبا، فجعل يضربه حتى اشتفى بل لقد وقف الخليفة الراشد علىّ وهو ابن عم رسول الله ﷺ بجوار خصمه اليهودى أمام قاضيه: انها لعمر ـ والحق ـ قمة فى العدالة لا يرقى إليها قانون دولى ولا تشريع وضعى والذين يمارون فى ذلك أو يتشككون عليهم أن يراجعوا فى عصر الحضارة والنهضة عليهم أن يراجعوا فى هذا العصر معاملة البيض للحمر والسود فى الولايات المتحدة ومعاملة المسيحيين لإخوانهم المسلمين فى الفلبين ومعاملة البيض للملونين فى جنوب أفريقيا وفى الإشارة والإجمال فى هذا المقام ما يغنى عن التفصيل فهى أحوال معاصرة يعرفها القاصى والدانى، بل إن شئت فقل: كيف يعامل اليهود وهم معتدون المسلمين أصحاب الأرض الشرعية فى فلسطين؟ كل ذلك يحدث للمسلمين وفى نفس الوقت فإن المسيحيين بل كثيراً من اليهود يتمتعون فى بلاد الإسلام بالمعاملة الطيبة الكريمة ويتمتعون بجميع الحقوق والامتيازات لسائر المواطنين.

ولكنها سماحة الإسلام ورحمته وإنسانيته العادلة التى تعطى كل ذى حق حقه ولو لم يكن مسلماً. إن الإسلام لا يعرف العصبية وإنما يرى الناس «**كلهم لآدم وآدم من تراب**»، وبهذه المبادئ السمحة فإن الإسلام فوق ما عداه من سائر التشريعات يقول تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** سورة الممتحنة: آية ٨.

عقوق الوالدين
«جريمة تستوجب عقوبة وضعية»

المستشار: حسن حسن منصور

هناك من الجرائم ما وضع لها الشارع الحكيم عقوبة تنال مرتكبها فى الدنيا والآخرة، كالردة التى يقام على فاعلها ـ وهو المرتد ـ الحد فى الدنيا وينتظره العذاب الأليم فى الآخرة، ومن الجرائم ما تكون عقوبتها فى الدنيا كفارة للذنب فى الآخرة، كالجرائم التى يُقام على فاعلها الحد فى الدنيا مثل الزنا وشرب الخمر وغيرهما لأنه كما يقول الفقهاء: إن الحدود مطهرات للذنوب، ومن الجرائم ما ليس له عقوبة فى الدنيا ولكن ينتظر فاعلها أشد العقاب فى الآخرة، ومن هذا النوع جريمة عقوق الوالدين، وإذا كان الكثيرون أفاضوا فى شرح هذه الجريمة وما لها من عقاب أخروى، إلا أننا نحاول التعرض لها فى إطار خطورتها على المجتمع بما يستوجب ضرورة تدخل المشرع لوضع عقوبة مناسبة تلحق مرتكب هذه الجريمة فى الدنيا قبل الآخرة، وهذا ما سنوضحه على النحو التالى:

أولا: ماهية جريمة عقوق الوالدين:

الجريمة بصفة عامة كما يُعرفها فقهاء القانون الجنائى هى فعل غير مشروع صادر عن إرادة جنائية يقرر له القانون عقوبة أو تدبيرا احترازيا، وهى كما يُعرفها فقهاء الشريعة الغراء: إتيان فعل محرم معاقب على فعله أو ترك فعل محرم معاقب على تركه، أو هى كما يقول الماوردى: محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير.

والعقوق فى اللغة كما ورد بالمعجم الوجيز من الفعل «عق» أى ذبح يوم السابع للمولود، وعق الابن أباه بمعنى استخف به وعصاه وترك الإحسان إليه، والإشارة بالذبح فى هذا المعنى تفيد قطع ما بين الابن وأحد والديه من حبل المودة والحب، وعلى هذا تكون جريمة عقوق الوالدين هى كل فعل يقع من الابن يؤثر سلبا على علاقته بأحد والديه أيا كانت صورة هذا الفعل حتى ولو كان بالامتناع.

ثانيا: الأساس فى هذه الجريمة:

هذا الأساس يأتى استجابة لقول الحق تعالى: «يأيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » سورة النساء : آية ٥٩.

وبيان ذلك تفصيلا كالآتى :

أ ـ طاعة الله تعالى الذى أمر فى أكثر من آية فى كتابه العزيز بالإحسان إلى الوالدين وقرن ذلك بتوحيده، ونهى عن عقوقهما ولو بقول كلمة «أف» فيقول سبحانه: «**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » سورة الإسراء : آية ٢٣ـ ٢٤.

ب ـ طاعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رويت عنه الأحاديث الشريفة الكثيرة التى تحض على البر بالوالدين وعدم عقوقهما، نذكر منها ـ على سبيل المثال ـ ما رواه البخارى ومسلم والترمذى عن أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (قالها ثلاثا)، قلنا : بلى يا رسول الله، قال : الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال : «ألا وقول الزور وشهادة الزور**» فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت، وما رواه النسائى والبزار والحاكم عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان عطاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه، والديوث، والرجلة (المتشبهة بالرجال)**».

ج ـ ومن خلال طاعة الله ورسوله تكون طاعة ولى أمر المسلمين لأن طاعته هى فى حقيقتها طاعة لهما، فقد روى البخارى بسنده عن أبى سلمة بن عبدالرحمن أنه سمع أبا هريرة ـ رضى الله عنه ـ يقول : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «**من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصا الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصا أميرى فقد عصانى**»، وولى أمر المسلمين جعله الله تعالى قائما على رعاية مصالحهم. وهو مسئول عنهم لما رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «**ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته...**» وقد أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بطاعة ولى الله أيا كان شخصه، فقال فيما رواه البخارى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : «**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة**»، ولكن الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشترط لهذه الطاعة ألا يكون الأمر بمعصية. لما رواه البخارى أيضا عن نافع عن عبدالله ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**».

ثالثا : المصلحة فى تجريم عقوق الوالدين :

من المعلوم أن المصلحة المرسلة أحد مصادر التشريع

الإسلامى الحنيف، وقد قال الفقهاء: أينما تكون المصلحة فثم شرع الله، والمصلحة فى تجريم عقوق الوالدين تبرز عندما يشيع فى المجتمع التفكك والضعف فى الروابط الاجتماعية ولاسيما فى محيط الأسرة التى هى النواة الأولى فى أى مجتمع وعلى الأخص العلاقة بين الابن وأحد والديه، وما يترتب على ذلك من مفاسد خطيرة قد تؤدى إلى تقويض أركان الأسرة ثم المجتمع ككل، وهنا يأتى دور ولى أمر المسلمين بصفته الراعى لمصالحهم فى اتخاذ الإجراءات الكفيلة لحماية كل مسلم من هضم حقوقه وحماية المجتمع كله من الضياع والانهيار.

ومن الملاحظ أنه منذ زمن ليس ببعيد تتعرض الروابط الاجتماعية وخاصة فى داخل الأسرة إلى هزة غير مألوفة كانت لها آثارها السلبية على هذه الروابط، فأصبح هناك الابن الذى يقتل أحد والديه، أو يعتدى على عرض أمه، أو يضرب كل منهما، أما سبهما فيكاد يكون سمة الكثير من الأبناء إلا من رحم ربى، ومن هنا أضحت المصلحة ملحة فى ضرورة تدخل ولى الأمر لحسم هذا الوضع، وذلك بإدخال كافة صور عقوق الوالدين فى دائرة التجريم والعقاب، لاسيما أن الله تعالى يعجل عقوبة عقوق الوالدين فى الدنيا قبل الآخرة كما أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الحاكم والأصبهانى عن أبى بكرة رضى الله عنه: «**كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات**»، فليكن تشريع العقوبة لهذا العقوق من باب تعجيل الله لها فى الحياة الدنيا على يد ولى الأمر الذى أقامه الله تعالى لمثل هذه المهمة.

رابعا: كيفية إدخال عقوق الوالدين فى دائرة التجريم والعقاب:

إذا قامت المصلحة المشروعة التى فى تحقيقها حماية المجتمع، فإن على ولى أمر المسلمين مراعاة هذه المصلحة واتخاذ كافة السبل المؤدية إلى رعايتها، ولما كانت الروابط الاجتماعية فى أى وقت من الزمان تحتاج إلى ما يكفل صيانتها من الانحلال، فإن المصلحة تفرض على ولى الأمر إدخال بعض الأفعال الشاذة التى تمثل اعتداء على هذه الروابط فى دائرة التجريم والعقاب، وسبيله إلى ذلك هو سن التشريعات المناسبة بواسطة إحدى سلطات الدولة الرئيسية وهى السلطة التشريعية.

ولما كان المشرع القانونى فى العصر الحديث قد استقر على صورة معينة لسن التشريعات، وهى صيغة التقنين التى يُعرفها فقهاء القانون بأنها: تجميع رسمى من جانب الدولة للنصوص التشريعية الخاصة بفرع من فروع القانون، وقد وضع المشرع تقنين العقوبات الذى يضم النصوص التشريعية التى تحدد الجرائم وعقوباتها، وباستقراء هذا التقنين يلاحظ أنه لم يُفرق فى العقوبة المقررة للجرائم التى تقع على أحد الوالدين وغيرهم من المجنى عليهم، الأمر الذى نرى معه ضرورة تدخل المشرع القانونى لإسباغ حماية أكبر للوالدين، وإذ كان من المبادئ الثابتة فى القانونى الجنائى أنه: لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص، وأنه: لا يجوز القياس فى مجال التجريم والعقاب، فإنه فى إطار هذه المبادئ يجب على المشرع القانونى أن يأخذ بمعيار الأبوة والأمومة كظرف مشدد للعقوبة، وهذه ليست فكرة غريبة عليه، بل هو يأخذ بمثلها تحقيقا لهذه الشدة، كما هو الحال بالنسبة للوظيفة العامة، حيث يقرر

قانون العقوبات لمن يعتدى على صاحب هذه الوظيفة عقوبة أشد لمن يعتدى على غيره، وأيضا بالنسبة للخدمة فى المنازل بصدد جريمة السرقة، حيث تقرر المادة ٣١٧ من قانون العقوبات للخادم الذى يسرق شيئا من مخدومه عقوبة أشد من غيره..

وعلى ضوء ذلك نرى لزاما على المشرع أخذا بفكرة الأبوة والأمومة كظرف مشدد للعقوبة صياغة الآتى :

١ ـ تشديد العقوبات الحالية المقررة لجرائم الضرب والسب والقذف والقتل وجرائم الاعتداء على العرض بأنواعها وغير ذلك من الجرائم البدنية والنفسية التى تقع على أحد الوالدين، وتقدير مدى التشديد متروك لسلطة المشرع، كأن يضيف مثلا إلى المادة التى تقرر العقوبات لجريمة الضرب فقرة أخرى تقول : وتكون العقوبة كذا (كالحبس والغرامة مثلا) إذا وقعت الجريمة على أحد الوالدين، وغير ذلك فى الجرائم الأخرى.

٢ ـ تجريم بعض الأفعال الأخرى التى تقع من الأبناء على الوالدين أو على أحدهما وليس لها عقوبة فى الوضع الحالى، رغم أنها تمثل عقوقا للوالدين، كالضرب البسيط الذى لا يترك أثرا، وعدم الإنفاق على أحد الوالدين فى حالة عجزه عن الانفاق على نفسه لكبر سنه أو مرضه أو فقره وغير ذلك، ولاسيما أن العقوق يمكن أن يقع بمجرد قول كلمة قد يحسبها البعض أنها هينة وهى عند الله عظيمة مثل كلمة «أُف» التى نهى الله تعالى الولد أن يقولها لأحد والديه : «ولا تقل لهما أُفٍ ولا تنهرهما».

٣ ـ وحتى يظل الفضل قائما بين المسلمين وخاصة بين ذوى القربى، فيجوز للمشرع أن يسمح للوالد المجنى عليه أن يتصالح مع ابنه الجانى فى أية جريمة متعلقة به، بشرط أن يكون ذلك كتابة من المجنى عليه أمام القاضى فى مجلس القضاء وبإرادة حرة، وفى هذه الحالة يحكم القاضى بإيقاف العقوبة الجنائية لمدة معينة بحيث إذا وقع من الجانى أى فعل مماثل ينفذ عليه بالعقوبة فى الجريمتين ردعا له من تكرار هذا الفعل، وفى غير حالة الصلح هذه فلا يجوز للقاضى الحكم بإيقاف تنفيذ أية عقوبة تصدر فى جرائم الاعتداء على الوالدين أيا كانت صورتها.

وقد يقول قائل : إن فى تجريم عقوق الوالدين والعقاب عليه، معناه تدخل الدولة عن طريق المشرع فى الشئون الداخلية للأسرة، وربما كان ضرر هذا التدخل أكبر من نفعه، لما قد ينجم عن ذلك من سوء استخدام هذا الحق من البعض، وردا على هذا نقول : إن المشرع لا يتدخل بالتجريم والعقاب إلا فى الأمور الجليلة التى يؤدى السكوت عنها إلى أضرار ظاهرة يمتد أثرها إلى خارج محيط الأسرة وتُلحق الأذى بالمجتمع كله، فمثلا لا يتصور تدخل المشرع لتنظيم المأكل والمشرب والنوم والجلوس داخل الأسرة، ولكن من غير المقبول بكل المقاييس أن يقع من الابن اعتداء أيا كانت صورته على أحد الوالدين ولا ينال هذا الابن أشد العقاب، وإلا سادت الفوضى العلاقات الاجتماعية بين الناس، وهذه مصلحة معتبرة شرعا تفرض على ولى أمر المسلمين التصدى لرعايتها بالوسيلة التى يراها مناسبة، وياحبذا لو كان ذلك من خلال التشريع الملزم للكافة، لأنه كما قيل : إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل..وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الموقف الإعلامى الغربى من الإسلام والمسلمين

نحن فى عيونهم: سلبيون. متخلفون. متطرفون. عدوانيون

خالد محمد الأضور

- الإسلام - الخطر الأخضر - العدو القديم الجديد فى الذهن الغربى.

- وسائل الإعلام الغربية المقروءة والمسموعة والمرئية والعداء لكل ما هو إسلامى.

- دراسة إعلامية أوربية تؤكد تجاهل أوضاع الجاليات وتشويهها إعلامياً.

- مؤشرات خطيرة للعداء المتزايد فى الغرب للرموز الإسلامية.

- الإعلام الغربى يرسخ فى نفوس مواطنيه فكرة العدو المسلم.

فى تصور الغرب اليوم أن الأخطار التى يمكن أن تحدق به مرتبة فى لائحة حسب الألوان، فقد كان هناك الخطر الأحمر «الشيوعية» وقد زال مع تفكك الاتحاد السوفيتى، وهناك الخطر الأصفر «الصين واليابان» وقد تم احتواؤه سياسياً إلى حين.

أما الآن : فهناك فى أوربا والغرب بصفة عامة، من يتحدثون عن «الخطر الأخضر - الإسلام» فهم يرتجفون اليوم منه، وأصبح السيف، والمصحف والمئذنة والعباءة، والكوفية العربية، والحجاب الإسلامى، مصادر استنفار واستفزاز لهم، وذلك باعتبارها رموزاً عربية إسلامية تستدعى ميراث الأحقاد القديم، المتجذر فى أعماق نفوسهم.

إن المتابع لوسائل الإعلام الغربية، يلاحظ بروز تيار قوى ومؤثر، يصور الإسلام كعدو بديل عن الشيوعية، خاصة فى ظل حالة الانتصار التى يعيشها الغرب، بعدالسقوط المدوى للمعسكر الشرقى، ولا تكتمل نشوة الانتصار هذه فى نظرهم إلا بوجود عدو جديد يؤكد فكرة الانتصار.

ورغم أن هذا العدو الجديد - الإسلام فى تصورهم - لا يمتلك من مقومات القوة العسكرية ما يهدد الغرب، إلا أن الإعلام الغربى يتعمد تقديم صورة العرب والمسلمين، بحيث تجمع بين التخلف والتطرف، والإجرام والإرهاب، وسفك الدماء.

ورغم أن الإسلام مازال هو المجنى عليه، ويتلقى الضربات الموجعة من كل حدب وصوب، ولم يبدأ بالعداء فى أى وقت، فإن وضعه فى خانة «العدو الجديد» أمر يجب الالتفات إليه والتغلغل فى أسبابه ودوافعه.

❖ **البحث عن عدو** : هذه الأسباب، نجدها عند «توينبى»

المؤرخ الغربى الذى وصف الغرب بأنه يبحث عن عدو، لكى يشبع النفسية الغربية القائمة على «التحدى» حيث بنى الغرب فلسفته فى البقاء على هذه النظرية، ومن هنا كانت الحرب الباردة التى امتدت عقوداً من الزمان، هى الوسيلة التى استغلها ساسة الغرب لرفع مستوى التحدى لدى شعوبهم واختلاق المشكلات فى العالم مثل أزمة «خليج الخنازير» ومشكلة «نورييجا» فى بنما، و«صدام» فى العراق، وحربا الخليج الأولى والثانية ـ وغزو جرينادا وهاييتى والبوسنة، وغيرها من مناطق العالم الملتهبة. كانت الدول الغربية تدفع الآلة الإعلامية الجهنمية لرفع حالة التحدى لدى شعوبها، ولم يجد الغرب حالة التحدى الدائمة إلا فى الإسلام. ولم يجد كبش فداء جاهز الذبح سوى الأصولية الاسلامية، فركز عليها وصوب الأنظار إليها، وأظهرها بمظهر الخطر الدائم عليه وربطها بالعنف وسفك الدماء ان فكرة الصراع والتحدى فى الغرب راسخة منذ القدم، فهناك «صراع الآلهة» فوق جبال الأولب، وهناك صراع الأساطير «الإلياذة» و«الأوديسا» وما أحدثه هذا الصراع من حرب بين «إسبرطة» و«أثينا»، ثم صراع الدولة الرومانية والفارسية، والرومانية والإسلامية،ثم الصراع الصليبى مع الإسلام، ثم الأندلس وشمال افريقيا، وأخيراً البلقان والقوقاز.

التشويه الإعلامى الغربى للإسلام :

إن المتتبع لوسائل الإعلام الغربية، يلاحظ مؤشرات خطيرة للعداء المتزايد ضد الإسلام، والمسلمين، والجاليات الإسلامية هناك، وتركيز هذا الشعور «الوهمى» بخطورتها، وهذا العداء يرجع لما يلى:

ـ الفهم المغلوط لبعض مفكرى وكتاب الغرب للاسلام وتعاليمه، فضلاً عن ميراث الحقد القديم.

ـ تسليط الأضواء على التصرفات الشاذة لبعض المسلمين ورؤية الإسلام من خلالها.

حرب المصطلحات:

والمؤسف أن الإعلام الغربى يروج لهذه الأمور، وبصورة مكثفة، ويصور الإسلام على أنه خطر حقيقى، وأن المسلمين فى أوربا يشكلون تهديداً لا يستهان به، وأصبحت مجلات وصحف كبرى فى أوربا تبرز عناوين رئيسية فى غاية الاستفزاز والإثارة، وتحذر من قدوم خطر «الراية الخضراء» مثل: «الله يحتل العالم!!» «هل يقبرنا الإسلام».. و«ظلال المآذن المتطاولة».. «الإسلام يملأ الفراغ بعد انحسار الشيوعية» ..«نبرات جامحة فى الجمهوريات الإسلامية» «سيف الإسلام».

وظهرت «حرب المصطلحات» : المتعصبون ـ الأصوليون المتطرفون ـ المتشددون ـ النضاليون ـ المجاهدون ـ الإحياء والبعث الإسلامى ـ الخطر الإسلامى ـ الصحوة الإسلامية....إلخ.

وهكذا يستمر هذا المسلسل من المغالطات والافتراءات الإعلامية الظالمة ضد الإسلام والمسلمين، وقد نفذت أعمال وصدرت قرارات، واتخذت مواقف، ومورست مسالك بناء على ذلك. إن كثيراً من الإعلاميين فى الغرب يتعمد الكذب فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين حتى لكأن أحدهم يجهز التهمة الكاذبة أولاً، ثم يعتسف الأدلة والقرائن لتعزز موقفه، وقد ظهر ذلك واضحاً فى وسائل الإعلام المختلفة : الكتاب ـ الصحيفة ـ المجلة ـ الإذاعة ـ التليفزيون ـ المحطات الفضائية ـ السينما ... إلخ.

وقد شهد شاهد من أهلها. فى الكتاب الذى أصدره «المعهد الملكى للشئون الدولية بلندن» وكان عنوانه : «أوربا والعرب» للكاتب «ديفيد مكدوال» الذى ذكر «أن وسائل الإعلام الغربية كان لها دور كبير، فى إحداث تأثير نفسى فى توجيه الأذهان نحو فكرة العدو المسلم، ورسم صورة مخيفة للإسلام، وقد أفرز ذلك التأثير النفسى أكثر من مدلول بكلمة مسلم أو عربى فى الذهن الغربى، فقد تعنى «الجمود والتلقائية» وقد يفسر ذلك مانراه أحياناً من تصوير المسلم محمولاً على ناقة. بجلباب عربى تقليدى، وقد تعنى ذلك الشعب المنسوب إلى محمد ﷺ الذى

استولى على جزيرة العرب. ويبدو ذلك فى تسمية المسلمين أحياناً بالمحمديين، وترديد عبارات مثل : دين محمد صلاة محمد، وقد تعنى العنف السياسى والرغبة فى التوسع بادعاء انتشار الإسلام بحد السيف، وقد تعنى تلك الجماعات الخاملة الكسولة، بدليل التخلف الاقتصادى للمسلمين .. إلى غير ذلك من التصورات.

وسوف نستعرض بعون الله تعالى في السطور التالية، بعض الشواهد والدلائل على التشويه الإعلامى والثقافى الغربى، المتعمد للإسلام والمسلمين، من خلال الوسائل الإعلامية التالية:

❖ **الصحف والمجلات:**

● نشرت صحيفة «صنداى تليجراف» البريطانية فى ١٩٩٠/٦/١٥ افتتاحيتها بعنوان «هل يقبرنا الإسلام؟ نحذر من انتشار الإسلام فى أوربا».

التشوية الإعلامى الغربى للإسلام :

● نشرت صحيفة «الايندبندنت» البريطانية في ١٩٩١/٩/٧ تقريراً أشارت فيه إلى أن الأصولية الاسلامية ستكون البديل للجمهوريات الإسلامية وحذرت من المد الإسلامى فيها.

● كاتبة إنجليزية متصهينة كتبت فى صحيفة «صنداى تايمز» فى ١٩٩٥/٧/٢٣، تقول : إن العالم لا يحتاج الآن إلى دولة إسلامية تعامل فيها النساء كالكلاب، وغير المسلمين كالتراب». ورأى الكاتبة كأخلاقها، فقد هجرت زوجها وأقامت علاقة شاذة مع زميلة لها ونشرت الصحف فضائحها.

● وفى عام ١٩٩٠ قالت صحيفة «الفاينانشيال تايمز البريطانية» «إذا كانت أمريكا تشجع الاتجاهات الديموقراطية فى شرق أوربا، فيجب ألا تشجع ذلك فى العالم الإسلامى، حتى لا يتسلم الأصوليون السلطة».

● وفى أوائل عام ١٩٩١ نشرت صحيفة «صنداى تليجراف» البريطانية أيضاً .. مقالاً لـ «بيرجرين دور شورت» بعنوان «الوجه القبيح للإسلام» قال فيه : «إن حلف شمال الأطلسى سيعيش، وأن الغرب سيبقى مجموعة دول متماسكة معاً، من خلال الشعور بخطر خارجى هو: التطرف الإسلامى» وأضافت نفس الصحيفة:«إن الإسلام الذى كان حضارة عظيمة تستحق الحوار معها، قد انحط ليصبح عدواً بدائياً لا يستحق إلا الإخضاع».

● وفى عدد غير عادى من مجلة «نيوزويك» فى مايو ١٩٩٥ أفردت ملفاً يحوى عدداً كبيرا من صفحاتها تحت عنوان كأنه صيحة نذير: «أوربا المسلمة!!» حرصت المجلة على بث الرعب لدى الأوربيين من المسلمين، فتساءلت عن مستقبل أوربا مع تزايد أعداد المسلمين فيها، وما يمكن أن يؤديه من تغيير لوجه الحياة فى القارة الأوربية، وتعمدت المجلة أن تذكر أوربا بالحملات الصليبية.

وفى سبتمبر ١٩٨٨، كانت صورة الغلاف لمجلة أسبانية، تمثل يد أحد المسلمين يمسك سيفاً كرمز للإسلام، ويغمده فى قلب خريطة أسبانيا، وكان التعليق المصاحب للصورة : «الإسلام يتغلغل فى أسبانيا».

وفى مارس ١٩٩٥ نشرت مجلة «أرابيسك» الصادرة فى مقاطعة «كولونيا» بألمانيا آيات قرآنية كريمة، حول صور لراقصات عاريات، وفى حينه رفع بعض المحامين المصريين - تضامن معهم عدد من رجال الأزهر والشخصيات العامة دعوى على وزارة الثقافة لسماحها للمجلة بدخول مصر.

وفى أول أكتوبر ١٩٩٤ دقت مجلة «لوبوان» الفرنسية ناقوس الحرب ضد الإسلام والمسلمين، فقد نشرت تحقيقا صحفياً مطولاً شغل ١٦ صفحة كاملة، للكاتبة الفرنسية «كريستيان ماكاربان» عن الرسول ﷺ «الحياة الحقيقية لمحمد» وزودت الموضوع بصور زعمت أنها للرسول والصحابة، وعلى بن أبى طالب وفاطمة بنت رسول الله - رضى الله عنهم - وجبريل عليه السلام - وبلغ من اهتمام المجلة بالموضوع، أنها وضعته على الغلاف كله برسم مزعوم للرسول وهو يتلقى الوحى من جبريل أمين وحى

السماء !!!!

وبصرف النظر عما تمثله هذه الرسوم من تحد للمشاعر الإسلامية، التى ترفض أى رسم خيالى لنبى أو صحابى، فإن الأهم هو ما ورد فى الموضوع من أكاذيب وافتراءات تتضمن التشكيك فى نزول القرآن، وتدوينه وتجميعه، والتنديد بلغته وأسلوبه الذى أتى الفلاسفة والمتصوفون بمثله على حد زعم المجلة، وأن المسلمين يعبدون محمداً الذى له ٩٩ اسماء ويسجدون لاسمه، وأن محمداً هو مؤلف القرآن وصائغ لاهوته ومختلق ربطه بالديانتين السابقتين لإضفاء الشرعية على دينه، وأن القرآن لا يضم تشريعاً وفقاً لأحداث الساعة، كما يتضمن التشكيك فى شخص سيدنا محمد «المجهول الهوية» حتى سن الأربعين، والتشكيك فى أميته، والتأكيد على شهواته وأنه جمع بين الزوجات والخليلات، وأنه نقض اتفاقه مع اليهود واختلق المعارك لإثراء المسلمين. كما أنه أخذ طقوس اليهود تملقاً لهم، ثم عدل عنها تملقاً للمسيحيين، واتهم اليهود بأنهم قتلة عيسى، كما يتضمن اتهام كتب التراث الإسلامى بتحريف التاريخ والغزوات الإسلامية، أما الحجاب فهو مرتبط باتهام عائشة وليس إجبارياً!!!

السينما والتليفزيون

فى السينما العالمية تقترن الكوفية والعقال - رمز العربى والمسلم - بمناظر مشينة وتصرفات ممجوجة، وصور «كاريكاتيرية» ساخرة، وقد عرض التليفزيون الأوربى فى نهاية عام ١٩٩٥، حلقات متتابعة بعنوان : «الإسلام والخنجر» !! تدور حول أن الإسلام دين الإرهاب والعنف، وإراقة الدماء مع كل من لا يعتنقونه، بل وأيضا مع من يعتنقونه، لمجرد الخلاف، ويستشهدون فى ذلك بفتاوى إهدار دم سلمان رشدى.

كما عرض «فيلم» من إنتاج فرنسى عنوانه : «حالة طوارئ - القرآن والكلاشينكوف» !! مدته ساعة كاملة يقدمه مقدم أفلام تسجيلية مشهور فى السينما الفرنسية، يدعى«جان مارى كافادا» وآخرون، وهو من إخراج المخرج الفرنسى: «فيليب لاليمان»، وعنوان الفيلم يشى بمضمونه!!

وقد دأب التليفزيون الفرنسى بقنواته المختلفة، على بذل جهد حثيث لإثارة الكراهية ضد الاسلام والمسلمين، حتى صار يمنع المثقفين الفرنسيين البارزين المعارضين لتلك اللوثة الفرنسية من الظهور على شاشته، وفي برامجه، والباحث الفرنسى المعروف: «فرانسوا بورجا» - مؤلف كتاب : «الإسلام صوت الجنوب»، وهو من أكثرهم تفهماً وإنصافاً للمسلمين، نموذج لضحايا هذا الموقف الغريب، حيث لا يسمح له بالظهور إلا فى برامج قناة تليفزيونية ألمانية فرنسية (آر.تى) ويستعين به الألمان وليس الفرنسيون!!!

وقد صدرت فى ألمانيا (يناير ١٩٩٦) دراسة إعلامية مهمة، تتعلق بالدور الذى يلعبه التليفزيون فى أوربا بالنسبة للجاليات الأجنبية بها - ومعظمهم من المسلمين - فانتقدت بشدة الأهمية القليلة وشبه النادرة التى توليها محطات التلفزة الأوربية تجاهها على عكس ما تدعيه سياسة دول الاتحاد الأوربى من رغبته فى إدماج الأجانب.

كما أوردت الدراسة وجهة نظر عدد كبير من مسئولى الجاليات الأجنبية، منهم البروفيسور التركى: فاروق صن - رئيس مركز الدراسات التركية بمدينة «إيسن» الألمانية الذى أعرب عن قلقه من قلة اهتمام وسائل الإعلام الألمانية، وخاصة التليفزيون بقضايا المسلمين ومشاكلهم، مما دفع بعض المؤسسات التجارية الألمانية والتركية، إلى إنشاء محطات تليفزيون خاصةتبث باللغة التركية، هدفها التجارة عن طريق الإعلانات، خاصة فى مناطق التجمعات التركية.

ودعت الدراسة الإعلامية، إلى ضرورة تخصيص برامج موجهة للجاليات الأجنبية - تبثها محطتا التليفزيون الألمانى، الأولى والثانية - شبه الرسمية - مباشرة، أو عن طريق محطات إقليمية فى الولايات الألمانية بهدف دمج الجيلين الثانى والثالث من أبناء الجالية المسلمة بالمجتمع الألمانى مع الاحتفاظ بهويتهم الدينية والثقافية والاجتماعية الخاصة بهم.

وناقشت الدراسة المذكورة المشاكل الناجمة عن عدم الاكتراث بشئون الأجانب فى التليفزيون الأوربى والألمانى، وهى مشاكل مزدوجة، تتعلق بجهل الأوربيين بالمشاكل التى تواجه الأجانب الذين يعيشون معهم من جهة، وعدم معرفة الأجانب لحقيقة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فى المجتمع الأجنبى من جهة أخرى، مما يزيد من اتساع الهوة ويضاعف موجة العداء للأجانب.

كما انتقدت الدراسة الصورة المشوهة التى تقدمها مؤسسات الصحافة، ومحطات التليفزيون الأوربى عن الأجانب، وتعمد إلى اختيار صور سلبية، بدلاً من تقديم صور موضوعية وواقعية.

❖ تصريحات رسمية:

يصعب علينا التحديد الدقيق لبداية الإعداد للبحث عن عدو جديد، ولكن نبدأ حسب المتاح لنا اعتباراً من عام (١٩٨٥)، لنتأمل التصريحات الرسمية التالية:

فى عام (١٩٨٥) قال الرئيس الأمريكى الأسبق «نيكسون» بعد تولى «جورباتشوف» للسلطة فى الاتحاد السوفيتى السابق: «يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاوناً حاسماً، لضرب الأصولية الاسلامية»!!!

فى ربيع عام(١٩٩٠) ألقى «هنرى كيسنجر» وزير الخارجية الأمريكى الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوى لغرفة التجارة الدولية، قال فيه:«إن الجبهة الجديدة التى على الغرب مواجهتها: هى العالم العربى والإسلامى، باعتباره العدو الجديد للغرب».

كما يقول الرئيس الأمريكى الأسبق «نيكسون»

أيضاً فى كتابه: «نصر بلا حرب»: إن على الولايات المتحدة أن تنتزع الزعامة الروحية فى العالم، مثلما انتزعت الزعامة العسكرية والاقتصادية».

ويقول «نيكسون» في كتابه الأخير: «اقتناص الفرصة»: إن معظم الغربيين ينظرون نظرة واحدة إلى المسلمين، على أنهم غير متحضرين، برابرة غير عقلانيين، إلا أن الحظ حالف بعضهم».

وقال «جانكلودبارو» المسئول الفرنسى عن الهجرة:« إن الإسلام هو الخطر على الغرب».

وعندما سئل الرئيس الفرنسى السابق: «فرنسوا ميتران» عن سبب مساعدته لصدام حسين طاغية العراق، قال «لأنه يحارب الأصولية الإسلامية فى إيران، التى تمثل تهديداً أكبر لمصالحنا».

❖ الكتب ووسائل أخرى :

وفى موازاة هذا التشويه الإعلامى، ظهر عدد من الكتب المغرضة عمل مؤلفوها في نفس الخط التشكيكى والتخويفى من الإسلام، منها كتاب :«نهاية التاريخ والإنسان الأخير» لمؤلفه: «فرانسيس فوكياما» الذى رسم صورة مأساوية للعالم فى حالة عودة الإسلام وتمكنه كما كان من قبل، ويصدق ذلك على كتاب: «الحرب مع الحداثة ـ التحدى الإسلامى» لمؤلفه «ديفيد جونس» الذى استبعد فى كتابه أى تفاهم بين الغرب والإسلام.

وهذه صورة أخرى من صور الإساءة للإسلام، دار «شانيل» للأزياء فى باريس ـ العاصمة الفرنسية ـ وضعت آيات قرآنية كريمة على أزياء عارضاتها العاريات، وقد احتج على ذلك «دليل أبوبكر» إمام مسجد باريس، وتعهد «كلود إليتيه» رئيس دار «شانيل» بإحراق جميع «الموديلات» المتضمنة صوراً لذلك الفستان، الذى عرضته «كلوديا شيفر» عارضة الأزياء الفرنسية الشهيرة فى يناير (١٩٩٥).

وفى ابريل (١٩٩٥) أصدرت هيئة البريد البريطانية، طابع بريد يحمل صورة مزعومة لأشرف الخلق محمد ﷺ ، وبجواره طاغية من طواغيت العصر الحديث، وهو «موسولينى» بحجة حبهما المشترك للقطط، ولا يخفى على أحد مغزى هذا الطابع، من استخفاف واستهزاء واضح.

وفى التراث
حقائق وأوهام
٣

هل كان أبو حيان التوحيدى معتزليا؟؟

د. محمد عمارة

فى الحلقة السابقة من هذه الدراسة، كشفنا وأزلنا وهم تهمة «الزندقة» التى ألصقت بأبى حيان التوحيدى.. وكذلك وهم كونه فيلسوفا..

وإذا لم يكن التوحيدى «زنديقا».. ولا «فيلسوفا».. فهل كان «معتزليا»؟ حتى يذهب الذين صنفوا المعتزلة فى أهل الأهواء والزندقة إلى اعتباره زنديقا، بل وأشرّ زنادقة الإسلام؟!.. أو يذهب الذين يحتفون بالعقلانية الاعتزالية إلى الإشادة به كواحد من المتكلمين المعتزلة؟؟

لقد ذهب هذا المذهب - من القدماء - طاش كوبرى زاده (٩٠١ - ٩٦٨هـ - ١٤٩٥ - ١٥٦١م) الذى قال: «كان التوحيدى معتزليا يسلك مسلك الجاحظ، شيخ الصوفية»(١)!!.. وفى هذا القول تناقض غريب على عالم مثل طاش كوبرى زاده، ولعله من أخطاء النساخ التى فاتت على فطنة المحققين - إذ ما علاقة الاعتزال بالتصوف؟!.. وما علاقة الجاحظ بمشيخة الصوفية؟!

كما ذهب هذا المذهب - القائل باعتزال التوحيدى - كثير من المعاصرين(٢).. بل ونسبوا التوحيدى إلى الاعتزال، مع استبعاد الصاحب بن عباد من هذا الاعتزال.. فقالوا: «كان التوحيدى يتفلسف على طريقة المعتزلة، ميالا إلى الجدل والأبحاث العقلية، بخلاف الصاحب بن عباد، الذى كان يحب العلوم الشرعية، ويبغض الفلسفة وما يشبهها من علوم الكلام.. (٣)».. وهذا نموذج لمنهاج الخلط الذى ساعد عليه الانطلاق من آراء كُتاب الطبقات، لا من مصنفات الذين ندرس مقالاتهم ومذاهبهم.. ولو وعوا كتابات التوحيدى لعلموا أن تأثره بالجاحظ إنما كان فى الأسلوب، لا فى الأصول الخمسة للاعتزال..

فالمعتزلة لم يذكروا اسم التوحيدى فى طبقات رجالهم.. بينما ذكروا اسم الصاحب بن عباد(٤)!.. وأصالة الصاحب فى فكر الاعتزال تتعدى وجود اسمه فى كتب طبقات المعتزلة، لأن له كتبا شاهدة على مذهبه هذا.. ومنها (الإبانة عن مذهب أهل العدل(٥))..

بل إن التوحيدى - الذى عاش فى «الرى» - معاصرا للقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى (٤١٥هـ - ١٠٢٤م) - الذى مثل صحوة الاعتزال بعد اضطهاد المتوكل العباسى (٢٠٦ - ٢٤٧هـ - ٨٢١ - ٨٦١م) لفكرهم وأعلامهم - دون أن ترد فى كتاباته إشارة إلى هذه الصحوة الاعتزالية وإمامها هو التوحيدى الذى يشهد بأن الصاحب بن عباد كان على مذهب المعتزلة.. فعندما يسأله الوزير ابن سعدان (٣٧٥ هـ ٩٨٥م):

- «إنى أريد أن أسألك عن ابن عباد..» يجيب التوحيدى:

- « .. إن الغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة، وكتابته مهجنة بطرائقهم.. وهو يدين بالوعيد.. (٦) ».

فأن يقال عن التوحيدى إنه كان معتزليا، بخلاف الصاحب بن عباد، الذى كان يحب العلوم الشرعية.. وعلم الكلام هو كلام غريب، فضلا عن أنه يقيم تناقضا غريبا بين الاعتزال وبين العلوم الشرعية وبين المعتزلة وعلم الكلام، الذين كانوا هم رواده وواضعيه؟!

مذهب التوحيدى فى القضاء والقدر

وفوق كل ذلك، فإن مذهب التوحيدى فى القضاء والقدر - الجبر والاختيار - .. وفى العقل والعقلانية، يجعله خارج دائرة الاعتزال بلا جدال!

فهو فى قضية الجبر والاختيار، لا يقف موقف المعتزلة مع «الاختيار» .. وإنما يقف موقف من تكافأت لديهم أدلة «الجبر» مع أدلة «الاختيار» - وهو مالا يقول به معتزلى على الإطلاق.

فعندما يسأل الوزير بن سعدان التوحيدى، فيقول:

- «كنت حكيت لى أن العامرى - (أبو الحسن العامرى (٣٨١هـ - ٩٩١م) - صنف كتابا عنوانه (إنقاذ البشر من الجبر والقدر)، فكيف هذا الكتاب؟» .. تأتى إجابة التوحيدى معبرة عن تكافؤ أدلة كل من الجبر والاختيار لديه.. فيقول:

- «هذا الكتاب رأيته بخطه عند صديقنا وتلميذه أبى القاسم الكاتب، ولم أقرأه على العامرى، ولكن سمعت أبا حاتم الرازى يقرأه عليه.

وهو كتاب نفيس، وطريقة الرجل قوية، ولكنه ما أنقذ البشر من الجبر والقدر، لأن الجبر والقدر اقتسما جميع الباحثين عنهما والناظرين فيهما.. إن من لحظ الحوادث والكوائن والصوادر والأواتى من معدن الإلهيات أقر بالجبر، وعرَّى نفسه من العقل والاختيار والتصرف والتصريف، لأن هذه وإن كانت ناشئة من ناحية البشر، فإن منشأها الأول، إنما هو من الدواعى والبواعث والصوارف والموانع التى تنسب إلى الله الحق. فهذا هذا.

فأما من نظر إلى هذه الأحداث والكائنات والاختيارات والإرادات من ناحية المباشرين الكاسبين الفاعلين المُحدثين اللائمين الملومين المكلفين، فإنه يعلقها بهم ويلصقها برقابهم، ويرى أن أحدا ما أُتى إلا من قِبَل نفسه وبسوء اختياره وبشدة تقصيره وإيثار شقائه.. والملحوظان صحيحان، واللاحظان مصيبان، لكن الاختلاف لا يرتفع بهذا القول والوصف، لأنه ليس لكل أحد الوصول إلى هذه الغاية، ولا لكل إنسان اطلاع إلى هذه النهاية..(٧) ».

فالقول بكل من الجبر والاختيار - عند التوحيدى - صحيح - «الملحوظان صحيحان، واللاحظان مصيبان» .. وهذا مالا يقول به أحد من أهل الاعتزال.

وكذلك رأى التوحيدى فى العقل ومقامه.. لا يقول به أهل الاعتزال.. فالمعتزلة يجعلون الأدلة أربعة، لا ثلاثة.. فهى - على هذا الترتيب -: العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع(٨) - مع التنبيه على أن تقديم العقل على الكتاب والسنة إنما هو «تقديم ترتيب»، لأنه هو سبيل النظر والاجتهاد فيهما، وليس «تقديم تشريف وتعظيم» .. وليس هكذا رأى التوحيدى فى العقل والعقلانية.

فهو وإن تحدث عن العقل باعتباره، «خليفة الله، القابل للفيض الخالص الذى لا شوب فيه ولا قذى، وإن قيل هو نور فى الغاية لم يكن ببعيد، وإن قيل إن اسمه مُغْنٍ عن نعته لم يكن بمنكر..(٩) » .. إلا أننا نجد قلق موقفه من العقل عندما يقول: « .. والعقل سريع الحوْل - (التحول) - خفى الخداع »!(١٠).

منهاج أهل الحديث

بل ونراه يقول بما لا يقول به معتزلى، عندما يفضل منهاج «أهل الحديث» بل و«إيمان العجائز» على منهاج المتكلمين وعقلانية العقلانيين وتأسيس الإيمان على البراهين.. فيقول عن طريقة المتكلمين: «إن الطريقة التى التزموها وسلكوها لا تفضى بهم إلا إلى الشك والارتياب، لأن الدين لم يأت بكمٍ وكيف فى كل باب، ولهذا كان لأصحاب الحديث أنصار الأثر مزية على أصحاب الكلام وأهل النظر. والقلب الخالى من الشبهة أسلم من الصدر المحشو بالشك والريبة. ولم يأت الجدل بخير قط. وقد قيل: من طلب الدين بالكلام ألحد، ومن تتبع غرائب الحديث كُذب، ومن طلب المال بالكيمياء افتقر. وما شاعت هذه الوصية جزافا، بل بعد تجربة كررها الزمان، وتطاولت عليها الأيام، يتكلم أحدهم فى مائة مسألة ويورد مائة حجة ثم لا ترى عندهم خشوعا ولا رقة، ولا تقوى ولا دمعة، وإن كثيرا من الذين لا يكتبون ولا يقرأون ولا يحتجون ولا يناظرون ولا يُكرمون ولا يُفضلون خير من هذه الطائفة وألين جانبا، وأخشع قلبا، وأتقى لله عز وجل، وأذكر للمعاد، وأيقن بالثواب والعقاب، وأقلق من الهفوة، وألوذ بالله من صغير الذنب، وأرجع إلى الله بالتوبة. ولم أر متكلما فى مدة عمره بكى خشية، ولا دمعت عينه خوفا، أو أقلع عن كبيرة رغبة، يتناظرون مستهزئين، ويتحاسدون متعصبين، ويتلاقون متخادعين، ويصنفون متحاملين، جذَّ الله عروقهم واستأصل شأفتهم، وأراح العباد والبلاد منهم، فقد عظمت البلوى بهم، وعظمت آفتهم على صغار الناس وكبارهم، ودب داؤهم، وعسر دواؤهم، وأرجو ألا أخرج من الدنيا حتى أرى بنيانهم متضعضعا، وساكنه متجعجعا(١١)...»(١٢).

ونحن هنا لا نناقش صواب أو خطأ هذا الذى قال به التوحيدى.. وإنما نسوقه تنبيها على خطأ، بل وغفلة الذين تحدثوا عن اعتزاليته وعقلانيته، واشتغاله بالفلسفة وعلم الكلام.. فالرجل يفضل منهاج «أصحاب الحديث أنصار الأثر» على منهاج «المتكلمين» بل ويتهم المتكلمين فى دينهم، قائلا: «من طلب الدين بالكلام ألحد»!.. ويتمنى استئصال شأفتهم، وإراحة العباد والبلاد منهم، حتى لكأنه نوح الذى يدعو الله ألا يذر على الأرض منهم دَيَّارا..

فأنَّى تكون للرجل صلة بالاعتزال والكلام والفلسفة والعقلانية؟! إن قراءة آثار التوحيدى، ووعى دلالات إضافاته واستنباطاته هو الفيصل فى تحديد موقعه من تيارات الفكر.. وليست أحكام كتاب التراجم والطبقات، تلك التى تلونت بالعصبيات المذهبية لأصحابها.. ثم تناقلها اللاحقون عن السابقين، حتى ابتلع طُعمها كتابنا المعاصرون!

الهوامش:

(١) (مفتاح السعادة) جـ١ ص٢٣٤. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

(٢) انظر ـ على سبيل المثال ـ د. إبراهيم الكيلانى (أبو حيان التوحيدى) ص٥٥. طبعة دار المعارف. القاهرة.

(٣) المرجع السابق. ص ٢٥.

(٤) انظر: أبو القاسم البلخى، القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمدانى، الحاكم الجشمى (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) ص٣٦١. تحقيق: فؤاد سيد. طبعة تونس سنة ١٩٧٢م.

(٥) انظر طبعة بغداد ـ سنة ١٩٦٣م لهذا الكتاب بتحقيق: محمد حسين آل ياسين.

(٦) (الامتاع والمؤانسة) جـ١ ص ٥٣ ـ ٥٥. طبعة القاهرة سنة ١٩٣٩م.

(٧) المصدر السابق. جـ١ ص٢٢٢، ٢٢٣.

(٨) (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) ص١٢٧.

(٩) (الامتاع والمؤانسة) جـ٣ ص١١٦.

(١٠) المصدر السابق. جـ١ ص٩.

(١١) متجعجعا: أي ضاربا بنفسه الأرض من الوجع.

(١٢) (الإمتاع والمؤانسة) جـ١ ص١٤٢.

الحسن البصرى

(٢١-١٠٠هـ=٦٤٢-٧٢٨م)

دراسة بقلم
الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى

تأليف الدكتور
السيد الجميلى

- ١ -

أبوسعيد الحسن البصرى ... حدِّث عنه ولاحرج حدِّث عن صلاحه وتقاه، عن خشيته وخوفه من ربه ومولاه، حدِّث عن زهده وورعه، عن طاعاته وعبادته، عن جرأته فى الحق وجهره به، عن جمال سمته، وجلال كلامه وصمته، عن إقباله على الله، وإدباره عن الدنيا وهربه منها، حدِّث عن سيد الزاهدين، وشيخ الصالحين المتقين فى عصره.

ولد أبوسعيد فى مدينة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب من أب كان مولى لرجل من الأنصار، وأم كانت مولاة لأم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها.

وربى الحسن البصرى فى بيت أم سلمة، ونشأ فى ظلالها، ورضع من أفاويق حكمتها وعزتها وجلالها مارضع، فوهب بلاغة الكلام، وفصاحة اللسان، وحلاوة البيان، ونشأ هذه النشأة الطاهرة، وشهد فى المدينة هذه الفترة الباهرة، وعاش زاهداً متبتلاً.

ثم هاجر إلى البصرة ملتقى العلماء، ومنتجع البلغاء، فعاش فيها ونسب إليها، وجالس الأخيار الصالحين من قطانها، وصار مسجد البصرة الجامع منتداه، وحلقات العلم فيه مبتغاه، وتجرد قلبه من حب الدنيا، وامتلأ روحه بالخوف من الله، والإقبال على طاعته والانصراف إلى عبادته، طلبا للنجاة، وفراراً من الهلاك فى الآخرة، ورهبه الناس، وخافوا من سطوة لسانه، ولذع بيانه، وأحلوه من نفوسهم مكانا علياً.

وكانت بيئة البصرة فى عصر أبى سعيد مزدهرة بحلقات العلم والعلماء، فقد عاش فيها الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٥هـ) وإمام العربية

سيبويه (١٣٨ - ١٨٠هـ) وأبوعمرو بن العلاء (٨٠ - ١٥٦ هـ) وفيها نشأ علم النحو وعلم اللغة، ووضع الخليل أول معجم لغوى وهو كتاب العين، وابتكر أوزان الشعر بعلم سماه علم العَرُوض، وفيها ألف سيبويه (الكتاب).

وفى البصرة ومسجدها الجامع كان يجلس أعلام من الصحابة والتابعين يعلمون الناس أمور الشريعة، ويفتونهم فى مسائل الدين، فكان أهل البصرة يعتمدون على فتاوى أبى موسى الأشعرى، وأنس بن مالك من الصحابة، والحسن البصرى، وابن سيرين (ت ١١٠ هـ) من التابعين، وقد وضع الحسن البصرى أساس علم التصوف وكان رائد الزهاد فى عصره.

وقد عاصر الحسن الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين زهداً وورعاً وتحكيماً للدين فى سياسة الحكم.

ولاشك أنه كان لذلك صداه وأثره فى نفس أبى سعيد، وإضافة إلى ذلك كله نشأته فى بيت أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها.

وهكذا عاش أبوسعيد فى هذه البيئة الإسلامية العربية العالية، عيشة الصالحين الأخيار، والزهاد الأبرار، والمجاهدين بكلمة الحق، دونما خوف من إنسان، أو رهبة لذى سلطان.

رحمك الله أباسعيد، فإنك لم تراقب فى قولك وعملك إلا الله، ولم تخش أحداً سواه.

عاش أبوسعيد عهد عمر وعثمان وعلى والحسن، ثم عهد معاوية ويزيد ومروان، وعبدالملك، والوليد وسليمان، وعمر بن عبدالعزيز، وهشام، ومع سلطان أمراء البصرة وسطوتهم، وبخاصة زياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف الثقفى، فقد نجاه الله من شرهم، ورعاه مولاه القادر المهيمن، وحماه من الرهبة والخوف من شرورهم وطغيانهم.

وعاد أبوسعيد إلى ماكان عليه من طاعة ربه، والالتفات إلى مولاه، والعكوف على العبادة بكل قوته، حتى بلغ من رضاء الله عليه مبلغاً كبيراً.

وتوفى رحمه الله فى العام العاشر بعد المائة من هجرة سيد المرسلين وخاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

-٢-

أقول هذا وبين يدى كتاب قيم بعنوان: «الحسن البصرى» مؤلفه هو الأستاذ الدكتور السيد الجميلى، ويقع فى أكثر من مائتى صفحة، تحدث

فيه عن أبى سعيد الحسن البصرى، وعن صفحات من حياته، وفقرات بليغة من حكمه ومواعظه، وأقوال الناس من معاصريه فيه.

وقد رجع المؤلف فى تأليف هذا الكتاب الجامع الشامل إلى عشرات المراجع والمصادر، وطرز هوامش الكتاب بذكر المصادر، وشرح مايحتاج إلى شرح من كلام أبى سعيد، فجاء الكتاب درة نفيسة وسفراً قيما جامعاً، ودراسات واسعة لحكم أبى سعيد ومواعظه ونصائحه وزهده وورعه.

وأبوسعيد هو شيخ الوعاظ والسالكين والصالحين من أبناء البصرة فى عصره

ولم يترك الدكتور الجميلى حكمة من حكم أبى سعيد إلا ذكرها وشرحها، وجلاها فى أبلغ عبارة، وأنصع بيان.

والمؤلف مع أنه طبيب مشهود له بالموسوعية والعلم الغزير، والاطلاع الواسع، فهو محقق للعديد من كتب التراث، مما يشهد له بالباع الطويل فى تحقيق التراث، وبالإلمام بشتى المصادر والمراجع القديمة والحديثة على السوء.

والأستاذ الدكتور السيد الجميلى فوق ذلك مؤلف بارع، صدرت له عشرات التآليف فى الدين واللغة والأدب والطب، مما يدل على عمق ثقافته، وسعة إحاطته بمختلف المعارف والعلوم والآداب.

أسلوبه أسلوب متميز فى فصاحته وبلاغة عبارته، وإحكام نسجه، وقصد منهجه، مما يحبب القراء فى القراءة له، والإفادة من علومه ومعارفه.

-٣-

وبحق فإن كتاب «الحسن البصرى» «للدكتور الجميلى إصدار متميز، وعمل علمى جاد، وثمرة لقراءات طويلة، واطلاعات واسعة.

وحين يبدأ القارئ بالقراءة فيه، لا يشعر إلا وهو منساق إلى قراءته من بدئه حتى نهايته، لأن المؤلف يملك زمام القارئ ببلاغة أسلوبه، وحلاوة بيانه، وغزارة علمه.

وحسنا فعل الدكتور الجميلى بكتابه هذا «الحسن البصرى» الذى يفيد جماهير القراء فائدة جلَّى، ويرشدهم إلى منابع العظمة فى شخصيات أئمة الإسلام وأعلامه السالفين.

رحمك الله يا أبا سعيد، وأجزل لك العطاء بقدر ما أعطيت لدينك وأمتك ولأجيال المسلمين.

ووفق الله العلى القدير مؤلف هذا الكتاب الدكتور السيد الجميلى إلى مايحبه ويرضاه.

حوار صريح جدا بين الدعاة والإعلاميين

ماذا يريد الإعلاميون من الدعاة ؟
وماذا يريد الدعاة من الإعلاميين !

الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف يلقى كلمته فى افتتاح الندوة وعن يمينه الدكتور عبدالصبور مرزوق نائب رئيس المجلس

رسالة الدعوة والإعلام واحدة تهدف إلى توعية المواطنين بصحيح الدين

متابعة وإعداد : منير بيومى

هل الدعوة والإعلام وجهان لعملة واحدة،

وإذا كان الأمر كذلك فهل يحدث هذا على أرض

الواقع أم أنهما متضادان يعمل كل منهما فى واد بعيدا عن

الآخر، وهل يهدم الإعلام ما يبنيه الدعاة أم أن هناك تشابه وتشابك

بينهما؟ أمام هذه التساؤلات يبرز سؤال مهم يفرض نفسه وهو ماذا يريد

الدعاة من الإعلام وماذا يريد الإعلام من الدعاة؟ الإجابة على كل هذه

التساؤلات نعرضها فى الأوراق التالية من خلال حلقة النقاش التى نظمها

مركز الإعلام والاتصال بوزارة الأوقاف، تحاور فيها رجال الإعلام والدعوة

فى حديث اتسم بالمصارحة والمكاشفة والاعتراف بأوجه القصور من كلا

الجانبين مع الترحيب بالتضافر من أجل الوصول إلى أرضية مشتركة

تخدم قضية الدعوة لخلق مجتمع يؤمن بالقيم والمبادئ السامية

التى دعا إليها الإسلام من خلال القرآن والسنة.

د. محمود حمدى زقزوق

قضايا الدعوة الإسلامية وصلتها بالإعلام

فى البداية أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن هذه الحلقة النقاشية ليست هى اللقاء الأول بين رجال الدعوة والإعلام، وإنما فى بداية عام ١٩٩٦م عقدت ندوة لمناقشة مشكلات الدعوة الإسلامية للوقوف على المعوقات التى تعترض طريقها وكان ذلك بمركز صالح كامل بجامعة الأزهر، شارك فيها عدد كبير من الإعلاميين والمهتمين بقضايا الدعوة، وبالتالى فإن هذه الحلقة النقاشية امتداد للقاءات متعددة.

وأضاف أن هذه الحلقة تناقش بطريقة محددة وتركز على سؤالين: ماذا يريد الإعلام من الدعاة؟ وماذا يريد الدعاة من الإعلام؟ ويندرج تحت هذين السؤالين جزئيات وقضايا هامة تتعلق بالعمل الدعوى فى وزارة الأوقاف وفى وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمقروءة والمرئية.

صيغة مشتركة لنشاط الدعوة والإعلام

وأوضح أن الدعوة والإعلام رسالتهما واحدة، وغاية ما فى الأمر أن الدعوة تعد إعلاما يركز على تقديم المعلومة الدينية السليمة فهو يقدم خدمة ثقافية دينية للمواطنين. والإعلام دعوة بمفهوم أشمل يندرج تحته الإعلام الدينى وكما هو معروف أن مصر من الدول الرائدة فى هذا المجال حيث تعد أول دولة فى العالم الإسلامى أسست اذاعة للقرآن الكريم، وهى الآن تعمل على مدار أربع وعشرين ساعة.

وأضاف وزير الأوقاف أن هناك صحفا متخصصة فى الإعلام الدينى مثل جريدة «عقيدتى» و«اللواء الإسلامى» وغيرهما، وهناك صفحات دينية فى الصحف المصرية وبرامج دينية فى الاذاعة والتليفزيون تخدم مسيرة الدعوة وبالتالى فإن هناك تلاحم وتشابك بين الدعوة والإعلام ومن هنا لابد أن توجد صيغة مشتركة للعمل بين الدعوة والإعلام لأن الهدف واحد يتبع أسلوبا متقاربا والمتلقى للخدمة الدينية جمهور واحد وهو المواطن المصرى بالدرجة الأولى.

مرحبا بالنقد البناء

ومن هنا فإن الإعلام لديه تساؤلات يطرحها على الدعاة، والدعاة لديهم أسئلة يطرحونها على الإعلام من أجل الوصول إلى مقترحات أو وجهات نظر جديدة أو آراء تطرح من خلال المناقشة تحقق الفائدة لكلا الطرفين فى مجال عملهما.

وأكد الوزير أن العمل فى وزارة الأوقاف يقوم على الصراحة والوضوح، وفى وضح النهار وليس لدينا شىء نخفيه أو نتستر عليه، ونتقبل كل نقد موضوعى ونعمل على تنفيذ ما يمكن أن يفيد الدعوة الإسلامية أيا كانت الجهة التى يوجه منها فهذا أمر نتقبله. نتقبل كل الاقتراحات والآراء البناءة التى تخدم أعمال وزارة الأوقاف

جانب من العلماء والدعاة والإعلاميين يتابعون وقائع الحلقة النقاشية حول قضايا الدعوة والإعلام

الفصل بين نشاط الدعوة والإعلام غير مطلوب!!

أكد د. محيى الدين عبدالحليم المستشار الإعلامى لوزير الأوقاف ورئيس قسم الصحافة بجامعة الأزهر على العلاقة الوثيقة التى تربط بين الدعوة والإعلام فالتداخل والتكامل فى عمل كل منهما يصل إلى درجة التطابق، ذلك أنه من الصعب الفصل بينهما لاسيما فى بلد مثل مصر يتبوأ الدين فيها منزلة رفيعة فى حياة الناس وأنه لا سبيل لبناء الإنسان المصرى إلا بتقدم الإعلام الدعوى أو الدعوة الإعلامية.

وإذا كان بعض الدعاة لهم رأى فى النشاط الإعلامى معتبرين أنه يفسد عمل المسجد بما يقدمه من أعمال درامية ومنوعات وإعلانات قد تهدم ولا تبنى وتفسد ولا تصلح، فإن بعض الإعلاميين يرون أن رجال الدعوة لا يواكبون العصر وليست لديهم القدرة على مخاطبة الرأى العام العالمى والدفاع عن الإسلام، والرد على الهجمات التى توجه ضده وهكذا يحتدم الجدل والنقاش.

وأكد أننا فى حاجة أمينة وجادة لتضافر الجهود والاتفاق على كلمة سواء لأنه ليس من مصلحة خطط الدعوة أن تخاصم وسائل الإعلام الحديثة، وليس من مصلحة الخطط الإعلامية أن تعطى ظهرها للمرجعية الإسلامية الدعوية.

ومن ثم فإن الفصل بين نشاط الدعوة والنشاط الإعلامى ليس فى صالح الدعوة ولا الإعلام، بل أؤكد على وحدة النشاطين فالدعوة ماهى إلا عمل إعلامى وما بعث رسول الإسلام إلا لإبلاغ العالم بالأمانة التى حمله الله إياها وقد مارس - صلوات الله وسلامه عليه - الإعلام بفنونه وتقنياته التى كانت متاحة آنذاك من خلال منهج إلهى متميز أبرزته دوائر المعارف العالمية واعترف به المستشرقون المنصفون.

ولو كان محمد بن عبدالله ﷺ موجودا بيننا الآن ما وسعه إلا أن يستخدم كل وسائل الإعلام المتاحة ويوظفها ويعدل مسيرتها لخدمة

دعوة الحق، فهى نعم أنعم الله بها علينا ويجب أن نعرف كيف نستثمر معطياتها الإيجابية.

الدعاة حراس البوابات الإعلامية

إن الخطط الإعلامية لن يكتب لها النجاح فى غيبة دعم دعوى وتأييد روحى من رجال الدعوة الذين هم قادة الرأى فى المجتمعات الإسلامية وهم القادرون على إنجاح هذه الخطط أو احباط نشاطها، هؤلاء الرجال الذين يطلق عليهم خبراء الإعلام حراس البوابات الإعلامية.

ووسائل الاتصال ليست حكرا على الإعلاميين وحدهم ولكنها حق للدعاة، بل أكاد أقول إن الدعاة يجب أن يقتحموا هذه الوسائل دراسة وتدريبا وتعليما وممارسة حتى يمكنهم توظيفها لصالح رسالة الحق.

كما أن قضايا الدعوة وأصولها وفنونها ليست ملكا خاصا للدعاة وحدهم فالإعلاميون لابد أن يتخذوها مرجعية يلتزمون بها فى نشاطهم والتزامهم بالمنهج الإسلامى بدلا من الاجتهادات التى قد تبعدنا عن الأصول التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وفى ضوء هذا يصبح من الأهمية وضع استراتيجية دعوية إعلامية مشتركة تنطلق من هذا المنهج وتستثمر كل معطيات العصر وتقوم على قواعد علمية سليمة وتعتمد فى ممارساتها على الطاقات البشرية المؤمنة والجادة والقادرة على استخدام الوسائل المناسبة والأدوات الصحيحة والتقنيات المعاصرة.

أزمة الدعوة الإسلامية فى أجهزة الإعلام العالمية

وتناول الأستاذ فوزى عبدالحميد الخبير الإعلامى قضية أزمة الدعوة فى أجهزة الإعلام العالمية مؤكدا أن التاريخ الإسلامى أظهر لنا قيمة الدعوة الإسلامية وكان ذلك فى حدود الإمكانات المتاحة. واليوم ومع التقدم التقنى فى عصر الإنترنت نرى أن الدعاة مطالبون أن يعملوا بكل الوسائل ليوصلوا الفكر الإسلامى الدعوى والمعانى السامية لديننا الحنيف إلى العالم أجمع باستخدام شتى الوسائل الإعلامية.

وأشار إلى أن الأزمة الحقيقية هى فى البحث عن الوسيلة التى تصل بها رسالة الدعوة إلى من نريد أن تصل إليهم. وقال إن الفكر الإسلامى الراشد الذى ينبع من مصر يحتاجه كثير من المسلمين وغير المسلمين فى دول عديدة.

وحذر من بعض السلوكيات التى تصدر عن البعض الذين ينتسبون إلى الإسلام حيث يتخذها الغير وسيلة لمهاجمة الإسلام فى حين أنها لا تمت للإسلام ولا لتعاليمه بأية صلة .

إجادة الداعية للغة المخاطبين

وشدد الأستاذ فوزى عبدالحميد على ضرورة إجادة الداعية للغة المخاطبين حتى تصل الرسالة واضحة. مشيرا إلى أن هذا يحتاج إلى الأخذ بكل وسائل العلم ليصل فكرهم من خلال وسائل الإعلام إلى الجماهير.

ويرى أن أزمة الدعوة الإسلامية ليست فى عدم وجود مفكرين أو لضآلة الفكر أو فى وسائل الإعلام ولكنها تنحصر فى كيفية وصول الدعوة إلى الرأى العام العالمى.

وناشد قادة الدعوة الإسلامية أن يمكنوا الدعاة من خلال التدريب من اتقان اللغات الأجنبية. وأشار إلى أن الأطباء وخريجى الكليات العملية من جامعة الأزهر يمكن أن يكون لهم دور فى نشر الدعوة الإسلامية بما لديهم من مقدرة على مخاطبة الجماهير.

الدورات التدريبية للدعاة حقيقة قائمة

أوضح الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف إلى أن الدعاة يتلقون دورات فى اللغة الإنجليزية بمركز التدريب بمسجد النور حيث ينتظم فى الدورة خمسون داعية تم اختيارهم بعد إجراء اختبار لألف داعية فى اللغة والمعلومات العامة والتخصصية، وسيتم إيفاد هؤلاء الدعاة المدربين إلى دول العالم ليعملوا فى مجال الدعوة وبمقدورهم مخاطبة الجماهير. مشيرا إلى أن الداعية لابد وأن يجيد لغة من يخاطبهم حتى تكون دعوته موثرة ومفيدة فى تبليغ قيم الإسلام وتعاليمه.

العلاقات العامة وأثرها فى نشاط الدعوة

ويؤكد د. على عجوة وكيل كلية الإعلام بجامعة القاهرة أن التوافق بين الدعاة والجماهير ركيزة أساسية فى تبليغ الدعوة مشيرا إلى أهمية العلاقات العامة باعتبارها لونا من ألوان فن التوافق والتفاهم مع الجماهير بين دعاة الإسلام وجماهير المسلمين وغير المسلمين.

وأوضح أن الدعاة يخاطبون المسلمين فى كل صلاة وفى كل جمعة ليؤكدوا لهم المعانى السامية ويجددوا غذاءهم الروحى والمعرفى والوجدانى كما يخاطبوا غير المسلمين ليوضحوا لهم أمورا تتعلق بحقيقة الإسلام، وليردوا على مزاعم من يحاولون تشويه صورة الإسلام من خلال توضيح المعانى الحقيقية للإسلام.

ويؤكد د. على عجوة على ثلاثة أسس يحتاجها المجتمع الإسلامى من الدعاة، أولها: الاحتياج المعرفى، والثانى احتياج سلوكى، والثالث: احتياج وجدانى مشيرا إلى أن الناس يحتاجون إلى معرفة العبادات والمعاملات وهى أمور يتم التركيز عليها بصفة مستمرة، وأضاف أن المعاملات قد لا يتحدث عنها الدعاة مشيرا إلى أن المشكلات التى يواجهها المجتمع الإسلامى اليوم تختلف عن المشكلات التى واجهها فى فترات سابقة وضرب مثلا بقضية البيئة واستغلال الموارد المائية وعدم الإسراف فى المياه، وقال إن الدعاة عندما يخاطبون الجماهير فى هذه القضايا يكون لهم دور مؤثر يفوق تأثير الإعلانات. كذلك قضايا تتعلق باحترام الطريق وآداب المرور وحقوق الآخرين.

وأوضح أن الغذاء الروحى الوجدانى لا يتوفر إلا

من الدعاة الذين يقدمون زادا روحيا من خلال تفسير القرآن والقصص القرآنى ليكون سلوك المسلمين انعكاسا لهذه القيم السامية مشيرا إلى أن التوافق بين الداعية والجمهور من أهم القضايا فى نجاح الدعوة التى هى موهبة لا تتوفر لدى كل الدعاة، ولذلك فإن نجاح الداعية يحتاج إلى تدريب مستمر على الأداء من حيث الشكل والمضمون؛ لأن الخطأ فى اللغة أو التعبير قد يحتمل من غير الدعاة.

وأكد أن فن الأداء عامل ضرورى ومؤثر وفق الموقف الذى يتناوله الداعية وهذا من جانب الشكل، أما المضمون يختلف طبقا لمستوى الجمهور المتلقى.

فقه البيئة

أوضح الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن الوزارة تعد دراسة خاصة بفقه البيئة ليستعين بها الدعاة فى توعية المواطنين للحفاظ على البيئة وليوضحوا لهم كيف أن الإسلام دعا إلى الحفاظ على البيئة.

المعالجة الدعوية للعمل الدعوى

الأستاذ عبدالمجيد شكرى الخبير الإذاعى يقول: إن مسئولية الدعوة ليست قاصرة على أئمة المساجد، إنما هناك دعاة أمام الميكروفون وهم الذين يتعاملون مع الاذاعة وخطباء المساجد والمشاركون فى الاحتفالات الدينية التى يتم اذاعتها والمشاركون فى المناسبات العامة والمشاركون فى الحوارات والندوات، أما الدعاة وراء الميكروفون فهم الذين تجد أعمالهم طريقها إلى الميكروفون عن طريق غيرهم، ومنهم كتاب الأحاديث الدينية ومؤلفو الكتب الدينية التى يتم عرضها وتلخيصها أو مناقشتها، ودعاة تجد فتاواهم وآراؤهم طريقها إلى الميكروفون، ودعاة ينشرون فى الصحف وأعضاء فى لجان ومواقع إعلامية رفيعة مثل مجلس أمناء اتحاد الاذاعة والتليفزيون ومراجعو المواد الدينية قبل اذاعتها من العاملين فى الإذاعة.

ويشير إلى أن كل هؤلاء هم قادة الرأى يريد الإعلام منهم أن يحرصوا على مستوى معين من سمو الخطاب وربط الدين بالحياة وتقديم المفاهيم الصحيحة والتأكيد على أن الدين هو المعاملة، وسلوك يتعلق بعلاقة الإنسان بربه وبالناس أجمعين.

ويطالب الأستاذ عبدالمجيد شكرى الدعاة أن يؤكدوا على معنى الحلال والحرام لما له من دور فى تعديل سلوك الأفراد وأن يقتحموا مشكلات الحياة المعاصرة وقضايا العدالة الاجتماعية وعمالة الأطفال والديمقراطية ومشاركة الجماهير السياسية.

ودعا إلى الاهتمام بالموضوعات والقضايا التى يتناولها الدعاة بصفة عامة بأسلوب وإلقاء جيد يعتمد على الوضوح والصراحة والصدق مشيرا إلى أن الاعلاميين يريدون من الدعاة أن يكون لديهم الإلمام الكامل بقواعد الإلقاء والدراسة المستفيضة لعلوم الاجتماع والنفس وقواعد الإقناع، وأضاف أن نجاح الدعوة يتطلب تجنب القضايا الهامشية التى يريد أعداء الإسلام إثارتها ليكون المسلمون فى حالة دفاع دائم مشيرا إلى أهمية توحيد الفتوى.

الرؤية الصحفية للعمل الدعوى

أثار الأستاذ السيد عبدالرءوف رئيس تحرير جريدة «عقيدتى» قضية الأمية الدينية بين العديد من فئات الجماهير من خلال ملاحظاته وأثناء الندوات الدينية التى تربو على ثلاثمائة لقاء جماهيرى التى نظمتها جريدة «عقيدتى» بصحبة علماء وأساتذة الأزهر والأوقاف مشيرا إلى الظواهر السلبية لدى الشباب الذين انخرطوا فى سلك الفكر المتطرف نتيجة لضحالة الفكر الدينى لديهم، وحمل الدعاة والإعلام مسئولية هذه القضية.

العمل الدعوى ليس وظيفة

ويرى الأستاذ السيد عبدالرءوف أن عملية إعداد الدعاة يحكمها عاملان مهمان أولهما العملية التعليمية بدءا من المرحلة الابتدائية الأزهرية حتى مرحلة التخرج من الجامعة، وثانيهما يتوقف على الدعاة أنفسهم، مشيرا إلى أن العمل الدعوى ليس وظيفة وإنما هو رسالة، والداعية الذى يريد أن ينجح فى دعوته وأن يكون داعية حقيقيا يجب أن يأخذ نفسه بالجد فى تحصيل العلم وفى معرفة كل العلوم التى نتعامل معها فى هذا العصر، ولا يكفى أن يدرس الداعية الفقه وعلوم الحديث والقرآن الكريم وبعضا من السيرة النبوية أو بعضا من التاريخ الإسلامى فمطلوب إلى جانبه الإلمام بعلوم العصر لأن المرحلة التى تمر بها الأمة الإسلامية مرحلة خطيرة وحرجة حتى لا نكون عالة على المنجزات التكنولوجية والعلمية الغربية مستخدمين لتكنولوجيا الغرب.

مهمة الدعاة أن يستنهضوا الأمة الإسلامية للأخذ بعلوم العصر ومنجزاته العلمية ليقدموا للبشرية معرفة حقيقية

كما طالب بضرورة اهتمام برامج تدريب الأئمة - إلى جانب دراسة علوم التفسير والحديث المتوفرة فى كثير من المجلدات - بعلوم العصر والتيارات والمتغيرات على الساحة العالمية ليتعرف الداعية على مفهوم الجات، وماذا يعنى تعبير السوق الإسلامية المشتركة، والسوق العالمية المشتركة، وماهى مجموعة الخمسة عشرة؟ وماهو مفهوم العولمة، أو الكوكبة؟ وماهو النظام الدولى الجديد؟ وماهو صدام الحضارات الجديد الذى بشر به بعض المستشرقين الأمريكيين؟ وأن يعرف الداعية ماذا يعنى الاستنساخ، وماذا تعنى الهندسة الوراثية؟.

ودعا إلى ضرورة تحول كل الدوريات التى تصدر عن المؤسسات الدينية إلى وسائل لربط الدعاة بعلوم العصر وإنجازاته، وأن يعيش الداعية مشكلات مجتمعه.

العلاقة بين الدعاة والإعلام وثيقة

العلاقة بين الإعلام والدعاة علاقة اتصال وثيقة لا يغنى أحدهما عن الآخر، هذه رؤية الإعلامى الكبير الأستاذ أحمد فراج حيث يرى أن إمام المسجد يتحدث إلى المتواجدين فى المسجد أمامه، بينما يستطيع الإعلام أن يوصل ما يطرحه عالم الدين أو الداعية من خلال وسائل الاتصال إلى الجمهور المتلقى فى كل بقاع الأرض، حتى امتد الاتصال إلى تلقى مكالمات تليفونية من قارات العالم ليجيب العلماء على استفسارات الجماهير فى لحظة واحدة.

وبالتالى يطالب الأستاذ أحمد فراج بتمكين الدعاة من مخاطبة الناس فى كل بقاع الأرض من خلال هذه الوسائل، ويطالب الدعاة بأن يحسنوا مخاطبة الجماهير المتلقين الذين يمتدون عبر قارات العالم.

ويرى الأستاذ أحمد فراج أن نجاح الدعوة والإعلام فى رسالتهما مرتبط بمستوى التعليم والإعلام والصحافة والمسجد كأدوات مؤثرة فى فكر الجمهور المتلقى، وحسن استخدام كل الوسائل لخدمة قيم الإسلام.

حقيقة مصطلح العصرنة:

وحول مفهوم العصرنة وكيفية تطبيقه علق الأستاذ أحمد فراج بأنه قد يبالغ البعض فى مفهومها لدرجة التصور بأنه يمكن عصرنة الدين، مع أن القضية تتعلق بكيفية الطرح العصرى فالدين صالح لكل زمان ومكان ولا يختلف أحد على قدرة الإسلام ومبادئه السمحة فى تلبية احتياجات الإنسان بحيث يصبح المتلقى على مستوى رفيع يرقى بنوعية الحياة وليس بالمستوى المادى للحياة.

المرأة فى حقل الدعوة

حديث الدكتورة ماجى الحلوانى وكيل كلية الإعلام بجامعة القاهرة ركزت على الأسلوب الأمثل الذى يراه الإعلاميون فى توصيل المعلومة الدينية للجماهير بأن يكون مبسطا سهل الاستيعاب.

وطالبت الدعاة بأن يولوا للمرأة اهتماما خاصا بتوعيتها فى حقها فى المجتمع وفى التعليم حيث ترعى أسرتها وهى اليوم مطالبة بأن تعلم أبناءها وتوجههم لأنها أكثر ملازمة لأبناء الأسرة فى البيت نتيجة انشغال الأزواج فى مطالب الحياة المختلفة، كما طالبت بالمزيد من الاهتمام بالمرأة الريفية وحفزها على التعلم من خلال المدخل الدينى الذى يعاضد برامج محو الأمية التى تقدمها وسائل الإعلام. مشيرة إلى أن محو الأمية الأبجدية يجب أن يسايره محو الأمية الدينية الذى يعد أساسا لإعداد الإنسان، وحتى تتجنب المرأة الوقوع فى أخطاء تتعارض مع الدين.

وطالبت الدكتورة ماجى الحلوانى أن يكون للجنة البرامج الدينية دور فى الساحة وزيادة الساحة والجرعة الدينية مع كافة البرامج فى القنوات التليفزيونية مشيرة إلى الاهتمام ببرامج المرأة والطفل الهادفة.

القدوة أولا:

ويؤكد الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر الأسبق على ضرورة التركيز على القدوة بأن يكون الداعية قدوة فى السلوك قبل أن يعلم الناس كيف يكون سلوك الإنسان المؤمن المسلم وضرب مثلا على ذلك بالتجار المسلمين الذين ذهبوا إلى دول شرق آسيا وكيف أن عددا كثيرا من أهل تلك البلاد اعتنقوا الإسلام وقد أعجبتهم سلوكيات وأخلاقيات المسلمين.

ويحذر الدكتور محمد السعدى فرهود من خطورة تأثير التليفزيون حيث ينصرف معظم الجماهير إلى

مصر من الدول الرائدة فى الإعلام الدينى

مشاهدته نظرا لأنه يعرض تفاصيل الأحداث بالصوت والصورة، وطالب المسئولين بضرورة تنقية ما يعرض وأن يحسنوا اختيار البرامج.

تعقيب للدكتور محمود حمدى زقزوق

ويعقب الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف قائلا: إن التشابه والتشابك بين الدعوة والإعلام، فليس بالضرورة أن يكون هناك تناقض.

وأضاف أن القضية لا تتعلق بالدعوة والإعلام، وإنما هى قضية تتعلق بثقافة الأمة التى يجب أن تقوم على تخطيط مدروس مما يقتضى من كل الجهات التى تقدم الخدمة الثقافية لجماهير الأمة أن يكون بينها تكامل وتنسيق، وهذا لا يعنى أن يكون الناس فى المجتمع نسخا مكررة ولكن يجب أن يكون هناك وحدة فى الهدف والفكر، ومع هذا الاطار يكون هناك تنوعا فى وجهات النظر وبالتالى تتبلور رؤى وأفكار تقود الأمة إلى أهدافها المرجوة.

وبالتالى لا نرى وجودا للتناقض بين الدعوة والإعلام، لأنهما يقدمان خدمة ثقافية دينية وبالتالى ينبغى أن يكون هناك تكامل وتنسيق بينهما؛ لأن من أخطر الأمور التى تواجه أى أمة هو تشتيت فكرها وإصابتها بالانفصام.

ويؤكد وزير الأوقاف أن اللقاءات المباشرة والحوارات بين الإعلاميين والدعاة تساعد على إزالة سوء الفهم وتعمل على توحيد الفكر لدى كلا الجانبين، وذلك كله من أجل مصلحة المواطن المصرى الذى نقدم له المعلومة الصحيحة، مشيرا إلى أن سوء الفهم قد ينتج عن نقص فى المعلومات يترتب عليه بناء اتجاه معين غير مبنى على أساس سليم، وعندما تكون المعلومات صحيحة يترتب على ذلك بناء اتجاه صحيح، وبالتالى لابد أن يكون هناك حد أدنى للاتفاق على أسس مشتركة بين الجهات التى تقدم الخدمة الثقافية للجمهور. ونحن نتحدث عن الدعوة والإعلام، أما أن يكون هناك اختلاف فى الفرعيات فهذا أمر لا بأس به، وقد عرفنا من خلال الفقه الإسلامى مدارس متعددة متحدة فى الأهداف والأصول، مختلفة فى الفروع، وهذا تيسير على الأمة، فالاختلاف فى الفروع أو الأساليب ليس فيه ضرر مادام الجميع متفقا على أسس وأصول واحدة.

وأوضح وزير الأوقاف أن الدعوة أمانة ومسئولية، كما أن القلم فى يد الكاتب أمانة ومسئولية، ومن خلال ذلك نوجه السؤال ماذا يطلب الإعلام من الدعاة؟ وماذا يطلب الدعاة من الإعلام؟ على أساس مشترك من المسئولية يتحملها الداعية ورجال الإعلام.

وأضاف إننا فى لقاء المصارحة وحسن النية والقلب المفتوح والعقل المتقبل لكل الملاحظات؛ النقد مطلوب ولا نعتبره هجوما أو تجريحا. لأن الدعاة والإعلاميين فى خندق واحد.

التواصى بالحق وبالصبر

جاءت كلمة الشيخ صلاح نصار إمام مسجد عبدالعزيز بمصر الجديدة مستوحاة من سورة من أقصر سور القرآن الكريم قال عنها الإمام الشافعى ﷺ لو لم ينزل على المسلمين من القرآن سوى هذه السورة لكفتهم، وهى قول الله تبارك وتعالى **﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾**.

ويوضح الشيخ صلاح نصار أن التواصى بالحق والتواصى بالصبر أمران يعتمد عليهما فى التعامل بين أبناء الوطن الواحد وبين المسلمين.

وناشد بضرورة المزيد من التواصى بالحق فى المجال الإعلامى والدعوة مشيرا إلى أن الكلمة المسموعة والمقروءة والمشهد المرئى أمانة لابد أن يتسم قائلها بالصدق،

وأضاف أن النبى ﷺ عبر عن ذلك بقوله: كبرت خيانة أنت تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب.

فإذا كنا نرى فى بعض الأحيان فيما ينشر فى الصحف لا يصدق نشرها وإن قلنا أنه لا يتثبت مما ينشر، وربما نقرأ فى عرض قضية من القضايا لم يتثبت من يعرضها ثم يتبين خلاف ذلك، الأمر الذى يؤكد على تحرى الصدق والالتزام به، وأن نكون فى وضع يمكننا من أن نتثوتق من الكلمة قبل أن نقولها أو قبل أن نكتبها حتى لا نتعرض لنقد أو تجريح من الكتاب أو من الذين يتحدثون.

د. عبدالصبور مرزوق

بعض المؤسسات تفخر بنشر الكتب الممنوعة وتؤيد القوى المعارضة للإسلام

أوضح الدكتور عبدالصبور مرزوق أن الدعاة ليسوا جميعا لديهم الموهبة شأنهم فى ذلك شأن أصحاب المهن الأخرى، وإنما يوجد من بينهم نماذج طيبة تمثل أكمل وأشمل ما يمكن أن يكون عليه الداعية من ثقة بالنفس وامتلاك لناصية اللغة والقدرة على التعبير الجيد، وتوصيل المعلومة بإيجاز شديد واستثارة للوجدان بكل مقومات الكلمة الناجحة المستوفية لكل شروط الأداء الموفق. فليس كل الدعاة لديهم نقائص وعدم القدرة على مخاطبة الجماهير.

الإساءة إلى الدعوة.. كيف؟!

ويعترف الدكتور عبدالصبور مرزوق أن من بين الدعاة من يسيئون إلى الدعوة بسوء فقههم من ناحية، وبالصراخ من فوق المنابر من ناحية أخرى، وعدم مراعاة حال المخاطب أو المستمع بحيث يطيل الخطيب فى خطبة الجمعة غافلا عن حديث رسول الله ﷺ: «من أم بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة».

نشر الممنوع.. لماذا؟!

وفى صراحة تامة يكشف الدكتور عبدالصبور مرزوق عن أسباب هدم القيم والآداب التى يبنيها الدعاة وينشرونها بين الناس فتأتى بعض الأعمال الإعلامية لتفسد ما يصلحه الدعاة ويصف ذلك بالكارثة. وأضاف أنه لا يتصور أن تكون فى مصر بلد الأزهر بعض الصحف والمجلات تصر على نشر الكتاب الممنوع الذى يضر بقيم المجتمع وثوابته وبما ينبغى أن يكون عليه، فإذا جاءت صحيفة تفخر بأنها تنشر الكتاب الممنوع فمعنى هذا أنها تتحدى ثوابت وقيم هذا المجتمع، كما أنها لا تلتقى ومعطيات الأمة وثوابتها على طريق واحد، وإنما تسير فى تيار معاكس يؤيد مخططات ومعطيات القوى المعادية للإسلام فى هذا البلد.

وأشار إلى أن الكتب الممنوعة تصدر توصية من لجان فى مجمع البحوث الإسلامية برأيها العلمى فيه ومدى صلاحيته، وأوضح أن نشر مثل هذه الكتب الممنوعة تثير اشمئزاز الداعية وتبين له أن الدعوة تسير فى واد وبقية المجتمع فى واد آخر.

إعلانات غريبة

ويضاف إلى ذلك - والكلام للدكتور عبدالصبور مرزوق - انه إذا كانت هناك بعض الصحف المصرح لها رسميا والتى لها نفوذ فى المجتمع تعاكس التوجه الإسلامى فى البلد فيقال إن هذا اتجاه الدولة، وان كنت لا أرى ذلك، فلا يليق مطلقا أن نجد إعلانات غريبة عن اختيار ملكة جمال مصر، وإعلانات غريبة عن إقامة مصارعة للثيران فى مصر، وإصرار على أشياء لا تليق مطلقا بمجتمع مصر بلد الأزهر.

وعندما نطالب بوقف مثل هذه النماذج يقال إن رجال الدعوة رجعيون متخلفون، ومثل هذا لا ينبغى أن يصدر عن الإعلاميين الذين يقدرون قيمة وطنهم والدور القدرى فى علاقتهم بالإسلام.

وحذر الدكتور عبدالصبور مرزوق من العداء الموجه إلى مصر وشعبها من أعداء يعلمون مكانة مصر التي عرفت التوحيد منذ عهد اخناتون، ومنذ نبى الله إدريس، وقد تزوج سيدنا ابراهيم من مصرية، وكذلك سيدنا محمد من مصرية، كل هذا يؤكد أن لمصر دورا قدريا يجب أن نحافظ عليه.

وأكد أن من يحاول أن ينال من مكانة مصر الدينية بشكل أو بآخر لا ينبغى وصفه بأنه متمرد أو متحرر بل هو خائن. مشيرا إلى بيان دار الافتاء حول ما جاء بالكتاب الذى يدرس بالجامعة الأمريكية وجرى الاعتراض على اساءته للإسلام ولرسول الله ﷺ فإذا بلغ الأمر أن يعتدى على رسول الله ﷺ فى بلد الأزهر مصر المسلمة من خلال تدريس كتاب لأبناء الصفوة يتضمن استهانة بكتاب الله وبسنة رسوله فسيأتى اليوم الذى يدير فيه هؤلاء الناس ظهرهم للإسلام.

ويطالب الدكتور عبدالصبور مرزوق بضرورة تقدير الكلمة طبقا لحجمها وعلى قدر الجريمة الناتجة عن مثل هذه الكتب يكون الجزاء وتكون العقوبة. وأشار إلى أن كثيرا من العاملين فى العمل الإعلامى فى كل مجالاته يظنون أن الدين هو المكان الذى يمكن أن يعتدوا عليه دون أن يحاسبهم أحد، وفى هذا ينبغى أن تكون معه وقفة، وأن يكون هناك ميثاق شرف بين الإعلاميين وبين الدعاة.

وإلى جانب التمكن من الأسس الشرعية يؤكد الدكتور عبدالصبور مرزوق أن الداعية ينبغى أن يكون على بينة كاملة بمعطيات العصر فى الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتقنيات الحديثة بشرط الالتزام بمراعاة حالة المخاطب حيث تختلف الكلمة باختلاف المخاطب.

الدستور المصرى يكفل حرية النشر فى إطار الالتزام بالقيم الأساسية للمجتمع

ويحدد الدكتور جعفر عبدالسلام أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية أسس التعامل والنشر من خلال الأقمار الصناعية خاصة بعد أن دخلت الدول العربية كما دخلت مصر فى عصر الفضاء بعد إطلاق الأقمار الصناعية مشيرا إلى نوعية الرسالة الإعلامية الموجهة للمسلمين وما يجب أن تكون عليه.

وأشار إلى خطورة عملية صياغة العقل من خلال ما يقدم على شاشة التليفزيون، وأوضح أن الدعاة بعيدون عن هذا المجال، مع أننا فى عصر يحتاج الى اكتشاف القدرات والمواهب التى تستطيع أن تتعامل مع هذه الأجهزة، وأن تكتب كتابات تقبل وتسمع مع الناس.

الدستور المصرى والصحافة

وأوضح أن الاطار القانونى للبث يحكمه الدستور المصرى الذى يعد من أفضل الدساتير فى الانحياز إلى حرية النشر، كما يعتبر أن الصحافة سلطة رابعة إلى جانب السلطة القضائية والتنفيذية والتشريعية.

ويشير الدكتور جعفر عبدالسلام إلى أن الدستور قيد هذه السلطة بالالتزام بالقيم الأساسية للمجتمع، سواء بما يتصل بحماية حرية العقيدة، وحرية الرأى، وحرية الاجتماع، وفيما يتصل بحماية الأسرة المصرية وما يتصل بالشريعة الإسلامية واعتبارها المصدر الرئيسى للتشريع فى مصر الدولة الإسلامية.

الخطأ فى النشر متى يكون جريمة؟!

ويوضح الدكتور جعفر عبدالسلام أن الخطأ فى النشر قد يصل إلى حد ارتكاب الجريمة، فنرى فى اليوم الواحد عشرات الجرائم من خلال البرامج والصحف والمجلات والسينما.

ويشير إلى الجرائم التى يحاكم عليها قانون العقوبات من خلال عرض ما يمكن أن يسىء إلى الأديان ومانطلق عليه الفعل الفاضح.

وتناول الدكتور جعفر عبدالسلام قانون العقوبات الجنائى موضحا أنه يحاكم جرائم القذف والسب وهتك الأعراض، والاساءة والإهانة إلى الناس، ولكنه يستثنى مثلا القذف فى حق الموظف العام، فإن كان هناك شخص مسئول يتولى قمة المسئولية فى جهاز من الأجهزة عليه أن يتحمل ما يمكن أن يوجه إليه من نقد وهذا ما يطلق عليه النقد المباح.

حدود النقد المباح

ويوضح الدكتور جعفر عبدالسلام حدود النقد المباح بألا يتناول النشر جرائم سب مثل القول بأن فلانا مرتش فهذا سب وليس قذفا، ولا تقولن إن فلانا زنديق. أما الذى يسمح به فهو النقد ومعناه أن تواجه واقعة محددة ولا تتحدث عن أمور مبهمة.

وعلى الصحفى أن يثبت صحة كل واقعة تسند إلى المقذوف فى حقه.

ولابد أن يكون حسن النية متوافر فالصحفى لا يقبل له أن يقول لقد سمعت أو أن مصادرى قالت لى. وهنا نقول عندما تقذف أو تنسب وقائع فعليك أن تثبتها. وأن تكون أيضا متسما بحسن النية والقصد، ولا تستهدف التشهير والإيقاع دون مبرر.

والمشرع المصرى يعلى هدفا على هدف مثل اعلام الناس بالأمور وتبصير الرأى العام حتى يتشكل فى اتجاه معين يساند الحقيقة.

وقانون العقوبات يتضمن سلسلة تحت باب جرائم النشر فالقذف عبارة عن اسناد واقعة لشخص لو صحت لأدت إلى عقابه أو احتقار عند أهل وطنه.

حتى لو كان صوابا ليس لك أن تنشره إلا فى حالة الموظف العام وبالقيود وبالأسس المناسبة.

يعاقب القانون الجنائى على إهانة السلطات والهيئات العامة، فحين يسب شخص أو يتحدث بشكل غير لائق عن وزارة أو مؤسسة أو شخصية عامة دون سند ودون دليل.

وأوضح د. جعفر عبدالسلام أن ميثاق العمل الصحفى ظهر منذ شهرين وهو يعد وثيقة لها أهميتها إذ يتعهد الصحفيون فى هذا الميثاق باحترام قيم المجتمع وما يقوم عليه من أسس فى العقيدة وفى الآداب العامة.

ودعا د. جعفر عبدالسلام أن يكف عن ارتكاب الجرائم وأن يكف عن اشهار ما يسىء إلى قيم المجتمع المصرى وإلى الأسس العامة التى قام عليها المجتمع.

وأوضح أن الشريعة الإسلامية تعتبر أساس النظام العام فى مصر وبالتالى لا يجوز المساس بها، لأن كل مساس بالشريعة يعد مساسا بقيم المجتمع المصرى ويخالف ميثاق الشرف الصحفى والدستور والقانون المصرى.

خلق الحياء

أكد الدكتور طه أبو كريشه نائب رئيس جامعة الأزهر أن الإعلام والدعوة يلعبان دورا مهما فى تشكيل ذاكرة الأمة، وطالب بأن يسود خلق الحياء فى أجهزة الإعلام فى الكلمة التى تنطق بها أو الكلمة المكتوبة أو المشهد الذى يقدم فى التليفزيون.

ويتفق الدكتور طه أبو كريشة مع

مطلوب استراتيجية دعوية إعلامية مشتركة تقوم على قواعد علمية سليمة

الدكتور عبدالصبور مرزوق فى أن بعض وسائل الإعلام قد تهدم ما يبنيه الدعاة.

وطالب أن يكون هناك توازن فى تشكيل ذاكرة المسلم وأن تكون الصحيفة أو المجلة شاملة لكل ما من شأنه يلعب دورا فى تشكيل ذاكرة الأمة.

تخطيط شامل

الدكتور إسماعيل الدفتار الأستاذ بجامعة الأزهر أبدى ملاحظته حول البرامج الدينية فى التليفزيون وشبكات الاذاعة التى لا تخضع لتخطيط شامل، وإنما هى فى غالبها عشوائية، وقد تخضع أحيانا لمزاج القائم على البرنامج دون من يقوم هذه البرامج أو يتحدث فيها، وبناء على ذلك فإننا نحتاج إلى تخطيط شامل للبرامج الدينية فى كل وسائل الإعلام بحيث يتكاتف الجميع على هدف واحد.

ويقترح الدكتور اسماعيل الدفتار تشكيل لجنة للتخطيط من وزارة الأوقاف والأزهر وأجهزة الإعلام المسموعة والمرئية ومن الشخصيات العامة التى لها اهتمام وفكر وعطاء فى المجال الدينى بكل فروعه من عقيدة وعبادة ومعاملات.

الإساءة إلى رموز الإسلام بغيا وعدوانا

ويؤكد الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر أن كل وسائل الإعلام لها أهمية ودور فى نشر الدعوة فى أكبر مساحة فى عالمنا.

أزمة الدعوة تنحصر فى الوسائل التى توصلها إلى الرأى العام العالمى

لأن الإسلام والوحى الإلهى الذى نزل بلغتنا العربية وجب علينا وجوبا عينيا أن نبلغه إلى كل من فى الأرض وإلى كل أصحاب اللهجات والتيارات المختلفة.

ويشير الدكتور أحمد عمر هاشم إلى ما يشهده العالم اليوم من تقدم فى مجال تبادل المعلومات والثقافات. فأصبح واجبا على الإعلام وكل المسئولين فى كل الدول الإسلامية أن يمكنوا للدعوة وأن يزيدوا من مساحة الإعلام الدينى فى الصفحات والبرامج والبث الذى يتدفق خارج البلاد الإسلامية لتتمكن من نشر الدعوة الإسلامية باعتبارها دعوة عالمية لابد أن نبلغها للعالم كله.

ويطالب الدكتور أحمد عمر هاشم الإعلاميين أن يصونوا الدعوة الإسلامية وألا يعبثوا برموزها وثوابتها، حيث انحرفت بعض وسائل الإعلام عن الجادة، فمنهم من يصور بعض الشيوخ أو العلماء بمالا يليق، ومنهم من يحاول أن يهيل التراب على بعض الرموز والثوابت، ومنهم من يشهر أقلامه بغيا وعدوانا فى بعض هذه المعانى.

ولأن التحدى الذى يواجهه الدعاة والإعلام واحد يطالب الدكتور أحمد عمر هاشم بتضافر الجهود فى مواجهة أعداء الأمة الإسلامية الذين يريدون تعطيل مسيرتها.

ويضيف: إننا لا نريد أن نبدد وقتنا الذى يجب أن نستثمره فى نشر الإسلام، لأن بعض أعدائنا وبعض أتباعهم يحاول أن يحاصر الإسلام والمسلمين والدعاة فى نقطة واحدة، وفى قفص الاتهام، وكأن الإسلام متهم نريد أن ندافع كل يوم عن شبهة من الشبهات، ونرد عن نقيصة من النقائص، وفى ذلك ليس خدمة للحقيقة، لأن من يريد ذلك عليه أن يتحاور وأن يناقش، لا أن يكتب ويجرح، وليس فى هذا خدمة للدعوة ولا للأمة الإسلامية.

بروتوكولات حكماء صهيون

ويحذر الدكتور أحمد عمر هاشم من الانخراط فى المخططات التى تريد النيل من الأمة الإسلامية منها ماهو فى بروتوكولات حكماء صهيون الذين قالوا: إن القضاء على القرآن لم يكن من الممكن - حيث وجدوه وقد تكفل الله بحفظه - ووجود هذه المؤسسات بعلمائها وفى طليعتها الأزهر الشريف - وقد حقق الله قوله: **«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»** صان الله كتابه العزيز، فما كان منهم إلا أن وجهوا سهامهم نحو السنة النبوية الشريفة بالتحريف فيها، فقيض الله لها رجالا أمناء نقشوها على صفحات قلوبهم الأمينة، ولأن لدينا يقينا كاملا بأن الله تكفل بحفظ القرآن، وهذا اليقين يفئ علينا يقينا قريبا منه بأنه تكفل بحفظ كل صحيح من السنة ليكون بيانا لكتابه العزيز، يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنا علينا بيانه﴾**.

الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ كل صحيح من السنة ليكون بيانا لكتابه، فلما لم يجدوا بداً فى الكتاب ولا فى الحديث وجهوا سهامهم تجاه حملة هذا الدين ونقلته ورموزه، الجسور الذين انتقل الوحى عبرهم من عصر النبوة إلى عصورنا التالية هم صحابة رسول الله ﷺ، فكان أكثرهم رواية أكثرهم تعرضا للتجريح والنقد كأبى هريرة وغيره، ثم تلاهم التابعون والعلماء والدعاة إلى عصرنا الحاضر، فهو مسلسل يورثه سلف الأحقاد إلى خلفهم، وقد

حذر - عليه الصلاة والسلام - الأمة الإسلامية من هذا، وكان يقول: **«لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه، الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».**

ويضيف الدكتور أحمد عمر هاشم: أن القلم فى يد الكاتب سلاح يمكن أن يدافع به عن الوطن والأرض والعرض ويمكن أن يمزق به شرف الناس فيبوء بإثم عظيم، والكلمة أمانة، فمن انحرف بها فقد خان الأمانة. من أجل ذلك نطلب من رجال الإعلام أن يكونوا حصونا منيعة للدفاع عن الدعوة والعلماء، وألا يسمحوا للصحافة الصفراء أن تتفشى فى مجتمعنا، ولا للأقلام التى تبتز الناس أن تأخذ سبيلها إلى بعض الناس.

دور المرأة

الدكتورة سعاد إبراهيم صالح عميد كلية الدراسات الإسلامية طالبت بأن يكون للمرأة دور فى الدعوة الإسلامية حيث أن النساء فى حاجة إلى المرأة المتخصصة فى الفقه لتوضح لها أمور دينها ودنياها لأن الأهلية الدينية متوفرة لدى النساء مثل الرجال.

وطالبت بأن يكون للمرأة الأزهرية دور فى كل الأنشطة الدعوية داخل الجامعة وفى وسائل الإعلام.

الكلمة المسموعة والمرئية أمانة فى عنق الإعلاميين ورجال الدعوة

وطالبت بإنشاء شعبة للدعوة للطالبات فى شعبة أصول الدين أو قسم للدعوة بشعبة أصول الدين أسوة بقسم الدعوة فى كلية أصول الدين.

وطالبت بزيادة البرامج الدينية بالتليفزيون مع حسن اختيار أوقات إذاعتها وتوفير الإمكانات المادية والفنية لها ومراعاة التجديد وزيادة مساحة الثقافة الدينية فى الصحف والمجلات العامة وتقديم ثقافة دينية حقيقية من خلالها.

وطالبت بالاعتماد فى الفتاوى على العلماء الثقاة تجنبا لوقوع بلبلة بين الناس، وإتاحة الفرصة للصوت الإسلامى للتعبير عن نفسه فى وسائل الإعلام بصفة عامة والصحف والمجلات بصفة خاصة.

الصدق والموضوعية

الدكتور عبدالرشيد سالم رئيس قطاع الدعوة بوزارة الأوقاف يؤكد على ضرورة أن يخرج كل عمل إعلامى أو دعوى إلى الجمهور بصدق وموضوعية، ليكون ما يكتب وما يعرض ناتج عن أمور حقيقية غير وهمية، لأن كثيرا مما يكتب أو ينشر هو اختراع بعيد عن الحقيقة. كما يطالب بأن يكون النقد موضوعيا ودون تجريح للأشخاص وأن يكون المرجع إلى أحد العلماء ليدلوا برأيهم فى القضايا التى تحتاج إلى توضيح دون تشكيك فيمن تناولها حتى لا يفقد الجمهور الثقة فى الدعاة ودعا إلى المزيد من التعاون بين الدعاة ورجال الإعلام.

الالتزام بالأخلاق والآداب

ولأن رسالة الداعية هى نشر القيم والآداب والفضائل التى دعا إليها الإسلام فإن الشيخ سالم محمود عبدالجليل إمام مسجد قاهر التتار يطالب وسائل الإعلام أن تلتزم بها فى الأعمال التى يقدمونها للجماهير مشيرا إلى أن هذا ليس مطلبا شخصيا بل هو أمر يأمرنا به ديننا الحنيف أن نلتزم بالقيم والآداب فيما ينشر ويعرض، سواء أكان ذلك مكتوبا أو مرئيا.

وأضاف أن الإسلام علمنا من خلال منهج القرآن والسنة الالتزام بالأخلاق والآداب العامة التى حرص النبى ﷺ أن يعلمها للمسلمين.

توصيات الندوة

خلصت الندوة بمجموعة من التوصيات العامة.

أولا: فى مجال نشر الوعى الإسلامى :

تخصيص قناة دينية تليفزيونية باعتبارها ضرورة إسلامية ووطنية من شأنها توجيه النشء، ومواجهة التطرف، والقضاء على الأمية الدينية.

ثانيا :

زيادة الأوقات المخصصة للبرامج الدينية فى الإذاعة والتليفزيون والارتقاء بها وتوفير الإمكانات المناسبة لها وبثها فى أوقات مناسبة. وإتاحة الفرصة فى الصحف والمجلات للصوت الدعوى للتعبير عن نفسه بحرية والرد على ما يثار من قضايا من منظور يتوافق مع أصول وقيم الإسلام.

ثالثا :

فى مجال إعداد الدعاة :

١ ـ إعادة النظر فى قبول الطلاب بكليتى الدعوة وأصول الدين بجامعة الأزهر وذلك خلال خطة زمنية محددة بما يتيح لهم التزود بالعلوم العصرية. والارتباط بقضايا المجتمع.

رابعا:

إعادة النظر فى المناهج الدراسية الدينية فى مرحلة التعليم قبل الجامعى لتكون مادة التربية الدينية مادة أساسية. وأن تكون مادة (الثقافة الإسلامية) مادة أساسية فى مرحلة التعليم الجامعى.

خامسا :

فى مجال الرعاية المادية للدعاة : عن طريق رفع بدلاتهم ومكافآتهم بما يتناسب مع احتياجاتهم وأعبائهم وزيادة الأوقاف فى هذا الخصوص.

سادسا:

الاهتمام باللغة العربية وقواعدها وآدابها فى وسائل الإعلام المختلفة.

سابعا :

إعادة النظر فى المواد الإعلانية ولاسيما التليفزيونية لتكون متوافقة مع مبادئ المجتمع.

ثامنا :

عقد دورات تدريبية تثقيفية للممارسين الإعلاميين فى مجالات العلوم الإسلامية فى إطار المبادئ الإسلامية.

تاسعا :

تشكيل لجنة خاصة من المشاركين فى الندوة لإعداد ميثاق شرف (إعلامى إسلامى) أساسه الالتزامات الخلقية والممارسات المهنية فى مجال الدعوة والإعلام. من خلال ندوة علمية تعقد لهذا الغرض.

عاشرا :

تنشيط دور المرأة فى مجال الدعوة، وإتاحة الفرصة لها للقيام بالدور المنوط بها وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية فى الدراسات والعمل الدعوى والإعلامى.

حادى عشر :

طبع ونشر وقائع تلك الحلقة النقاشية بمعرفة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

حول بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة اجتمع فتيان قريش الذين جاءوا من مختلف القبائل لتنفيذ ماالتفق عليه زعماؤهم بدار الندوة، وهو أن يضربوا محمدا ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف على قتالهم ويرضون بأخذ ديته، وبذلك تنتهى الدعوة وينتهى محمد إلى غير رجعة.

من حديث ذات النطاقين

د. مسعد محمد الديب

وهنا يخبر المولى تبارك وتعالى رسوله بهذه المؤامرة الدنيئة، ويأمره بالهجرة إلى «يثرب»، فيأخذ صلى الله عليه وسلم فى وضع الترتيبات الدقيقة للقيام بهذه الهجرة، والتخطيط السليم الذى يكفل لها النجاح، فنظم المهام المتصلة بها من تموين، وتمويه، ونقل الأخبار إليه فى أثناء الرحلة، وتوزيع المسئوليات.

ومن تخطيطه صلى الله عليه وسلم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب، من خلال توزيع المسئوليات، فأسماء بنت أبى بكر تساعدها عائشة للتموين، وعبد الله بن أبى بكر للأخبار، وعامر بن فهيرة للإعفاء على آثار الأقدام بغنمه، وليطعم الرسول وصاحبه من لبن الغنم، وعبد الله بن أريقط الدليل إلى يثرب، وقبل هذا كله على بن أبى طالب لينام فى فراشه صلى الله عليه وسلم وليرد الودائع إلى أهلها.. وأبو بكر رفيق الرحلة.

والذى يعنينا فى هذه العجالة تسليط الضوء على مهمة أسماء بنت أبى بكر فى هذه الرحلة المباركة، تلك الصحابية الجليلة التى كانت آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة. وهى أخت السيدة عائشة لأبيها، وأم عبد الله بن الزبير، تزوجها الزبير بن العوام، فولدت له عدة أبناء بينهم عبد الله بن الزبير الذى قاست معه فى مكة إلى أن قتل فعميت بعد مقتله.. وتوفيت بمكة المكرمة.. شهدت اليرموك مع ابنها عبدالله وزوجها، وخبرها مع الحجاج بعد مقتل ابنها عبد الله مشهور، عاشت مائة سنة وهى محتفظة بعقلها، وسميت ذات النطاقين، لأنها صنعت طعاما للنبى صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة، فلم تجد ما تشده به، فشقت نطاقها وشدت به الطعام، وروت عن النبى صلى الله عليه وسلم ستا وخمسين حديثا (راجع الإعلام لخير الدين الزركلى جـ١ ص ٣٠٥).

وموقف «أسماء» فى الهجرة موقف فدائى وبطولى، فقد تحدت بصمودها جحافل الشرك، ولم تستسلم لهؤلاء الكفرة وعلى رأسهم «أبو جهل» حينما أرادوا أن يعرفوا منها مكان الرسول صلى الله عليه وسلم ومكان أبيها، ولكنها رفضت البوح بمكانهما رغم ما تعرضت له من متاعب وإيذاء،

وكانت أعظم من الرجال فى تحملها ومقاومتها، وكان دورها فى الهجرة من أعظم الأدوار أهمية، فقد كانت تعد الطعام للرسول ولأبيها، وتحمله إليهما إذا جنَّ الليل، غير مبالية بما قد يلحق بها من أذى جنود الشرك وعصابة الكفر، وهى إلى جانب ذلك راوية لبعض الأحداث الجليلة التى حدثت فى هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بداية الأحداث

١- فقد روى ابن إسحاق والطبرانى عن أسماء رضى الله عنها أن أبا بكر استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج قِبَلَ المدينة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «على رِسْلِك، فإنى أرجو أن يؤذن لى»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى وأمى أنت؟ قال: «نعم»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر[1]، وهو الخَبَط[2] أربعة أشهر.

وينزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبئه بما دبر له القوم، ويأمره بالهجرة إلى المدينة، فيسارع صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبى بكر فى وقت الهاجرة على خلاف عادته، فقد كان لا يمر يوم إلاّ يأتى فيه إلى بيت الصديق طرفى النهار بكرة وعشيَة، ويخبر صاحبه الصديق بأن الله قد أذن له فى الخروج والهجرة وهنا يسأله أبو بكر الصحبة، فيقول له صلى الله عليه وسلم: «الصحبة يا أبا بكر».

ويخبر الصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالراحلتين اللتين كان قد أعدهما لهذا الشأن، ويأخذ عليه الصلاة والسلام فى التخطيط العملى المنظم والمدروس، فحدّد لكل فرد مسئوليته بدقة، بعد أن وثق بكفاءة الذين اختارهم لتنفيذ رحلة الهجرة.

وكانت أسماء بنت أبى بكر تقوم بدور خطير فيه ازدواجية وفى غاية الأهمية ويتوقف عليه عصب الحياة للصاحبين الجليلين، فقد كانت تقوم بمهمة نقل الأخبار إلى ساكنى الغار مع أخيها عبد الله بن أبى بكر، وإلى جانب ذلك كانت تقوم بإعداد الطعام وحمله لهما إلى الغار، وكان ذلك يعرضها لمشقة كبيرة، وجهد عظيم، لأنها كانت تسير مسافة طويلة على قدميها، حاملة الطعام، ومعرضة نفسها لأخطار جسام، وكانت تبذل جهودا مضنية حتى تصل إلى الغار، ولذلك كانت تختار الوقت المناسب، وتسلك الطريق الخفى حتى تختفى عن الأنظار التى ترصدها، وتبعدها عن المكان الذى تقصده، وهى تدرك تماما أن أى خلل فى أدائها لهذا الدور الفعال ستكون له عواقب وخيمة على رسول الله وصاحبه.

ذات النطاقين

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: «فجهزناهما أحثَّ[3] الجهاز، وضعنا لهما سُفرة من جراب - وأفاد الواقدى أنه كان فى السفرة شاة مطبوخة - فشقت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها - وفى لفظ قطعت نطاقها قطعتين - فأوكت[4] بقطعة منه الجراب، وشدت فم القربة بالباقى، فسميت ذات النطاق، وفى لفظ النطاقين»

وعند البلاذُرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لها نطاقين فى الجنة».

والنطاق: هو ما يشد به الوسط، وقيل: هو إزار فيه تكة، وقيل: هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل، ذكره أبو عبيد الهروى وقال: وسميت ذات النطاقين لأنها كانت تجعل نطاقا على نطاق، وقيل: كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل فى الآخر الزاد، وقال ابن حجر: والمحفوظ فى البخارى أنها شقَّت نطاقها نصفين، فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر، ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالتثنية والإفراد بهذين الإعتبارين.

وعن بذل أبى بكر ماله كله فى الهجرة تقول أسماء مسجلة لها موقفا آخر يشهد لها بالوفاء والإيثار:

«وخرج أبو بكر بما له خمسة آلاف درهم.. فدخل

علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: «والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه» قالت - أى أسماء: «فأخذت أحجارا فوضعتها فى كُوَّة فى البيت، كان أبى يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، فقال: لابأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئا، ولكنى أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك».

رعاية الله لنبيه

وروى أبو نعيم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أن أبا بكر رأى رجلا مواجها الغار، فقال: يا رسول الله، إنه يرانا»، قال: «كلاً، إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها»، فلم ينْشَب أن قعد يبول مستقبلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر، لو كان يراك ما فعل هذا».

وروى البيهقى عن عروة أن المشركين لمَّا فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبوا فى كل وجه يطلبونه، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم به ويجعلون لهم الجعل العظيم، وأتوا على ثور الجبل الذى فيه الغار الذى فيه النبى صلى الله عليه وسلم حتى طلعوا فوقه، وسمع رسول الله صلى ا لله عليه وسلم وأبو بكر أصواتهم، فأشفق أبو بكر وبكى، وأقبل عليه الهم والحزن والخوف، فعند ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحزن إن الله معنا» ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت السكينة من الله تعالى.

ومكث الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه فى الغار ثلاث ليال حتى سكن عنهما البحث، وكان عبدالله بن أبى بكر يبيت عندهما لينقل إليها أخبار قريش، ثم يصبح مع قريش بمكة وكأنه بات بينهم.

وكانت أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين تأتيهما إذا أمس بما يصلحهما من الطعام، وكان عامر بن فهيرة يرعى غنما لأبى بكر فى رعيان أهل مكة، فإذا أمسى يمر بغنمه على الغار، فيتحلب الرسول وأبو بكر، ثم يعود إلى مكة سالكا الطريق الذى يسير فيه عبدالله وأسماء حتى يزيل آثار أقدامهما، فلما مضت الليالى الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما عبد الله بن أريقط الذى استأجراه لهذا الغرض، واتجهوا إلى يثرب.

ذات النطاقين وأبو جهل

تقول أسماء رضى الله عنها: «لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبى بكر؟ فقلت: «والله لا أدرى أين أبى»، فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشا خبيثا - فلطم خدى لطمة خرج منها قرطى، ثم انصرفوا، فمكثنا ثلاثة أيام ما ندرى أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وبمثل هذا التخطيط الدقيق والأخذ بالأسباب تكلل الأعمال بالنجاح، فمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم حق العلم أن الله ناصره ومؤيده، لكنه سلك الأسباب التى تؤدى به إلى النصر، فاختار أعوانه فى الهجرة على أساس من الثقة التامة بعيدا عن المجاملة، وأسند لكل دوره فى هذه الرحلة المباركة، فأداه على أكمل وأتم وجه، وكان دور ذات النطاقين من أخطر الأدوار بالنسبة لطبيعتها الرقيقة كمسلمة ضربت لبنى جنسها أروع الأمثلة فى التضحية من أجل دينها، وقدمت للمسلمات من بعدها القدوة الحسنة فى البذل والفداء، فهل تتذكر المرأة المسلمة اليوم هذا الدور النبيل وتقتدى به لتقدم لدينها أنماطا من التضحية والعطاء، بعيدا عن دعاوى التدنى والسطحية والمظاهرة الزائفة؟

الهوامش

(١) نوع من شجر الطلح، ومنه حديث: يا أصحاب السمرة، وهى الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

(٢) الخبط، ضرب الشجر بالعصا ليتساقط ورقها ويتناثر، والخبط: اسم للورق الساقط، وخبط بالتحريك: فَعَل بمعنى مفعول، وهو من علف الدابة.

(٣) أسرع الجهاز. والجهاز، هو ما يحتاج إليه فى السفر

(٤) يقال أوكوا الأسقية، أى شدوا رؤوسها بالوكاء أى اربطوها حتى لا يقع فيها شىء ضار.

الدعـــوة والدعـــاة

- من أحـــداث شـــهـــر صـــفـــر
- مـيـلاد أمـتـنـا الإسـلامـيـة صـنـعـتـه الـهـجـرة
- الـصـــراع بين الحق والبـــــاطـل

تعودنا عندما نتكلم عن شهر صفر أن نبدأ حديثنا بأن نذكر أن تسمية هذا الشهر جاءت من قولهم صفرت الرباع عن أهلها ، أى خلت ، إذ كان العرب فى شهر صفر يتركون خيامهم ويخرجون للغارة بعد أن انتهت الأشهر الحرم (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم)

وصفر بذلك هو أول أشهر الحل

ونذكر من أحداثه ما لم نذكره فى مقالنا السابق عن شهر صفر من العام الماضى :

من أحداث شهر صفر

د. أحمد شلبى

١- بعث أسامة بن زيد:

زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه، وهو من قبيلة كلب، وهى إحدى قبائل العرب الشهيرة، أُسر وهو طفل فى إحدى غارات الأعراب وسُلب من أمه، وبيع رقيقا فى أسواق مكة، واشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، وعندما شبَّ زيد ظهرت فيه ملامح الصدق والأمانة والإخلاص، وبعد زواج الرسول من خديجة أهدته خديجة رضى الله عنها لمحمد فأحبه محمد وأعتقه وتبناه (قبل أن يحرم التبنى)، وسقط زيد شهيدا فى معركة مؤته، فحزن عليه الرسول حزناً شديداً، وصمم على القصاص له، وقبيل وفاة الرسول أعدَّ جيشا لهذا الغرض وجعل أسامه بن زيد قائدا لهذا الجيش ليقتص لأبيه، وكان فى الجيش كبار الصحابة تحت إمرة الشاب أسامة.

وتوفى الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج أسامة بجيشه، وبعد وفاة الرسول قامت مشكلات المرتدين ومانعى الزكاة والمتنبئين، وحاول بعض المسلمين أن يركزوا جهودهم فى مقابلة هذه الحركات، وأن يصرفوا نظر أبى بكر عن إرسال جيش أسامة، ولكن أبا بكر رفض وأصر على تنفيذ رغبة الرسول، وخرج أسامة فجال جولة ناجحة فى مناطق الروم وحقق الكثير من الأغراض التى كانت موضع عناية الرسول صلوات الله عليه.

٢- إسلام عثمان بن عفان:

دخل عثمان رضى الله عنه الإسلام مع السابقين الأولين، ويروى أنه كان أحد الخمسة أوالسبعة الذين كانوا أول من دخل الإسلام، فقد دعاه أبو بكر قائلاً له: يا عثمان، أنت رجل عاقل، ما ترى فى هذه الآلهة التى يعبدها قومنا؟ أليست من حجارة لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر؟

فأجاب عثمان: نعم يا أبا بكر، هيا بنا إلى محمد فإنى أريد أن أسمع منه، وما ان تم لقاء بينه وبين الرسول حتى قال:

أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

وإسلام عثمان تصرُّف خطير جرىء، فعثمان كان من كبار التجار وكبار الأثرياء، ومعنى إسلامه أن تجارته لن تواصل نشاطها، فإن قريشاً ستوقف التعامل معه، ثم إن إسلامه أرغمه على الهجرة للحبشة فى وقت مبكر، ومعنى ذلك حرمانه مما كان يملك من قصور بمكة، ومن مظاهر الثراء التى ألفها، ولكن الإيمان كان عنده أسمى من كل ترف فى هذه الحياة.

ثم إن عثمان أحد أسرة بنى أمية بن عبد شمس، وهؤلاء وقفوا موقف المنافسة والمصارعة مع أبناء عمهم من بنى هاشم أسرة الرسول، فإسلام عثمان خروج على الإجماع القبلى الذى كانوا يحرصون عليه، ويتضح لنا الفرق الكبير بين عثمان وبين بنى أمية عندما تدرك أن عثمان أسلم فى السنة الأولى للبعثة، وأما بنو أمية فلم يدخلوا الإسلام إلا بعد إحدى وعشرين سنة من ذلك التاريخ، أى عند فتح مكة وعندما لم يبق لهم خيار، وهذا يوضح لنا صفاء نفس عثمان الذى آثر العقيدة على المال وعلى الحياة.

وقد عانى عثمان كثيرا من الاضطهاد بسبب إسلامه، فإن عمه الحكم غضب عليه وأوثق رباطه وهدده، ولكن عثمان ثبت ولم يتزعزع فاضطر عمه لإطلاق سراحه.

وقد هاجر عثمان إلى الحبشة، وهاجرت معه رقية بنت الرسول، ثم هاجر للمدينة تاركا فى الحالتين تجارته وقصوره فى سبيل الله.

٣- المملكة العربية السعودية تضم ملك الأدارسة فى عسير، وذلك فى صفر سنة ١٣٧٤ هـ:

تذكر الوثائق والمراجع التاريخية أحاديث فيها كثير من الغموض من إمارات صغيرة قامت جنوب الحجاز فى عسير، وفى الجنوب منها إلى حدود اليمن، وسكان هذه المناطق ليسوا شيعة، ولذلك حرصوا على عدم الاندماج فى الدولة الزيدية باليمن، ولكنهم فى الوقت نفسه حرصوا على ألا تشملهم شرافة مكة.

ويمكن القول إن هذه الإمارات الصغيرة كان يشملها التفكك الواسع الذى لف الجزيرة كلها منذ أمد بعيد، ومع الطابع الاستقلالى لهذه الإمارات فإنها كانت تعترف بشكل ما بسلطة الحكومة التركية بعد الزحف التركى على الحجاز، إذ كان الأتراك لهم سلطان فعلى على منطقة القنفذة بالساحل، وبذلك كانت تهاجم هذه الإمارات، وكان الأشراف فى بعض عهود قوتهم يمدون نفوذهم من الحجاز إلى هذه المناطق أو أكثرها فيعترف الأمراء بسلطانهم وبمكانتهم.

وأقدم هذه الإمارات إمارة (أبو عريش) التى ظهرت على أثر دخول العثمانيين مصر والحجاز، واتفقت واختلفت مع العثمانيين، ثم انقطعت أخبارها حتى مطلع القرن التاسع عشر حيث بدأت تظهر من جديد وتشترك فى الأحداث التى قامت بها مصر والسعوديون والعثمانيون فى هذه المناطق.

وقد حل الإدريسيون محل آل أبى عريش، والإدريسيون جديرون بكلمة أوسع بالنسبة للمكانة التى حققوها فى هذه المنطقة ردحاً من الزمن، وجد الأدارسة رجل من أهل العلم والصلاح جاء

من المغرب الأقصى. وعاش صبيا فى رحاب آل عريش فترة نافس فيها الزيدية فى الجنوب والوهابية فى نجد، فالتف حوله كثير من الناس، فلما ضعف آل عريش كان الأدارسة فى وضع يهيئ لهم أن يرثوا السلطة فى هذه الإمارة، وكان أول من أعلن قيام الأدارسة هو السيد محمد على الإدريسى.

والسيد محمد على الإدريسى وُلِد فى صبيا، وتعلّم فى مكة المكرمة، وفى الأزهر الشريف، وزار واحة الكفرة مركز السنوسية، وزار السودان، ثم عاد إلى صبيا، وقد استفاد من هذه الرحلات تجارب مهمة، ثم إن الفترة كانت تمنح الفرص لأنها فترة السلطان عبد الحميد، وما مارسه من أعمال المكر والحيل، ولم يضع الإدريسى الفرصة فأعلن استقلاله بمنطقة صبيا، وأرسلت له الحكومة العثمانية قائدا يتعرف حاله، فاستطاع الإدريسى أن يخدعه وأن يظهر الولاء للدولة فنال رضا ذلك القائد وثبته فى صبيا وفى أبى عريش.

ولم يدم هذا الوفاق طويلا، فإن الإدريسى أخذ يوسع دائرته ويهاجم ولاة العثمانيين، وأعلن الانفصال عن الدولة العثمانية سنة ١٩١٠م، ولكن الشريف حسين - شريف مكة - أبدى استعداده بالنيابة عن العثمانيين فى كبح جماحه، فسار فعلا إلى صبيا ولكنه لم يحقق نجاحاً يذكر، وبعد عودة جيش الشريف اتفق الإدريسى مع إيطاليا وأخذ منها بعض الأسلحة، وكان الصراع بينها وبين العثمانيين قد بدأ، واستطاع الإدريسى أن يثبت أقدامه فى منطقته.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى اتفق الإدريسى مع الانجليز وعقد معهم معاهدة سنة ١٩١٧م، اعترفوا فيها بسيادته على تهامة حتى اللحية فى الجنوب، والقنفذه فى الشمال، وبلغت دولة الأدارسة فى عسير بذلك أقصى اتساعها فشملت قبائل قحطان بالقسم الجنوبى من عسير، والقسم الأكبر من تهامة من البرك حتى الحديدة، ويبلغ طول هذه المنطقة من الشمال للجنوب ٣٥٠ ميلا، وعرضها ٧٠ ميلا وشملت ما كان معروفا بالمخلاف السليمانى وجيزان وغيرها.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ترك له الانجليز الحديدة التى احتلوها خلال الحرب اعترافا بخدماته التى قام بها ضد الأتراك.

وقد استطاع الإدريسى أن يتحالف مع سلطان نجد (الملك عبد العزيز) وبهذا وقف فى وجه الشريف حسين فى الشمال، والإمام يحيى فى الجنوب.

وعقب وفاة السيد محمد الإدريسى الكبير سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) اغتنم الإمام يحيى ملك اليمن الفرصة فاستولى على الحديدة وبعض مناطق الساحل، وثار السكان ضد الأمير الإدريسى الجديد على بن محمد الذى لم يستطع حماية إمارته فهرب هذا إلى السعودية إبان فتح الحجاز.

ولم يستطع الأمير الحسن شقيق الإدريسى الكبير أن يحتفظ بإمارته وقتاً طويلا على الرغم من ألاعيب السياسة التى اتبعها، فأرسل للملك السعودى يطلب حمايته، ويقول الأستاذ حافظ وهبة: اجتمعت بمندوب الإدريسى ووضعنا معا معاهدة الحماية سنة ١٩٢٦ لإنقاذ ما بقى من ملك الأدارسة.

وفى سنة ١٩٣٠ طلب الأمير الإدريسى أن تضم البلاد إلى مملكة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود لتصبح جزءا لا يتجزأ من هذه المملكة، وقد تم

إعلان ذلك.

ولكن الإدريسى أراد سنة ١٩٣٣ أن يتراجع فثار فى عسير تهامة فاغتنم الإمام يحيى باليمن الفرصة، فهاجم منطقة عسير واستولت جيوشه على نجران، فأرسل الملك عبد العزيز ابنه الأمير فيصل فى مايو سنة ١٩٣٤ على رأس قوات كبيرة نزلت جيزان ثم زحف بقواته إلى ديرى واستولى عليها، وخضع له سكان اللحية وقبائل «مور» ثم تقدم فاستولى على الحديدة وخضعت له قبيلة الزرانق، وفى أثناء وجوده فى الحديدة نزلت بها قوات بريطانية جاءت على ثلاث سفن حربية بدعوى حماية الرعايا البريطانيين الهنود الذين كانوا فى اليمن.

ووصلت سفينتان حربيتان من إيطاليا لرعاية الرعايا الإيطاليين، وقد استطاع الأمير فيصل أن يجرى مفاوضات مع هؤلاء وأولئك انتهت بانسحابهم من هذه المناطق، وقد انتهى الصراع بين اليمن والسعودية بتوقيع معاهدة الطائف سنة ١٩٣٤، على أن تكون الحديدة لليمن، وعسير تهامة، وعسير السراة للسعودية.

وانتهت بذلك إمارة الأدارسة فلم تكن فى الحقيقة إلا حركات لم تصل إلى القاع، وليست لها أهداف حضارية تخلد لها أية ذكريات.

فتح الحجاز:

فى أوائل شهر صفر سنة ١٣٤٣هـ (سنة ١٩٢٤م) قامت حملة عسكرية يقودها خالد بن لؤى وسلطان بن بجاد فاحتلت مدينة الطائف دون مقاومة تذكر، ثم اشتبكت مع جيش للأشراف الذى كان يقوده على بن الملك حسين فى معركة الهدى، وقد اندحرت قوات الأشراف فى هذه المعركة التى حدثت فى ٢٦ من شهر صفر سنة ١٣٤٣هـ، وقد تقدم الجيش السعودى بعدها ففر جند الشريف وهم فى حالة من الفوضى والاضطراب.

وتقدم الجيش السعودى فحاصر جدة واستمر الحصار مدة عام تقريبا، وفى خلال هذا الحصار نشطت الوساطة لإيقاف المعارك، وكانت المدينة المنورة قد أسلمت الزمام للسعوديين، واضطرت جدة للتسليم فى ديسمبر سنة ١٩٢٥م.

ولم يجد الشريف على بن الحسين بدأ من توقيع اتفاقية تنازل فيها عن الحجاز، ودخل الحجاز فى ملك السعوديين وتحققت آمال البطل عبد العزيز آل سعود، وكان دخول الحجاز تحت سلطان الملك عبد العزيز وسيلة مهمة لذيوع صيت الرجل وبروز اسمه فى العالم الإسلامى كله.

وأسرع الملك عبد العزيز فأوضح بنفسه أن الحجاز ستبقى وديعة لكل المسلمين فى العالم، وأنها ترحب بجميع المسلمين سواء جاءوها حجاجاً أو طالبى معاش.

وفى ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ (٢٢ سبتمبر ١٩٣٢) صدر مرسوم ملكى وحّد أجزاء المملكة جميعاً، فأصبحت مملكة واحدة باسم: المملكة العربية السعودية.

فقد خلق الملك عبد العزيز آل سعود مملكة من الأشتات التى كانت متصارعة، وأقام دولة شامخة متماسكة إنماع فيها الجميع وافتخر بها الجميع، وذلك وضْع قل أن وُجِد فى هذه البقاع، ولاشك أن كل حبة من حبات الرمل بالجزيرة العربية أحست بعرق الملك وجهده.

ميلاد أمتنا الإسلامية صنعته الهجرة

الأستاذ/ محمد عبدالعزيز عوض

ولد محمد ﷺ من أسرة زكية المعدن.. نبيلة النسب.. جمعت خلاصة ما فى العرب من فضائل.. وترفعت عما يشينهم من أوضار.. وكان منبته ﷺ فى أسرة لها شأنها.. بعض ما أعد الله لرسالته من نجاح.. فالمجتمع العربى الأول كان يقوم على العصبيات القبلية الحادة.. العصبيات التى تفنى القبيلة كلها دفاعاً عن كرامتها الخاصة.. وكرامة من يمت إليها.

وكان أهل مكة ضعاف التفكير.. أقوياء الشهوات.. وكانت مكة على عهد البعثة تموج بحركة عاصفة من الشهوات والمآثم.. وكان الرجال الذين يحيون فيها أمثلة قوية لنضج الأهواء.. وشلل الأفكار.. ونمائها فى ظل الهوى الجامح ولخدمته وحده.

كفر بالله وباليوم الآخر.. إقبال على نعيم الدنيا.. وإغراق فى التشبع منه.. رغبة عميقة فى السيادة.. ونفاذ الكلمة.. عصبيات طائشة تسالم وتحارب من أجل ذلك.. تقاليد متوارثة توجه نشاط الفرد المادى والأدبى داخل هذا النطاق المحدود.. ولم تكن مكة يومئذ قرية منقطعة عن العمران فى صحراء موحشة.. لا تحس من الدنيا إلا الضرورات التى تمسك عليها الرمق.. كلا.. إنما شبعت حتى بطرت..

وتنازعت الكبرياء حتى تطاحنت عليها.. وكثر فيها مَنْ تغلغل الإلحاد فى أغوار نفسه حتى عز إخراجه منه.. فهم بين عَمٍ عن الصواب أو جاحد له..

وفى هذا المجتمع الذى لم ينل حظاً يذكر من الحضارة العقلية بلغ غرور الفرد مداه.

بعث محمد ﷺ.. ورأت قريش أن أمر الإسلام ينمو ويعلو.. وأن وسائلها الأولى فى محاربته لم تمنع انتشاره.. أو تنفر أنصاره.. فأعادت النظر فى موقفها كله لترسم خطة جديدة أقسى وأحكم.. وأدق وأشمل.

وتمخض حلف المشركين عن عقد معاهدة تعتبر المسلمين ومن يرضى بدينهم أو يعطف عليهم.. أو يحمى أحداً منهم حزباً واحداً دون سائر الناس.. ثم اتفقوا ألا يبيعوهم أو يبتاعوا منهم شيئاً.. وألا يزوجوهم أو يتزوجوا منهم.. وكتبوا فى ذلك صحيفة

علقوها فى جوف الكعبة.. تأكيداً لنصوصها.

وأصيب الرسول ﷺ بوفاة زوجه خديجة.. ثم بوفاة عمه أبى طالب وسمى هذا العام «عام الحزن».. وكانت خديجة صديقة النساء.. حنت على زوجها ساعة قلق.. وكانت نسمة سلام وبر.. رطبت جبينه المتصبب من آثار الوحى.. وبقيت ربع قرن معه.. تحترم قبل الرسالة تأمله وعزلته وشمائله.. وتتحمَّل بعد الرسالة كيد الخصوم.. وآلام الحصار.. ومتاعب الدعوة.. وماتت والرسول ﷺ فى الخمسين من عمره.. وهى تجاوزت الخامسة والستين.. وقد أخلص لذكراها طول حياته.

أما أبو طالب فإن المرء ينحنى إعجاباً لنبله فى كفالة محمد ﷺ.. ثم لبطولته فى الدفاع عنه حين بعث نبياً.. وحين صدع بأمر ربه.. وأنذر عشيرته الأقربين.

ومضت مكة فى طريق الكفر حتى أوغلت فيه وبلغت نهايته.. فهى الآن تستمرئ تلويث الساجدين بالأقذار.. وتتمايل ضحكاً من منظر الأنجاس وهى تسيل على كتفى المصلى.. لم يبق فى هذه القلوب مكان لذرة من الخير.

والبنت فى المجتمع العربى تعيش فى كنف أبيها.. وتفخر بقوته.. وتأنس بحمايته.. فما يحز فى قلب الرجل أن يرى نفسه فى وضع تدافع عنه ابنته.. وتشعر بالعجز وقلة الناصر.. وقد كظم محمد ﷺ على ألمه.. وتحمل فى ذات الله ما لقى.. إلا أنه أخذ يفكر فى التوجه برسالته إلى قرية أخرى.. علها تكون أحسن قبولاً.. وأقرب استجابة.. وولى وجهه شطر «ثقيف» بالطائف.. يلتمس نصرتها وحمايتها.

وفى الطائف تعرض الرسول ﷺ لصنوف من الأذى والاضطهاد.. وأصيبت قدماه.. فسالت منهما الدماء.. واضطره المطاردون أن يلجأ إلى بستان لعتبة بن ربيعة.. وأخيه شيبة بن ربيعة.. حيث جلس فى ظل كرمة يلتمس الراحة والأمن.

وكان عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة جالسين فى البستان.. وقد شاهدا ما لقيه الرسول ﷺ من سفهاء أهل الطائف.. ومع أنهما كانا من طليعة معارضى محمد ﷺ فى مكة.. فقد كانا من أصحاب العدل والإنصاف.. وساءهما أن يريا أحد أبناء قريش.. وهو يفر من السفهاء هذا الفرار المهين.. وأرسلا إليه عبداً صغيراً اسمه «عداس» بطبق فيه قطف من العنب.

وكان محمد ﷺ وهو قابع فى البستان يحس أنه قد استنفد كل طاقاته البشرية.. ولابد أنه افتقد خديجة.. واشتاق إليها شوقاً جارفاً فى تلك اللحظة.. فكان مايؤلمه الآن هو الألم الذى طالما نجحت فى مداواته.. ولابد أنه أحس أنه فى مسيس الحاجة إلى مشورتها ونصحها.

ولقد كان من عادة العرب أن «يستعيذوا».. أى يلجأوا ويعتصموا بأحد الأرباب.. أو أبناء الجن عندما تلم بهم مُلمَّة.. ولكن محمداً ﷺ استعاذ بالله وحده قائلاً:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى.. وقلة حيلتى.. وهوانى على الناس.. يا أرحم الراحمين.. أنت رب المستضعفين وأنت ربى.. إلى من تكلنى؟.. إلى بعيد يتجهمنى؟.. أم إلى عدو ملكته أمرى؟.. إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى.. ولكن عافيتك هى أوسع لى..

أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات.. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.. من أن تنزل بى غضبك.. أو يحل على سخطك.. لك العتبى حتى ترضى.. ولا حول ولا قوة إلا بك».

ومثل تلك الرواية الدقيقة للحالة النفسية التى انتابت محمداً ﷺ غير مألوفة فى سيرة ابن إسحاق.. مما يشتم منه أنها كانت تمثل أزمة فى تصوره الروحى.. إذ لم يعد يعتمد على الصحبة البشرية.. فلا رب ولا أمان ولا «مجير» إلا الله وحده جل فى علاه.

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه على الفور فيما يبدو متمثلاً فى «عداس» العبد الصغير الذى حمل إليه طبقاً من العنب.. وكان «عداس» نصرانياً من مدينة نينوى فى العراق الحديث.. وقد دهش «عداس» عندما رأى ذلك العربى يبارك الطبق «باسم الله» عندما وضع فيه يده.. ودهش محمد ﷺ كذلك وفرح عندما علم أن «عداساً» من بلدة النبى يونس بن متى.. وقال «لعداس» إنه هو أيضاً نبى.. ومن ثم فهو أخ «ليونس».. وبلغ التأثر «بعداس» مبلغه.. فأقبل يقبل رأس محمد ﷺ ويديه ورجليه.. مما أزعج عتبة وشيبة اللذين كانا يرقبان ما يحدث.. وكان ذلك مثالاً آخر على قوة تأثير محمد ﷺ الروحية الغامضة فى الشباب.

ولكن محمداً ﷺ شعر بأن عزلته قد انحسرت بعد ذلك الاتصال مع واحد من أهل الكتاب.. وبعد أن ذكرته بالناس جميعاً خارج بلاد العرب.. ممن يفهمون دعوة نبوته.. حتى لو لم يستطع ذلك عرب الحجاز.. وقيل إنه لقى المزيد من العزاء والسلوى وهو فى طريق العودة إلى مكة.. حين استمع إليه نفر من الجن وهو يقرأ القرآن.. فبهرهم جماله.

ولكن «الاستعاذة» أو الاستجارة بالله لم يكن معناها أن محمداً ﷺ كان قادراً على الاستغناء عن حماية البشر.. فالقرآن يقول بوضوح وجلاء ان على المسلمين أن يبذلوا كل جهد بشرى ممكن لرعاية أنفسهم.. وألا يتواكلوا تاركين كل شئ لله.. **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** سورة الرعد - الآية ١١. وهذه آية يجب على المسلمين المشتغلين بالكفاح السياسى اليوم أن يستشهدوا بها.

وقبل أن يدخل محمد ﷺ مكة أرسل إلى ثلاثة من رؤساء العشائر الأخرى يعرض عليهم التحالف معه.. إذ أن الخطر الذى سيواجهه فى مكة كان سيزداد حتماً ضراوة وشراسة وعنفاً.. حين يبلغ قريشاً أنه على استعداد لمواصلة دعوته فى اعتناق الدين الجديد.. دين الإسلام الحنيف.. ورفض التحالف اثنان من الرؤساء الذين خاطبهم.. وهما: الأخنس بن شريق الزهرى.. وسهيل بن عمرو العامرى.. لأسباب تتعلق بمبادىء الحياة القبلية.. ولكن الثالث واسمه: مطعم بن عدى بن نوفل.. وكان قد كافح لرفع الحصار.. أعلن قبوله إجارة محمد ﷺ ومن معه.. ومن ثم تمكن النبى ﷺ من دخول مكة.

ولكن هذا الحل لم يكن يمكن أن يصبح حلاً طويل الأجل.. فبدأ محمد ﷺ فى نحو تلك الآونة فى الدعوة لدينه بين حجاج البدو فى مواسم الحج السنوية.. آملاً أن يجد مجيراً دائماً بينهم.. أى أنه كان قد بدأ فى توسيع نطاق رسالته لنشرها بين غير أهل مكة من العرب.

ولكن البدو كانوا فى البداية مُعْرضين.. بل أظهروا العداء والميل إلى إهانة محمد ﷺ.. ولم يبدُ أنهم على استعداد للدخول فى دين محمد ﷺ.. وكانت تلك أياماً كئيبة حزينة.. ولكن محمداً ﷺ. ربما بسبب اضطراره إلى ترك آماله القديمة فى العرب.. وربما بسبب إحساسه بأنه قد استنفد طاقته البشرية. قد تعرض لأعظم تجربة دينية فى حياته.. وكان ذلك فى عام ٦٢٠ م.

كان محمد ﷺ فى زيارة ابنة عمه أم هانىء.. أخت على وجعفر.. ولما كانت تقيم بالقرب من الكعبة.. نهض فى منتصف الليل.. وذهب لقراءة القرآن هناك.. ثم قرر فى آخر الأمر أن يغفو قليلاً فى الحجْر.. وهى منطقة مفتوحة فى الشمال الغربى من البيت العتيق.. ثم شعر بجبريل وهو يوقظه ويرفعه على ظهر جواد سماوى اسمه «البراق».. ويطير به فيما يشبه المعجزة إلى القدس.. وهى التى يصفها القرآن بأنها المسجد الأقصى.. وبعد هذا الإسراء «أى رحلة الليل» نزل محمد ﷺ وجبريل عليه السلام على جبل المعبد.. حيث حياهما إبراهيم وموسى وعيسى ورهط من الأنبياء الآخرين.. عليهم السلام.. وصلى الجميع معاً.. وأمهم النبى ﷺ.

وعندما وصل محمد ﷺ إلى العرش فى السماوات العلا.. قال الله سبحانه وتعالى له إن على المسلمين أن يؤدوا خمسين صلاة فى اليوم.. ولكن موسى أخبره وهو فى طريق العودة أن يرجع ويحاول تخفيض العدد.. وتكرر ذلك حتى انخفض عدد الصلوات المفروضة يومياً على المسلمين إلى خمس صلوات فى اليوم.

وتدل معجزة الإسراء والمعراج بالصورة التى رواها الرواة لنا.. أن محمداً ﷺ بدأ يرى أنه ربما أصبح أكثر من مجرد المنذر المتواضع لقريش.. ومع ذلك فقد كان لايزال يبحث عن «مجير» من أبناء البشر..

كان من عادته فى أثناء الحج أن يحرص على زيارة الحجاج أثناء مقامهم فترة الثلاثة أيام المقررة فى وادى منى.. متنقلاً بين الخيام.. وهكذا التقى بمجموعة من ستة من العرب الوثنيين فى مدينة يثرب.. فى موسم الحج عام ٦٢٠ م.. وكانوا قد ضربوا خيامهم عند ماء العقبة فى أقرب جنبات ذلك الوادى إلى مكة.. وعندما جلس إليهم محمد ﷺ وحدثهم عن رسالته وقرأ عليهم القرآن.. لم يجد عداءً ولا صدوداً.. بل وجد أن العرب يصغون إليه.. ويفرحون بما أنزل عليه.

وعندما فرغ من حديثه التفت العرب وقالوا لبعضهم بعضاً إن هذا لاشك هو النبى الذى مافتىء يهود يثرب يتحدثون عنه.. وكان دأب اليهود أن يغيظوا جيرانهم الوثنيين العرب بحكايات عن نبى يأتى بالهلاك لهم.. فيفنون مثلما فنيت «قبيلتا عاد وإرم» وهما من القبائل العربية القديمة.. فإذا كان محمد ﷺ هو ذلك النبى.. فمن المهم أن يمنعوا اليهود من الوصول إليه قبلهم.. وأدركوا أيضاً على الفور أن محمداً ﷺ يستطيع أن يحل مشاكل يثرب.. وهى المشاكل التى كانت فيما يبدو تستعصى على الحل.

وفى تلك الأيام لم تكن يثرب قد أصبحت بعد مدينة مثل مكة.. كانت واحة أو جزيرة خضراء.. تبلغ مساحتها نحو عشرين ميلاً مربعاً.. تحيطها جبال بركانية.. وتلال صخرية.. وأراض حجرية.. تتعذر

زراعتها.. لم تكن مركزاً تجارياً.. بل مستوطنة زراعية.. تعيش فيها شتى المجموعات القبلية.. متلاصقة متناحرة.. يسودها العداء القاتل.. فى شتى قراها ومزارعها.

وعندما عرض محمد ﷺ نفسه على حجاج يثرب الستة خلال موسم الحج عام ٦٢٠ م أدركوا على الفور أن نبى الله ﷺ يمكن أن يكون زعيماً أكثر عدلاً وإنصافاً وحياداً من عبد الله بن أُبىّ.. أما رسالة التوحيد التى أتى بها فلم تكن مصدر إزعاج لهم.. فلقد عاشوا ردحاً طويلاً من الزمن جنباً إلى جنب مع اليهود.. حتى اعتادوا فكرة وجود إله واحد.. ومن ثم أسعدهم سعادة بالغة أن يتلقوا دعوة محمد ﷺ القائلة بأنه نبىٌّ للعرب.. وأنه قد أتى إليهم بقرآن عربى.. وأسلموا لله على الفور.. وراودتهم الآمال العريضة ليثرب إذ قالوا: «إنا قد تركنا قومنا.. ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم.. فعسى أن يجمعهم الله بك.. فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك.. ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين.. فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك».

وفى موسم الحج التالى عام ٦٢١ م رجع المؤمنون الستة من يثرب إلى مكة.. طبقاً للاتفاق.. ومعهم سبعة آخرون.. وقابلوا محمداً ﷺ للمرة الثانية فى وادى العقبة.. وبايعوه على أن يعبدوا الله وحده.. وأن يراعوا أوامره ونواهيه.. وقال أحدهم فيما بعد:

«بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئاً.. ولا نسرق ولا نزنى.. ولا نقتل أولادنا.. ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا.. ولا نعصيه فى معروف.. فإن وفيتم فلكم الجنة.. وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل.. إن شاء عذب وإن شاء غفر».

وفى هذا الاجتماع الذى أصبح يعرف باسم «العقبة الأولى».. كان التأكيد على الدين أكبر من التأكيد على السياسة.. وكانت الوثنية القديمة قد عجزت عن حل الأزمة فى يثرب.. وكان الناس على استعداد لتقبل مذهب فكرى جديد.. وكانت التكاليف الدينية التى قدمها محمد ﷺ كفيلة بغرس احترام الآخرين باعتبارهم أفراداً يتمتعون بحقوق ثابتة لا يمكن نزعها.. وكان لابد أن تحل الشرعة الدينية والأخلاقية الجديدة محل المثل الأعلى القديم الذى يتمثل فى القبيلة.

وعندما عاد الحجاج إلى يثرب أرسل معهم محمد ﷺ أحد المسلمين الأكفاء المتمكنين من دينهم.. وهو مصعب بن عمير.. بعد أن عاد من الحبشة.. لتعليم أهل الواحة.. وقراءة القرآن عليهم.

ولم يلبث أن أسلم الكثيرون فى كل أسرة تقريباً فى يثرب.. وكان محمد ﷺ قد اكتشف الآن أنه من المحال عليه مواصلة الحياة والعيش فى مكة.. ولكنه كان من المحال أيضاً على الرسول ﷺ المرسل إلى العرب أن يغادر بلاد العرب.. وكان أن حث المسلمين جميعاً على أن يهاجروا إلى يثرب التى أصبحت تسمى «المدينة المنورة».. وكان يناشد القبائل اليهودية المقيمة فيها أن تقدم له العون والمؤازرة.

وفى عام ٦٢٢ م قام فريق ضخم من الحجاج بمغادرة المدينة إلى مكة فى موسم الحج.. وكان بعضهم لايزال وثنياً.. ولكن ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين كانوا من المسلمين.. وكانوا يمثلون أقوى

الأسرات نفوذاً فى المدينة.. وأثناء شعيرة الإقامة فى وادى منى حدث اجتماع آخر فى الشعب عند العقبة.. ولكن الاجتماع انعقد هذه المرة فى جوف الليل.. وكانت البيعة التى عقدها المسلمون فى ذلك العام قد أصبحت تسمى بيعة الحرب: «بايعنا رسول الله بيعة الحرب على السمع والطاعة.. فى عسرنا ويسرنا.. ومنشطنا ومكرهنا.. وأثرة علينا.. وأن لاننازع الأمر أهله.. وأن نقول بالحق أينما كنا.. لا نخاف فى الله لومة لائم».

ولم تكن بيعة الحرب تعنى أن الإسلام قد تحول فجأة إلى دين عدوانى وحربى.. ولكن البيعة كان لابد منها بسبب الخطوة التى كان محمد ﷺ يوشك أن يخطوها.. إذ كان يحث أصحابه على الهجرة إلى المدينة.. ولم تكن الهجرة تغييراً جغرافياً فحسب.. إذ أن المسلمين كانوا يوشكون على التخلى عن قريش وقبول حماية قبيلة أخرى لا ينتسبون إليها بنسب الدم.

وبعد عودة الأنصار إلى المدينة.. شرع محمد ﷺ فى إقناع مسلمى مكة بالهجرة إليها.. لقد كانت خطوة رهيبة ولا رجوع عنها.. إذ لم يكن أحد يعرف مدى نجاحها.. لأنها لم تكن مسبوقة فى بلاد العرب.. ولم يأمر محمد ﷺ المسلمين بالهجرة.. فمن رفض أو رأى أنه لا يقدر عليها.. سمح له بالبقاء فى مكة.. ولقد ظل بعض كبار المسلمين فى مكة.. ولم توجه إليهم إطلاقاً تهمة الردة أو الخيانة.

وظل محمد ﷺ وأبو بكر الصديق فى مكة حتى غادرها الجميع.. ولكن تلك الهجرة على ذلك النطاق الواسع سرعان ما أحدثت فجوات بعثت على قلق أهل مكة.. وهى التى كانت ترمز إلى الجرح السيال الذى أحدثه محمد ﷺ فى جسد قبيلة قريش.. وهي التى كانت تنعم بالوحدة والازدهار من عشر سنوات فحسب.

وفى أغسطس توفى مطعم بن عدى بن نوفل الذى كان يجير محمداً ﷺ.. فأصبحت حياة الرسول ﷺ معرضة للخطر من جديد.. وانعقد اجتماع خاص لمناقشة أمر محمد ﷺ فى دار الندوة «مجلس الشيوخ».. وكان بعض الرؤساء لا يريدون إلا إبعاد محمد ﷺ عن مكة.. ولكن الآخرين كانوا يدركون أن السماح لمحمد ﷺ باللحاق بالمهاجرين الآخرين فيه خطر شديد عليهم.. وقالوا إن كل الذين هاجروا يعتبرون خونة فقدوا الأمل.. وانتهكوا المبادىء.. وقطعوا أواصر النسب المقدسة.. ولن يَرْعَوُوا الآن عن اقتراف أى جرم.. فإذا ظفروا برئاسة محمد ﷺ وزعامته لهم.. فسوف يمثلون خطراً يتهدد مكة.

وطرح أبو جهل.. آخر الأمر.. خطة تكفل التخلص من محمد ﷺ دون أن تؤدى إلى الأخذ بثأره.. وهى أن يأخذوا من كل قبيلة «فتى شاباً جليداً وسيطاً فينا.. فيضربوه ضربة رجل واحد.. فيتفرق دمه فى القبائل جميعاً».. وهكذا يكون على بنى هاشم أن «ترضى بالعقل» أى بأخذ الدية.. لأنهم لن يستطيعوا أن يحاربوا قريشاً كلها.

وسرعان ما تم اختيار الفتيان.. واجتمعوا خارج منزل محمد ﷺ.. ولكنهم انزعجوا عندما سمعوا سودة وبنات النبى ﷺ من خلال النوافذ.. ولما كان من العار أن يقدموا على قتل رجل بحضرة نساء بيته.. قرروا أن ينتظروه حتى يخرج فى الصباح.. ونظر أحد

المتامرين من النافذة فشاهد محمداً ﷺ نائماً وقد تدثر ببردته.. ولم يفطنوا أن محمداً ﷺ كان قد نبهه جبريل.. فيما يروى الرواة.. إلى المؤامرة فخرج متخفياً من باب خلفى وترك علياً.. الذى كان قد تأخر فى الهجرة حتي يؤدى عن النبى ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس.. راقداً فى فراشه ونائماً فيما يبدو متدثراً ببردته.. وعندما خرج عَلىٌّ فى الصباح من المنزل.. أدرك الشبان أنهم قد خدعوا.. ومن ثم أعلنت قريش عن مكافأة قدرها مائة من النوق لمن يعود بمحمد حياً أو ميتاً.

وكان محمد ﷺ وأبو بكر الصديق فى هذه الأثناء يختبئان فى غار بأحد الجبال خارج مكة.. ومكثا فى الغار ثلاثة أيام.. وكان مناصروهما يتسللون من مكة بين الفينة والفينة لتزويدهما بالمؤن والأنباء.. وجاء فى الأثر أن فريقاً من الباحثين عن محمد ﷺ قد مر بالغار فعلاً.. ولكن أفراده لم يهتموا بالنظر فى داخله.. إذ كانت عنكبوت قد نسجت بيتاً كبيراً تغطى المدخل خيوطه.. ونبتت شجرة سنط أمامه بين عشية وضحاها بما يشبه المعجزة.. أما فى الموقع الذى لابد للمرء أن يضع قدمه فيه حتى يصعد إلى الغار.. فكانت توجد فيه حمامة ترقد على بيضها فى العش.. وكان الواضح أنه قد مضى عليها وقت طويل.

وشعر محمد ﷺ فى هذه الأيام الثلاثة بسلام نفسى عميق.. وأحس إحساساً قوياً بوجود الله سبحانه وتعالى معه.. ويصف القرآن هذا الشعور بأنه السكينة.. والتى تعنى حرفياً لوناً من السكون.. ويقول القرآن الكريم: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها﴾** سورة التوبة ـ الآية ٤٠.

واستطاع النبى ﷺ وأبو بكر الصديق مغادرة الغار فى أمان.. وحرصا وهما خارجان من الغار على عدم الاقتراب من الحمامة الراقدة.. وركبا الراحلتين اللتين كان أبو بكر قد جهزهما فى تلك الرحلة.

وكانت الرحلة التى شرعا فيها تحفها أخطار بالغة.. إذ يقال إن محمداً ﷺ لم يكن وهو على ظهر الطريق يتمتع بحماية أحد.. واصطحبهما الدليل فى طريق بالغة الوعورة والالتواء.. وكانا يتقدمان ويتأخران لتضليل من يتعقبهما.. وكان مسلمو المدينة فى تلك الأثناء يترقبون وصولهما بلهفة كبيرة.. وكان عدد من المهاجرين يقيمون فى قباء.. وهى منطقة فى أقصى الجنوب من المدينة المنورة.. وكانوا يقومون كل يوم بعد صلاة الصبح بتسلق الصخور البركانية القريبة.. ويتطلعون إلى كل شبر فى الأفق.. وفى صبيحة يوم ٤ سبتمبر ٦٢٢ م لمح القادمين رجل من اليهود فصاح بالأنصار «يا بنى قيلة.. هذا جدكم قد جاء» وعلى الفور هرع الرجال والنساء والأطفال لملاقاة المسافرين.. فوجدوهما يستريحان عند جذع نخلة.

ومكث النبى ﷺ وأبو بكر الصديق فى قباء ثلاثة أيام.. ثم لحق بهما علىٌّ.. ولكن المسلمين فى المدينة.. كانوا يتطلعون إلى لقاء النبى ﷺ بصبر نافذ.. ومن ثم انطلقوا لمقابلتهم واختيار المكان الذى سيقيمان فيه..

ثم أمر الرسول ﷺ بأن يبدأ العمل فوراً فى بناء مسجد.. على أن يتخذه منزلاً له ولأسرته أيضاً.. وشرع الجميع فى العمل.. وكان المهاجرون يعملون جنباً إلى جنب مع الأنصار.. وفى أثناء العمل كانوا

أحياناً ينشدون أراجيز ألفها المنشدون خصيصاً لهذه المناسبة منها:

لا عيش إلا عيش الآخرة

اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

وكان النبى ﷺ يغير الشطر الثانى إلى: «اللهم ارحم المهاجرين والأنصار».

ولكن المهاجرين والأنصار كانوا فى حاجة إلى رابطة «رسمية» أقوى من الأراجيز والمشاركة فى العمل.. ومن ثم وضعت معاهدة آنذاك.. ومن حسن حظنا أن المصادر الأولى قد حفظتها لناحتى نطلع على التخطيط الأول لأقدم مجتمع إسلامى.. وهى تقول: إن محمداً ﷺ وَادَعَ القبائل العربية واليهودية بالمدينة وعاهدهم.. على أن تنسى جميع قبائل المدينة.. على اختلافها.. عداءها القديم.. وأن تشكل فيما بينها «قبيلة عظمى» إن صح هذا التعبير.. وعلى أن يسود السلام بين المسلمين واليهود من ناحية.. وبين مشركى المدينة من ناحية أخرى.. بشرط أن لا يعقدوا معاهدة منفصلة مع مكة للتخلص من النبى ﷺ.

وتقول المادة العشرون من المعاهدة: «لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً.. ولا يحول دونه على مؤمن.. وإن مرجع أمر المجتمع كله إلى الله.. وإن ذمة الله واحدة.. أما المسلمون فهم يشكلون فيما بينهم مجموعة ذات طابع جديد تماماً.. فالقبائل جميعاً «أمة واحدة من دون الناس».

ولم تكن ولاية محمد ﷺ الأصلية تتضمن إنشاء حكومة دينية.. ولكن تطور الأحداث دفعه إلى تجاوز مفهوماته الأصلية المسبقة إلى إيجاد حل جديد تماماً.. حتى حدثت الهجرة.. فألغيت الروابط القبلية القديمة.. وأصبحت قريش والأوس والخزرج أمة واحدة.. وبدأ الإسلام يمثل قوة توحيد لا تفريق.

ذلك أن الله جل شأنه.. علم أن النفوس لا تتم ولا تعتز جامعتها.. إلا إذا كانت القلوب مطمئنة.. بعضها إلى بعض.. مرتبطة برابط حقيقى محكم.. وليس أشرف من رابطة الإسلام.. تلك هى الأخوة المقدسة.. ولا يوجد أحكم من نسجها.. ولا أقوى توثقاً من عروتها.. فهى أقوى من البُنُوَّة الصلبية.. لأنها لا تصل الإنسان إلا إذا كانت مشفوعة بالبنوة الشرعية.. ومن هنا وجب أن نقول إن مرتبة الرابطة بالحكم الإلهى.. فوق مراتب ذوى القربى والنسب والأخوة.. ثم إن الله تعالى أوجد الأخوة الشرعية بين عموم المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأوطانهم وقبائلهم وعائلاتهم.

وكانت الهجرة بداية حقيقية للانضواء تحت لواء رئيس واحد انضواءً حقيقياً.. لساناً ونية.. والاعتصام به وحبه وطاعته وخدمته.. بما يقوى شوكته.. ويوقر سلطانه.. ويدعم حكمه.. والدين الإسلامى ليس دين عبادة فحسب.. بل هو دين ونظام حياة دنيوى وأخروى.. فكان من الواجب أن يقوم بأعبائه الجسام الأئمة العظام.. يتقلدون الوكالة العليا عن الإمام الأعظم محمد ﷺ.. الذى أوجب على الأمة وحدة الوجهة والهدف والمصير.. فى كل زمان ومكان.. فى كثير من العبادات.. كالجمعة.. والزكاة.. والحج.. والجهاد وأمثالها.. وفى الأمور الدنيوية.. كإعداد الجيوش.. ومقاتلة الأعداء.. والدفاع عن الوطن والمقدسات.. وارتقاء الدولة.. وإعلاء كلمة الله.. وحسم كل خلاف ينشب بين مسلم ومسلم.. وطائفة

وطائفة.. وقبيلة وقبيلة من المسلمين.. لأن كل ذلك يحتاج إلى إمام قوى.. عزيز الجانب.. جليل الشأن.. مطاع الأمر.. مسموع الكلمة..

وكانت الهجرة أيضاً بداية لإقامة حكومة رشيدة.. ذلك لأن الحكومة برهبتها تتألف الأهواء الشاردة.. وبهيبتها تجتمع القلوب المتنافرة.. ومن خوفها تنقمع النفوس المتعادية.. لأن فى طباع النفوس من حب المغالبة على ما آثروه.. والقهر لمن عانده.. ما لا ينفكون عنه إلا بمانع قوى.. ورادع تنفيذى.. وأنواع الردع منها: العقل الزاجر.. وأشدها زجراً.. وأقواها ردعاً.. فقد جاء فى الحديث الشريف: **«إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن»**.. وقال ﷺ: **«إن لله حراساً فى السماء وحراساً فى الأرض»**.. وحراس الأرض بالطبع هم الحكام.

وقال بعض الحكماء: «الحاكم فى نفسه إمام متبوع.. وفى سيرته دين مشروع.. فإن ظلم لم يعدل أحد فى حكم.. وإن عدل لم يجسر أحد على ظلم».

«الحاكم هو الذى يحرس الدين.. ويحث على العمل به.. من غير إهمال له.. ويدفع الأهواء عنه.. ويحفظه من التبديل فيه.. والتأويل له.. ويزجر من شذ عنه بارتداد.. أو بغى عليه بعناد.. أو سعى فيه بفساد».

الحاكم هو الذى يذب عن الأمة أعداء دينها.. أو الاعتداء على أموالها وأرضها ووحدتها واستقلالها ومقدساتها.. ويبنى المدن.. ويعمر البلدان.. ويجرى فى أموالها زكاة وإنفاقاً على سنن الشريعة العادلة.. وينظر فى مظالم شعبها.. ويقيم الحدود.. ويختار أعوانه ورجاله ومساعديه.. من أهل الكفاءة والأمانة.

وكانت الهجرة بداية لإقامة عدل شامل.. فالإسلام عنى بإقامة العدل عناية عظيمة.. لأنه عماد الملك وقوامه.. قال تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾**.. لأن العدل الشامل.. يدعو إلى الطاعة.. ويبعث على الألفة.. ويعمق المودة.. وتعمر به البلاد.. وتنمى به الأموال.. وليس هناك شئ أسرع فى خراب الأرض.. ولا أفسد لضمائر الناس من الظلم والجور.. لأنه لا يقف عند حد.. ولا ينتهى إلى غاية.

وقال الإسكندر الأكبر لحكماء الهند. وقد رأى قلة الشرائع بها: لم صارت سنن بلادكم قليلة؟».. قالوا: «لإعطائنا الحق من أنفسنا.. ولعدل ملوكنا فينا».. فقال لهم: «أيما أفضل: العدل أم الشجاعة؟».. قالوا: «إذا استعمل العدل.. أغنى عن الشجاعة».

وقال بعض الحكماء: «إن العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق.. ونصبه للحق.. فلا تخالفه فى ميزانه.. ولا تعارضه فى سلطانه.. واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع.. وكثرة الورع».

والعدل ضروب شتى:

منها.. عدل الإنسان مع نفسه.. وذلك بالوقوف فى أحواله على أعدل الأمرين من تجاوز أو تقصير.. فإن التجاوز فيها جور.. والتقصير فيها ظلم.. ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم.. ومن جار عليها فهو على غيره أبلغ جوراً.. ومن توان فى نفسه ضاع.

ومنها عدل الإنسان مع من دونه.. كالحاكم فى رعيته.. والرئيس مع مرؤوسيه.. قال ﷺ: **«أشد الناس عذاباً يوم القيامة.. من أشركه الله فى سلطانه.. فجار فى حكمه»**.

ومنها عدل الإنسان مع من فوقه.. كعدل المحكومين مع الحكام.. والمرؤوسين مع الرؤساء..

والرعية مع الراعى.. وقوام ذلك إخلاص الطاعة.. وبذل النصرة.. وصدق الولاء.. فإن إخلاص الطاعة أجمع للشمل.. وبذل النصرة أدفع للوهن.. وصدق الولاء أنفى لسوء الظن.. ومن لم تتحقق له هذه الأمور من المرؤوسين.. تسلط عليه من كان يدافع عنه.. واضطر إلى اتقاء من كان يقيه.

وما أبدع قول بعض الحكماء: «إن الله لا يرضى عن خلقه إلا بتأدية حقه.. وحقه شكر النعمة.. ونصح الأمة.. وحسن الصنعة.. ولزوم الشريعة ومنها: عدل الإنسان مع إخوانه وأصدقائه.. وآية ذلك ترك التطول والامتنان.. واجتناب مجاوزة الحد فى التجنى.. وكف الأذى.. وفى ذلك فوائد وفضائل أدعى إلى المحبة والألفة.. وأبقى للعطف والرحمة.. والشهامة والمروءة.

والهجرة كانت بداية حقيقية لإصلاح المجتمع.. وإعداد الفرد المسلم ليكون عضواً صالحاً ونافعاً فى هذا المجتمع الإسلامى الجديد.. والقضاء على البطالة.. ووجوب العمل وتشجيعه.. وفتح مجال فرص العمل لكى يشارك كل أفراد المجتمع الإسلامى الجديد فى بناء الدولة.. والنهوض بالأمة الإسلامية العظمى الجديدة.. فالعمل واجب.. والعمل شرف.. والعمل حياة.

والهجرة كانت البداية الحقيقية للعدل والحرية.. والإخاء والمساواة.. وحسن المعاملة.. والتكافل والتعاون بين أبناء المجتمع الإسلامى الجديد.. وإحقاق الحق.. وإبطال الظلم.. والحكم فى الناس بما يصون حقوقهم.. ويوطد دعائم الأمن العام.. الذى به تطمئن النفوس.. وتنبعث الهمم.. ويسكن البرىء.. ويأنس الضعيف.

وأخيراً.. وليس آخراً.. كانت الهجرة النبوية الشريفة.. بداية لميلاد «أمة إسلامية عظمى» شريعتها الإسلام.. وقوامها العدل.. وعمادها الأمن.. ودستورها تحكيم كتاب الله سبحانه وتعالى.. وسنة رسوله ﷺ.

الهوامش

١ . محمد بن عبد الملك بن هشام . المعافرى . سيرة ابن هشام . ص ٥٨.

٢ . المرجع السابق . ص ٥٩.

٣ . محمد أحمد جاد المولى . محمد المثل الكامل . ص ٣٤٥.

٤ . المرجع السابق . ص ٣٥٠.

٥ . المرجع السابق . ص ٣٦٤.

٦ . كارين أرمستورنج . سيرة النبى محمد ﷺ . ص ٢٠٧.

٧ . المرجع السابق . ص ٢١٧.

٨ . المرجع السابق . ص ٢٢١.

٩ . محمد الغزالى. فقه السيرة . ص ١٤٦.

١٠ . المرجع السابق . ص ١٦٤.

١١ . محمد الأنور أحمد البلتاجى . محمد الخلق الكامل والرحمة المهداة . ص ٤٦٤.

١٢ . أحمد بهجت . أنبياء الله . ص ٤١٨.

١٣ . المرجع السابق . ص ٤١٩.

١٤ . المرجع السابق . ص ٤٢٠.

١٥ . محمد أحمد جاد المولى وآخرون . قصص القرآن . ص ٣٢٢.

١٦ . المرجع السابق . ص ٣٢٣.

١٧ . د. محمد شامة . الإسلام فى الفكر الأوروبى . ص ٤٧.

١٨ . المرجع السابق . ص ٥٠.

١٩ . محمد بن عبد الملك بن هشام المعافرى . سيرة ابن هشام . ص ٢٥٦.

٢٠ . المرجع السابق . ص ٢٦٠.

٢١ . كارين أرمستورنج . سيرة النبى محمد ﷺ . ص ٢٧٥.

٢٢ . محمد أحمد جاد المولى . محمد المثل الكامل . ص ٣٦٥ .

٢٣ . المرجع السابق . ص ٣٦٦.

٢٤ . المرجع السابق . ص ٣٦٨.

إن تعاليم الشريعة الإسلامية تبين لنا أنها دائما تنادى كل إنسان أن يكون صادقا فى قوله يقول الحق ولا يبالى بالنتائج ما دام يقصد بذلك مرضاة الله عز وجل، لأن الإنسان الذى يقول الحق بشجاعة وأدب رفيع هو إنسان محبوب عند الله عز وجل وقد يكون مكروها عند من يتعامل معهم من الناس لأن الناس يستهويهم من يتظاهر بمجاملتهم. ونحن لا نجد شيئا فى هذه الحياة طيب الذكر كثير النفع قليل الضرر جميل الوجه سامى النفس إلا ونراه صادقا وفيا أمينا.

الصراع بين الحق والباطل

د/ صبرى عبد الرءوف محمد عبد القوى

ولكنه مع ذلك يلاقى من ظلم الناس وشرهم وبغضهم له وكراهيتهم لوجهه الجميل ونفورهم من روحه السامية بسبب وقوفه بجانب الحق وقوله الصدق وإذا تحدث بعض الناس عن كلمة الحق رأينا بعضهم يدعى وصلها ويزعم أنه مقيم فى هواها بحبها ويؤثرها ويمجدها ويقدسها، فإذا رأى أن كلمة الحق ستقف فى سبيل أغراضه أوتعترض طريق مطامعه وأهوائه نراه يكره كلمة الحق وللأسف الشديد لا ينسى أنه يشيد بحبه للحق وخضوعه له وإيمانه به، وبعض الناس يعيش بعيدا عن الحق لأنه لا يؤمن بالله حق الإيمان وفى نفس الوقت نراه يتعامل مع الناس على حسب ميوله وأهوائه التى لا تتفق مع الحق أبدا، والمحبوب عند هؤلاء هو الذى لا تجرى كلمة الحق على لسانه فإذا قدس أعمالهم وزين كل عمل يعملونه فهو فى نظرهم اللطيف الظريف المهذب.

أما إذا كان لا يقول عن الشىء إلا بما فيه ولا يعطيه من الثناء إلا ما يستحق إذا كان كذلك فهو فى نظر الناس - الذين لا يراقبون الله - ثقيل الظل سيىء الخلق ضعيف التربية فاسد الذوق يجب أن يطرح قوله وأن تجتنب معا شرته وأن يكاد له عند من يملكون البطش به حتى يستقيم على حسب أهوائهم وأغراضهم ويعرف كيف يحترم الناس ويحسن الأدب معهم.

فإذا كان الإنسان فاضلا صاحب خلق ودين وأراد أن ينشر العدل والإنصاف وأراد أن يدافع عن الإنسان المظلوم وجادل دونه وحاول أن يشد من أزره فإن أهل الباطل يرمونه بالهوى والغرض والمساعدة على الفساد ثم رأيناهم يقولون: الناس كلهم هكذا فلماذا الشذوذ عن منهج الناس ونرى الناس فى مثل هذه الحالات يظهرون ما ليس فيهم رغبة فى الشهرة وينسبون الفضائل لأنفسهم رغبة

منهم فى لفت الأنظار إليهم وهنا يعيش الإنسان فى صراع دائم بين الحق والباطل.

ومن عجب أن بعض الناس لا يزال يجهل الطريق الصحيح الذى يؤدى إلى احترام الناس وإكبارهم.

ونرى الواحد من أمثال هؤلاء لا يعترف بغير ما يقوله هو فإذا ناقشه انسان فى مسألة علمية أو ظاهرة اجتماعية فالقول قوله والحق ما ينطق به لسانه ومهما برهن له الطرف الثانى على خطئه ومهما ساق له من الأدلة والحجج على وجهة نظره فلن يستمع له ولا يمكن أن يتزحزح عن موقفه وكيف يخضع لرأى غيره أويعترف بأن الحق معه وهو فى قرارة نفسه يدعى أنه أعلم الناس.

والانسان يصاب بالدهشة حينما يرى إنسانا يجادل وينحرف عن الحق ويظهر الباطل على أنه الحق ويجعل الحق باطلاً بينما الحق واضح كفلق الصبح ولكنه عمى عن الحق وأصبح لا يرى سوى الباطل كل هذه الأمور تجعل الانسان يقف متسائلا إلى متى يقف الناس هذا الموقف المتخاذل؟ وإلى متى سيجعل الناس الباطل حقا والحق باطلا؟.

وهنا يتذكر الإنسان قصة ذلك الرجل الذى كان يسير مع أحد أصحابه فشاهد حيوانا بعيدا عنهما فقال صاحبه هذه أوزة وقال الرجل: بل هى عنزة، وتجادلا طويلا وكل منهما قد أصر على موقفه وظلا يسيران إلى أن وصلا إلى الحيوان فهاجه الصاحب فطارت الأوزة فالتفت الرجل قائلا أصدقت أنها أوزة؟ وظن أنه بذلك قد أقام الحجة عليه وأكد له بالدليل الذى لا يقبل الجدل ولكن صاحبه أجابه ببرود شديد: عنزة ولو طارت.

وهكذا شأن هذا الصنف من الناس لا يمكن لنا أن نطمع فى رجوعهم إلى الحق ولو بذل الإنسان أقصى مافى جهده وحمل نفسه مالا يطيق فى سبيل إقناع الآخرين على أن هذا التمسك بالباطل لا يعود عليهم بفائدة بل بالعكس يجلب عليهم احتقار المنصفين وسخريتهم.

ولعل أعجب مافى الأمر أنهم يتمسكون بالباطل وهم على يقين من أن مجادلهم يدرك كل الإدراك أنهم يتمسكون بباطل ولا يخالجه أدنى شك فى أنهم يخضعون لشهوة المراء وحب الغلبة ولو فى الظاهر.

ويظهر أن هذا الصنف من الناس قديم قدم الزمان ووجد فى كل عصر من العصور السابقة ولذلك نرى الإمام الغزالى ـ رحمه الله تعالى ـ يوضح لنا حقيقة هذا الصنف من الناس فيقول: وهو يتحدث عن شروط المناظرة النافعة المفيدة التى هى من شأن العلماء العاملين: أن يكون المناظر فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعلوه أو من هو أقل منه ويرى رفيقه معينا لا خصما. ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق.

أما مناظر زماننا فإن وجهه يسود إذا ظهر الحق واتضح على لسان خصمه ويخجل ويجتهد فى الانتصار عليه ويعمل على ذم من أفحمه طول

عمره وما عاش ولهذا قال حكيم العرب أكثم بن صيفى:

إن قول الحق لم يترك لى صديقا.

ومن قبل ذلك قال فيلسوف اليونان لصاحبه أنت صديقى والحق صديقى ولكن الحق أحب إلى منك.

وقال أبو بكر سمعت محمدبن يزيد المبرد يقول: قال بعض الحكماء: من خير ما ظفر به الإنسان اللسان الحسن وفى ترك المراء راحة للبدن، وعن وهب بن منبه قال: إن رجلا من بنى إسرائيل صام سبعين سنة يفطر فى كل سبعة أيام وهو يسأل الله أن يريه كيف يغوى الشياطين الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال: لو اطلعت على خطيئتى وذنبى وما بينى وبين ربى لكان خيرا لى من هذا الأمر الذى طلبته فأرسل الله إليه ملكا يقول له: إن كلامك هذا أعجب إلى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فإذا جنود ابليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا وحوله الشياطين مثل الذباب فقال: أى رب من ينجو من هذا؟

قال: الوادع اللين.

وهل معنى هذا أن الإنسان لا يجادل غيره أبدا؟

إن المتأمل فى كتاب الله عز وجل يجد أن القرآن الكريم قد ذكر نوعين من الجدل أحدهما ممدوح وهو الذى قصد به تأييد الحق أو إبطال الباطل.

والأنبياء قد جادلوا قومهم بالحسنى لأنهم لو جادلوهم بغلظة لنفرت طباع القوم وانصرفت عقولهم عن التدبر ولهذا قال جل شأنه فى سورة النحل: آية ١٢٥ **«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن»**.

ثانيهما: الجدل المذموم وهو كل جدل بالباطل أو ما يؤدى إلى الباطل أو كان الغرض منه هو الانتصار على الآخرين.

ومن هذا النوع ما جاء فى قوله تعالى فى سورة الكهف: آية ٥٦: **«ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق»** ويقول فى سورة غافر (٤) **«ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد»**.

وقال الإمام الشوكانى فى كتابه «فتح القدير» عند تفسير هذه الآية الكريمة: أى ما يخاصم فى دفع آيات الله وتكذيبها إلا الذين كفروا والمراد: الجدال بالباطل والقصد إلى دحض الحق فأما الجدال لاستيضاح الحق ورفع اللبس وتمييز الراجح من المرجوح ودفع ما يتعلق به المبطلون فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون، وذكر القرآن الكريم لنا قصة سيدنا نوح مع قومه فقال فى سورة هود (٣٢): **«يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين»** فأجابهم بقوله:

«قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون» سورة هود: آية ٣٣ ، ٣٤.

والإنسان العاقل هو الذى يسعى لمرضاة الله عز وجل ويجاهد فى سبيل الله تبارك وتعالى والجهاد ليس بحمل السيف ولا بقتال الأعداء وإنما يكون فى بعض الأحيان الجهاد باللسان هو أسمى درجات الجهاد.

قال تعالى فى سورة الفرقان:(٥٢) **«فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا»**.

ومعنى هذا أن الجدال إذا كان يقصد إقامة الحجة على أهل الإلحاد والبدع فإنه يكون جهادا فى سبيل الله عز وجل: قال ﷺ **«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»**. (أخرجه أبو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبى)،

والجهاد باللسان لا يكون بالسباب ولا بالشتائم وإنما يكون بتبيان الحجة ومحاولة إقناع الآخرين وهذا ما لمسناه من حياة الرسول الكريم ﷺ وإذا كان الإنسان يعانى فى التعامل مع الناس مشقة بسبب رغبتهم فى الانتصار على الآخرين فعليه ألا يتخذ من بسطة لسانه وقوة بيانه ما يعينه على معصية الله والعمل على إلباس الباطل ثوب الحق لأن الله سبحانه وتعالى ما رفع شأن الأمة الإسلامية إلا لأنها تناصر الحق وتدعو إليه ولهذا قال جل شأنه فى سورة ال عمران (١٠٤) **«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»**.

فهذه الخيرية التى منحها الله للأمة الإسلامية لم تكن إلا لأنها هى الأمة التى تأمر بالمعروف وترغب فى فعله وتنهى عن المنكر وتحذر من شره.

هذه الأمة هى التى تعيش فى سلام وأمان لتحيا حياة آمنة مطمئنة لا حقد ولا غل ولا حسد.

وقد وصف الله عز وجل الأنصار بحبهم لإخوانهم وإيثارهم له فقال جل شأنه فى سورة الحشر (٩) **«والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»**.

وكان نتيجة هذا الحب الخالص أن المهاجرين والأنصار قد أصبحوا صفا واحدا حتى فى دعائهم كان كل منهما يدعو لأخيه بالمغفرة وطهارة القلب فقال جل شأنه فى الآية (١٠) من سورة الحشر **«والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم»**.

فالمهاجرون والأنصار حينما طهروا قلوبهم من الحقد والغل وأصبحوا جميعا متحابين تمكنوا جميعا من رفع راية الاسلام لأنهم كانوا جميعا يعملون من أجل الجماعة ونصرة أمة الإسلام التى قويت بالحق وبنصرة الحق فرأيناهم جميعا قد

لزموا الجماعة وذلك لأن من نكث فقد خرج عن الجماعة.

وهذا هو الفرق بين الحق والباطل فالحق يعمل على اجتماع كلمة المسلمين أما الباطل فإنه يعمل على تمزق وحدة المسلمين.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة»**، وفى رواية قالوا: **«من هى يا رسول الله قال: ما أنا عليه وأصحابى»** (أخرجه أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة وقال الترمذى: حديث حسن صحيح).

فما أحوجنا جميعا أن نبتعد عن كل ما يجلب الضرر أو يلحق الأذى بالآخرين وأن نقتدى بهدى سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام فهم رغم اختلافهم فيما بينهم إلا أن كل واحد منهم ما كان يجاوز الحق أبدا مهما كان السبب الذى أدى إلى الاختلاف.

فهذا سيدنا على رضي الله عنه حينما خرج الخوارج عليه جاءه أحد أصحابه قائلا: يا أمير المؤمنين ما رأيك فى الخوارج أمشركون هم؟ فقال له: هم من الشرك فروا فقال له: هم من المنافقين فقال له: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا فقال له: فمن هم إذن؟ فقال: إخواننا بغوا علينا ورفض أن يسىء إلى الخوارج بكلمة واحدة وليس ذلك من باب الخوف منهم وإنما هو من باب عفة اللسان عملا بقول الرسول ﷺ **«أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»**. ولا يجوز للمسلم التقى أن يسير على ما سار الناس عليه إلا ما كان يتفق مع كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وإلا كان مشاركا للآخرين فيما يرتكبونه من آثام لأن عفة اللسان لا يتصف بها إلا كل مؤمن تقى نقى.

ومن هنا رأينا سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ حينما جلس فى طريق ضيق مع بعض أصحابه وجاء خنزير وأراد أن يمر من هذا المكان الضيق أفسح سيدنا عيسى الطريق للخنزير وهو يقول له: «أمرر بسلام» فقال له أصحابه أتقول هذه الكلمة لخنزير فقال لهم «نعم فإنى لا أحب أن أعود لسانى على النطق بالسوء».

وهو القائل أيضا:

كم من جسد صحيح ولسان فصيح ووجه مليح غدا فى نار جهنم يصيح وإن كثرة المراء والجدل لا يستفيد منها سوى أعدائنا وهى فرصة لهم يطلعون على عوراتنا ويتعرفون على أسرارنا وليس هذا من صفات المؤمنين وكان الأولى أن نعمل على إزالة الخلافات والنصح لمن يسىء لغيره بدلا من هذه البذاءات التى وصلت إلى ما يتعلق بالأعراض والسمعة والكرامة وما كان لمخالفينا أن يتحدثوا عن أسرار بيوتنا ولا أن يكشفوا عوراتنا لأن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو فى قعر بيته.

والحق أحق أن يتبع والله الهادى إلى سواء السبيل.

ذوو العاهات

السؤال من القارئ، ناجح حامد محمد حسين، من كوم المنصورة ـ أبنوب بمحافظة أسيوط، يقول:

هل يبعث ذوو العاهات على حالتهم يوم القيامة وهل يستوى فى ذلك المولود بها مع غيره؟

الجواب: يقول الله تعالى «ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة» سورة الأنعام: آية ٩٤.. جاء فى تفسير القرطبى لهذه الآية أنهم يحشرون منفردين كما خلقوا، وقيل يحشرون عراة كما خرجوا من بطون أمهاتهم حفاة غرلا ـ أى غير مختونين ـ بُهْما ـ يعنى ليس فيهم شىء من العاهات والأعراض التى تكون فى الدنيا كالعمى والعور والعرج وغير ذلك. كما ذكر فى حاشية التفسير، وقال العلماء: يحشر العبد غدا وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه عضو يرد فى القيامة عليه وهذا معنى قوله «غرلا» أى غير مختونين، أى يرد عليهم ما قطع منهم عند الختان.

وفى مشارق الأنوار للعدوى (ص١٤٦) أن الناس يحشرون على هيئات مختلفة حسب أعمالهم فمنهم من يبعث على صورة القردة وهم الزناة، وعلى صورة الخنازير وهم أكلة السحت، والأعمى، وهو الجائر فى الحكم، والأصم الأبكم وهو الذى يعجب بعمله، ومن يمضغ لسانه متدليا على صدره يسيل القيح من فمه وهم الذين تخالف أفعالهم أقوالهم، ومنهم مقطوع الأيدى والأرجل وهم الذين يؤذون الجيران ومنهم من يصلب على جذوع من النار وهم السعاة بالناس إلى السلطان هذا ما قاله العلماء باجتهادهم أما الحقيقة فى الأمور الغيبية فلابد لاعتقادها من نصوص قطعية الثبوت والدلالة، فالأولى أن نكل علم ذلك إلى الله تعالى.

أنت تسأل و الفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

هل هذا حديث؟

السؤال من القارئ جمعة سلامة حجازى زيدان من عزبة المناجاة بمحافظة الشرقية، يقول:

هل من الحديث ما يقال «لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله؟»

الجواب : روى البخارى ومسلم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: قال الله تعالى: «**يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر، بيدى الليل والنهار**» وفى رواية لمالك «**لا يقل أحدكم ياخيبة الدهر فإن الله هو الدهر**».

يقول الحافظ المنذرى: معنى الحديث أن العرب كانت إذا نزلت بأحدهم نازلة أو أصابته مصيبة أو مكروه يسب الدهر، اعتقادا منه أن الذى أصابه هو فعل الدهر، فكان هذا كاللعن للفاعل، ولا فاعل لكل شىء إلا الله تعالى خالق كل شىء، فنهاهم النبى - صلى الله عليه وسلم - عن سب الدهر لأنه مدرجة لسب فاعل الأمور وخالقها وهو الله تعالى.

يوم تذهل كل مرضعة

السؤال من القارئ ناجح محمد حسين من أبنوب بمحافظة أسيوط يقول:

أرجو تفسير قوله تعالى: «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى» سورة الحج: آية ٢.

وهل سيكون ذلك قبل قيام الساعة أم بعدها؟

الجواب: جاء فى تفسير القرطبى أن الضمير فى «ترونها» عائد على الزلزلة عند الجمهور، ويقوى هذا قوله تعالى «**تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها**» والرضاع والحمل إنما هو فى الدنيا..

وقالت فرقة: الزلزلة فى يوم القيامة، واحتجوا بحديث عمران بن حصين الذى رواه الترمذى بسند حسن صحيح أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال عندما نزلت الآية «اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم»: أتدرون أى يوم ذلك؟ ثم قال لهم: «ذاك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار، قال يارب وما بعث النار؟ قال تسعمائة وتسعة وتسعون فى النار وواحد فى الجنة» وجاء مثل هذا الحديث فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى.

ومن هذا يعرف أن هذه الظاهرة التى فى الآية فيها رأيان، رأى الجمهور أنها فى الدنيا قبل قيام الساعة، ورأى آخر أن ذلك بعد قيام الساعة.

ماتمسه الحائض

السؤال من القارئ، حسن ضاحى محمد حرز من الورديان بمحافظة الاسكندرية يقول:

هل كل ما تلمسه الحائض نجس إذا لم يتم تطهيره بالغسل سبع مرات؟

الجواب: هذه نظرة قديمة كانت عند بعض عرب الجاهلية تأثروا فيها باليهود الذين كانوا يقولون: إن أى شىء تمسه الحائض ينجس ويجب غسله فإن مست لحم القربان أحرق بالنار، ومن مسها أو مس شيئا من ثيابها وجب عليه الغسل، وما عجنته أو طبخته أو غسلته فهو نجس وحرام على الطاهرين حلال للحُيَّض، ذكر ذلك المقريزى فى خططه «ج٤ ص٣٧٣» وهذا وغيره مذكور فى سفر اللاوين «اصحاح ١٥» ونقلت بعضه فى الجزء الثالث من موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ص٥٠».

والإسلام أبطل ذلك، وكرم المرأة بمالم تكرم به من قبل ولا من بعد، ومادامت يد الحائض طاهرة من النجس فإن ما تمسه لا ينجس أبدا، ودم الحيض لا ينجس إلا المكان الذى خرج منه أو أصابه من الجسم أو الثياب، ولا داعى لتطهيره لا مرة ولا سبع مرات.

طبيعة المرأة

السؤال من القارئ، ش. ع، من محافظة القاهرة يقول:

إذا كان من الحديث ما يقال: «رأيت أكثر أهل النار من النساء لأنهن يكفرن العشير».

وما يقال: لم أر أذهب للب الرجل الحازم منكن من النساء؛ وما يقال: «النساء ناقصات عقل ودين»، فهل يدل ذلك على أن المرأة خلقت لتكون عونا للرجل وليس ندا له؟

الجواب: هذه الأحاديث تدل على طبيعة المرأة التى خلقها الله عليها، وليس كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك تحقيرا للمرأة، ولكن تحذيرا وتنويرا للرجل فى معاملتها وتطبيقا لقوله تعالى **«وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا»** سورة النساء: آية ١٩.

وحسن معاشرتها يتحقق بمراعاة أمرين: الأول الفتنة بها، والثانى ضعفها، فالأول يوجب الحذر والاحتياط، والثانى يوجب الرحمة والإحسان. وبالتوازن بين هذين الأمرين تكون الزوجة سكنا للزوج وتوجد المودة والرحمة كما فى القرآن الكريم.

أما الغلو فى الفتنة فلا نتيجة له إلا الانحلال والانحراف كما يشير إلى ذلك الحديث الصحيح «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء» وأما الغلو فى ضعفها فيؤدى إلى القسوة والتحكم وفرض الإرادة والسيطرة.

ومن أجل الفوارق الطبيعية بين الرجل والمرأة، ومن أجل المسئولية الملقاة على عاتق كل منهما حذر الإسلام من التهاون فى الحقوق والواجبات المتبادلة بينهما، ويكفى أن نذكر قوله تعالى: **«ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة»** سورة البقرة: آية ٢٢٨.

وقوله **«الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله»** سورة النساء: آية ٣٤. «انظر موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام» وانظر أيضا «س/ ج للمرأة المسلمة».

تفسير آيتين

السؤال من القارئ، م. ع. س، من محافظة القاهرة يقول:

أرجو تفسير قوله تعالى: «وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى».

وقوله تعالى: «وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب».

الجواب: الأمر باستقرار النساء فى البيوت وعدم التبرج، وكذلك الأمر بسؤالهن من وراء حجاب مخصوص بنساء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدليل قوله تعالى قبل الآية الأولى **«يانساء النبى لستن كأحد من النساء»** سورة الأحزاب: آية ٣٢.

وقوله فى الآية الثانية **«ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم»** سورة الأحزاب: آية ٥٣.

فتحرم رؤية نساء النبى فى شخوصهن ولو كن محجبات أما غيرهن فلا يلزمن بالاستقرار الكامل فى البيوت ولهن الخروج لعمل الخير كطلب العلم وكسب العيش مادام ذلك فى نطاق الآداب الشرعية، ولا يحرم رؤية أية امرأة إلا ما كان مكشوفا وأمرت بستره كما هو معروف. والأدلة على ذلك كثيرة لا يتسع لها المقام وهى مفصلة فى كتاب «الحجاب بين التشريع والاجتماع».

مع القراء

يحرره : حسين السكرى

(وماذا بعد ؟!؟)

للقارىء/ عبد الحميد عنتر عبد الحميد أبو السعود ـ أسيوط ـ بنى قرة

إنه من ينظر إلى العالم الإسلامى يجد عوامل الضعف والتمزق قد دبت فيه وأصبح الوطن العربى والأمة الإسلامية لا حول ولا قوة إلا بالله، ونجد الشباب الإسلامى لا هم له إلا الإنغماس فى المعاصى وقد ترك الطاعات فإلى متى سيظل العالم الإسلامى على هذا الوضع وهذا الضياع ؟ الإذاعة تتكلم والتلفاز يعرض والصحف تكتب والمجلات تحث على الإتحاد والتضافر ولكن كل هذا يضيع هباء فى الهواء، وخطباء المساجد والوعاظ يتحدثون ولا حياة لمن تنادى وكأن الصمم أصاب الأذان، وتجد معظم الناس لايصلون فى المساجد إلا فى أيام الجمع والأعياد، وقد أصبحت الصلاة فى المسجد قاصرة على شهر رمضان وأصبحت قراءة القرآن قاصرة على شهر رمضان، وأصبحت الصدقات لاتدفع إلا عند ما يكون فى ضيق شديد ولايريد بها صاحبها القربى أو وجه الله، ولكنها تدفع ليزيل الله عنه الهم والغم والكرب، وأما ما عدا ذلك فنحن لانعرف الإسلام مطلقا، فهل البعد عن الإسلام ناتج عن ضعف أهله أم ماذا ؟ مما لاشك فيه أن الضعف موجود فى قلوبنا ونفوسنا، والأمراض والعلل والمتاعب تزحف علينا من كل مكان، فماذا بعد ؟ هل سيظل الحال على هذا المنوال ؟

لا يأس من حال المسلمين، (فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا) ولن يغلب عسر واحد يسرين، وسيأتى الفرج قريبا بإذن الله، من حيث لايتوقع الإنسان

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت وكنت أظنها لاتفرج

فليكن الأمل رائدنا والعمل قائدنا وسنجنى بمشيئة الله ثمار ما نغرس والله هو القوى العزيز.

(من آداب حسن المعاشرة)

للقارىء/ عزت فتحى سعد الدين ـ محاسب بشركة رامو ـ القاهرة

مما قيل فى حسن المعاشرة ما ذكره الأبشيهى فى كتابه (المستطرف فى كل فن مستظرف) من أن بعض الحكماء، قالوا : إذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولاتنظر فى عطفيك ولاتكثر الإلتفات ولاتقف على الجماعات، وإذا جلست فلا تتكبر على أحد، وتحفّظ من تشبيك أصابعك ومن العبث بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال إصبعك فى أنفك

وكثرة بصاقك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة، وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ إلى كلام مجالسك واسكت عن المضاحك ولاتتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تلح فى الحاجات ولاتشجع أحدا على الظلم ولا تهازل أمَتك ولا عبدك فيسقط وقارك عندهما، وإذا خاصمت فانصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولاتكثر الإشارة بيدك ولا الإلتفات إلا من ورائك واهدىء غضبك، وإذا قربك سلطان فكن منه على حذر، واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهى، وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء، ولاتجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس الملوك، فإن فعلت فالتزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الألفاظ والمذاكرة بأخلاق الملوك والحذر منهم، وإن ظهرت المودة، ولا تجالس العامة، فإن فعلت فآداب ذلك ترك الخوض فى حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم، وإياك أن تمازح لبيبا أوسفيها، فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك، ولأن المزاح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقبه الحقد ويذهب بحلاوة الإيمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرىء السفيه ويميت القلب ويباعد عن الرب ـ تعالى ـ ويكسب الغفلة ـ والذلة، ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عن قيامه، فقد ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك).

تصوير رائع يفيض بالأنفة وعزة النفس وحسن المعاملة والمعاشرة ويتوخى الصغائر والسقطات ويدعو إلى تجنب المهانة والذلة فى كل الأمور والحفاظ على الهيبة وعدم الدخول فيما لايعنى المرء أو يفيده أو يجعله فى متناول السخرية والإمتعاض وفى الوقت نفسه ينبه إلى عدم الغفلة عما يحيط بالإنسان أو يجرى حوله، فهو دائما يشحذ الفكر ويحض على اليقظة فى كل التصرفات.

(اجتناب الكبائر)

للقارىء/ محمد إبراهيم محمد الدمرداش ـ المنوفية ـ مجلس مدينة بركة السبع الإدارة الهندسية

حثنا الله ـ تعالى ـ على اجتناب الكبائر وبشرنا ـ سبحانه ـ بتكفير سيئاتنا والفوز برضوانه فقال ـ عز وجل: {**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما**} النساء ٣١، وقد أجمع أبو طالب المكى ـ رحمه الله ـ تعالى ـ على أن الكبائر هى أربعة فى القلب: وهى الشرك بالله ـ سبحانه ـ والإصرار على معصية الله ـ تعالى ـ والقنوط من رحمته والأمن من مكر الله ـ تعالى، كما قال: وأربعة في اللسان وهى: شهادة الزور وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات واليمين الغموس والسحر، وثلاثة فى البطن وهى: شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وهو يعلم واثنان فى اليدين وهما القتل والسرقة، واثنان فى الفرج وهما: الزنا واللواط، وواحدة فى الرجل: وهى الفرار من الزحف، وواحدة فى جميع البدن وهى: عقوق الوالدين، ولا فلاح لنا فى دنيانا وأخرانا إلا باتباع ما أمر الله به واجتناب نواهيه وذلك بالتفقه فى ديننا والمعرفة

الصحيحة كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ {من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين}.

(ذكر شدة الموت)

للقارىء/ مصطفى سباق عونى ـ طالب بكلية الدراسات الإسلامية

ليس هناك أصعب على العبد المسكين ولا أشد من الكرب والهول الذى يعانيه من الموت، فشدة الموت تنغص عليه عيشه وتكدر عليه سروره وتصيبه بالفزع والجزع فالموت بلاشك من وقع السهام وضرب السيوف، والفارق بينهما أن المضروب يصيح ويستغيث لبقاء صوته بعد لحظات الضرب أما فى الموت فإن صوت الإنسان ينقطع عند شدة ألمه؛ لأن الكرب يكون قد بلغ المدى، فغلب على قلبه وجسمه وكل موضع فيه، فضعفت فيه كل جارحة.

ولم يبق فيه قوة الاستغاثة ويود لويقدر على الاستراحة بالأنين والصياح، لاسيما عندما تجذب الروح من جميع العروق ويموت كل عضو من أعضائه تدريجيا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه حتى تبلغ الروح الحلقوم والناس حينئذ ينظرون وملك الموت أقرب إليه من حبل الوريد ولكن لا يبصرون وعند ذلك ينقطع نظره من الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة، وفى هذا المقام يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : **(تقبل توبة ابن آدم مالم يغرغر).**

* * *

الحقيقة الوحيدة الثابتة فى هذه الحياة هى الموت، فلاجدال فيه ولااختلاف عليه والناس فى الدنيا يتذكرون كل شىء من متاع ولهو وملذات وبنين وبنات وقصور شاهقة وعربات فاخرة وتجارة رائجة ماعدا الموت فإنه لايرد على خواطرهم إلا إذا ذكرهم أحد به أو رأوه أمام أعينهم فإنهم عندئذ يمصمصون شفاههم ثم يولون منصرفين، فليتهم يتذكرون تلك اللحظات القاسية ويقدمون لها حتى تكون ثوابا فى ميزان حسناتهم فى يوم الحساب.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة ـ صفر ١٤١٩هـ (٦)

السؤال : «بيّن سبحانه لعباده المؤمنين أن ما أخبرهم به من أن أعداءهم سينهزمون أمامهم إنما هو سنة من سننه التى لا تتخلف».

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... **إسم الكاتب :** ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفون :** ....

رقم البطاقة: .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤١٨هـ حتى شعبان ١٤١٩هـ

بريد التعارف

أهلاً

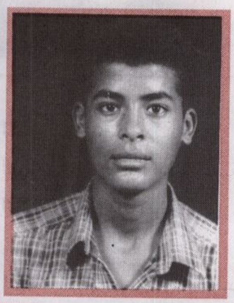

الاسم : عثمان فؤاد محمود سيد

الهواية :حفظ القرآن والشعر

العنوان : أسيوط ـ الغنايم شرق السمانين.

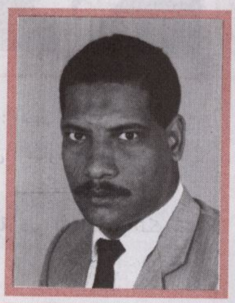

الاسم : يوسف محمد حسانى

الهواية : القراءة والاطلاع

العنوان : قنا ـ إسنا ـ أصفون

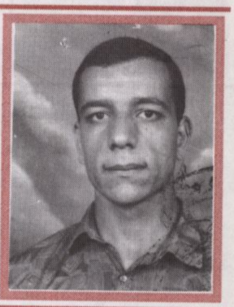

الاسم : السيد عبدالمهيمن كرات

الهواية : القراءة والخط العربى

العنوان : شرشابة ـ زفتى ـ غربية

الاسم : جوده صلاح الدين جوده

الهواية : القصص الدينية وسماع القرآن

العنوان :شمال سيناء ـ العريش ش الزقازيق المتفرع من ش ٢٣ يوليو

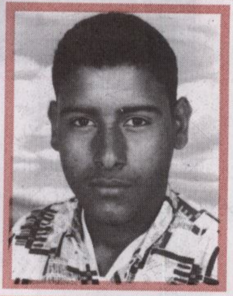

الاسم : على صبحى عبدالحكيم زهره

الهواية : تلاوة القرآن الكريم وتفسيره

العنوان :محافظة الغربية ـ طنطا ـ قرية كفر الجزيرة

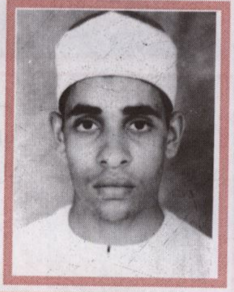

الاسم : محمد محيى على الدين

الهواية : تلاوة القرآن والثقافة الدينية

العنوان : نتما مركز كوم حماده بحيرة

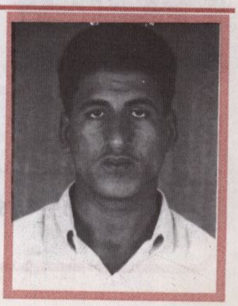

الاسم : محمد صلاح أبو شحاته

الهواية :حفظ القرآن الكريم والمراسلة

العنوان : محافظة البحيرة ـ إيتاى البارود ـ الضهرية

الاسم : عبدالناصر شاكر مرسى

الهواية : الرسم ـ الشعر

العنوان : أسيوط ـ الغنايم غرب ش الحدادين

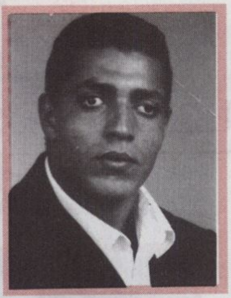

الاسم : محمد حسن أبو عجوة

السن: ٢٢ عاما

الهواية : القراءة ـ المراسلات

العنوان : الكيلانية ـ فاقوس شرقية

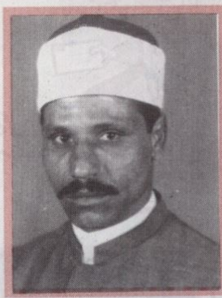

الاسم : جمال حسن دايمه

الهواية: القراءة ـ المراسلة

العنوان : مناوهلة ـ الباجور ـ منوفية

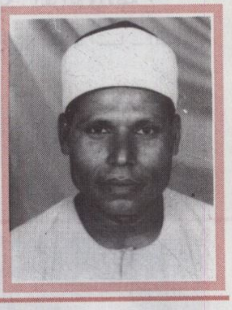

الاسم : أحمد حسن دايمه

العنوان : مناوهلة ـ الباجور ـ منوفية

الهواية: قراءة القرآن الكريم

الاسم : سمير حسن دايمه

الهواية: قراءة القرآن ـ الثقافة الدينية

العنوان : مناوهلة ـ الباجور ـ منوفية

المهنة: إمام وخطيب مسجد

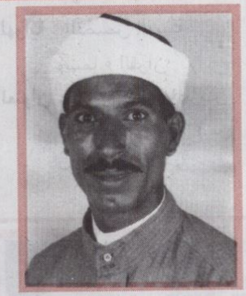

الاسم : ممدوح محمد عبدالغفار

الهواية : الكتب الدينية والاطلاع

العنوان: كوم اشقاو ـ طما ـ سوهاج

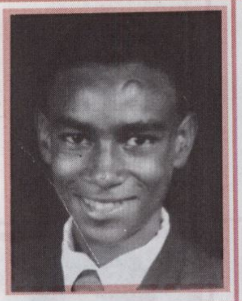

الاسم : رضا إبراهيم عبدالجابر

الهواية : قراءة القرآن الكريم

العنوان :نزلة سرقنا ـ ديروط ـ أسيوط

الاسم : أحمد السيد مصطفى

الهواية: القراءة والاطلاع

العنوان : محافظة قنا ـ عمارات بنك التعمير

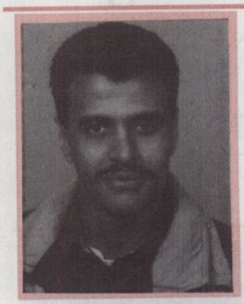

الاسم : علاء محمد السيد

الهواية : الاطلاع وقراءة القرآن

العنوان : مساكن الزاوية الحمراء

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....

الهواية: ....

العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

كلمة التحرير ١

☐ حديث الشهر .... بقلم رئيس التحرير ٢

☐ القرآن الكريم وعلومه ٧

● تفسير سورة الفتح .... فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى ٨

● التفسير البيانى للقرآن الكريم .... د. عبدالغفارحامد هلال ١٣

● دراسات فى السنة المطهرة ١٧

☐ صلة الأرحام .... الشيخ إبراهيم الدسوقى ١٨

● الجامع الصحيح للإمام مسلم .... د. أحمد عمر هاشم ٣٠

● حديث الإسلام والإيمان والإحسان .... د. محمد السعدى فرهود ٣٤

● الصلاة على النبى فى القرآن الكريم والسنة .... زكريا أحمد محمد نور ٣٧

☐ الحضارة والعلوم ٤١

● النموذج الإسلامى لتفاعل الحضارات .... د. أحمد فؤاد باشا ٤٢

● عصر الفضاء بين العلم والقرآن .... د. منصور محمد حسب النبى ٤٧

● دار الافتاء ترد على أكاذيب مكسيم رودنسون ٥٤

● وحدة الأمة : الواقع والتاريخ .... د. محمد بهى الدين سالم ٦٠

● المؤسسات الدينية فى مصر .... الأنبا يوحنا قلته ٦٤

● الإمام القرطبى .... د. محمود حمدى زقزوق ٦٩

☐ الدراسات الفقهية ٧٣

● نظرات تربوية فى الفقه الإسلامى .... د. مصطفى رجب ٧٤

● فضيلة العدل وسوء عاقبة الظلم .... د. طه عبد السلام خضير ٧٨

● عقوق الوالدين جريمة تستوجب عقوبة وضعية .... المستشار حسن حسن منصور ٨٢

● الموقف الإعلامى الغربى من الإسلام والمسلمين .... خالد محمد الأصور ٨٦

● هل كان أبو حيان التوحيدى معتزليا. .... د. محمد عمارة ٩١

● الحسن البصرى .... د. محمد عبد المنعم خفاجى ٩٤

☐ الإعلام والدعوة .... ندوة الشهر إعداد منير بيومى ٩٧

● من حديث ذات النطاقين .... د.مسعد محمد الديب ١١٤

☐ الدعوة والدعاة ١١٧

● من أحداث شهرصفر .... د. أحمد شلبى ١١٨

● ميلاد أمتنا الإسلامية .... أ. محمد عبدالعزيز عوض ١٢٢

● الصراع بين الحق والباطل .... د. صبرى عبد الرؤوف ١٣٢

● أنت تسأل والفقيه يجيب .... فضيلة الشيخ عطية صقر ١٣٧

● مع القراء .... يحرره حسين السكرى ١٤٠

● بريد التعارف ١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١١
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - ٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم) - المواعيد من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٢ مساء
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ شارع سعد زغلول

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر